

# بدایانے الفس

فی عصور ما قبل التاریخ



د. اشرف اسماعیل المرینی



# **بدايات الفن**

**فى عصور ما قبل التاريخ**

**د. أشرف العرينى**



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

# إهداء

إلى كل أساتذتي الكرام من أساتذة

كلية التربية الفنية - جامعة حلوان

وأخص الفنانين المعلمين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته

د. محمود عبد العاطى

د. إيهاب عطا الله بسمارك

# "بدايات الفن"

## محتويات الكتاب :

١	..... مقدمة :-
	<b>الجزء الأول :-</b>
٥	..... المفاهيم والمضامين الفلسفية والفنية للفن البدائي .....
٥	..... تفهيد :-
	١- المكان. ٣- الزمن.
	٢- الفرد. ٤- العلاقات وأنواعها.
٨	..... - الأخرى التي نعت الإنسان الأول لإنتاج الفنون البدائية : .....
٨	..... - لدافع الأول :- الاعتقاد بأن الفن من أجل السحر. ....
١١	..... - لدافع ثانوي :- الاعتقاد بأن الفن من أجل الفن. ....
١٢	..... - العوامل المؤثرة على الفن البدائي :
١٣	..... ١- ظروف الطبيعة. ....
١٦	..... ٢- العوامل العقلية. ....
١٦	..... أ- العبادة الأرضية. ....
١٧	..... - عبادة مظاهر الطبيعة. ....
١٧	..... ب- عبادة الأسلاف. ....
١٨	..... ٣- العمل الاجتماعي. ....
١٩	..... ٤- العمل الاقتصادي. ....
٢١	..... - النظريات المفسرة للفن البدائي. ....
٢٢	..... ١- نظرية الفن لأجل الفن. ....
٢٣	..... ٢- نظرية القدرة السحرية. ....
٢٣	..... ٣- نظرية الطوطمية. ....
٢٦	..... ٤- نظرية النبوية. ....
٢٩	..... ٥- نظرية الشمسية. ....
٣٩	..... • المعالجات والسمات التشكيلية للفن البدائي : .....
٤١	..... - موضوعات الفن البدائي. ....
٤١	..... ١- جماعات حيوانية. ....
٤١	..... ٢- التمثيلات البشرية. ....
٤٢	..... ٣- رموز وإشارات وعلامات. ....

- ٤٢ - توظيف العناصر التشكيلية في الفن البدائي : .....
- ٤٣ ١- النقطة. ....
- ٤٣ ٢- الخط . ....
- ٤٣ أ- خطوط الأشكال المحرفة أو رسوم التكيفورم. ....
- ٤٤ ب- الخطوط لمتعرجة أو خطوط ماكروني. ....
- ٤٥ ج- الخطوط الحزوتية. ....
- ٤٦ د- الخطوط الهندسية. ....
- ٤٦ ٣- الشكل . ....
- ٤٧ أ- التشويه. ....
- ٤٧ ب- تقلرب. ....
- ٤٨ ج- قتمثل. ....
- ٤٨ د- تركيب. ....
- ٤٩ ٤- اللون. ....
- ٥٠ - السمات التشكيلية الفن البدائي. ....
- ٥٠ ١- ظاهرة الخلو من المنظور. ....
- ٥١ ٢- ظاهرة المبالغة والانحراف عن الواقع. ....
- ٥١ ٣- ظاهرة الخدع التشكيلية. ....
- ٥٢ ٤- تواقعية. ....
- ٥٢ ٥- للرمزية. ....
- ٥٢ ٦- التجريدية. ....
- ٨١ • تصنيف الفن البدائي : .....
- ٨١ ١- تصنيف الفن البدائي من حيث المراحل التاريخية وتطور يدليات الفن. ....
- ٨٥ ٢- تصنيف الفن البدائي من حيث مراحل تطور ثقافة البدائية.....
- ٨٦ أ- مرحلة همجية.....
- ٨٦ ب- مرحلة نشوء الأشكال الاجتماعية الثقافية. ....
- ٨٦ ج- مرحلة البربر (أو عصر الفخار). ....
- ٨٦ د- مرحلة لمدينة والتحضّر (عصر الكتابة). ....
- ٨٧ ٣- تصنيف فنن بدائي من حيث النشاط الإنساني : .....
- ٨٧ أ- القناسة الأوائل. ....
- ٨٧ ب- للجالسون الأوائل.....
- ٨٧ ج- القناسة في العصور المتأخرة. ....



- ٨٧ ..... د - الرعاية.
- ٨٨ ..... هـ - الاقتصاد المركب.
- ٨٨ ..... ٤ - تصنيف الفن البدائي من حيث ق موضوع والأسلوب الفني :.....
- ٨٩ ..... أ - الفترة الأولى (عصر البوهائوس).....
- ٨٩ ..... ب - الفترة الثانية (عصر الزراعة).....
- ٩٠ ..... ج - الفترة الثالثة (عصر الحصان).....
- ٩٠ ..... د - فترة الرابعة (عصر الجمل).....
- ٩٠ ..... ٥ - تصنيف الفن البدائي من حيث علاقة الفن بالطبيعة :.....
- ٩١ ..... أ - مرحلة محاكاة الطبيعة.....
- ٩١ ..... ب - مرحلة الانتقال بين محاكاة الطبيعة إلى الأسلوب الهندسي.
- ٩٢ ..... ج - المرحلة الهندسية التجريدية.....
- ٩٣ ..... - النوع الرمزي. - النوع للزخرفي.

### الجزء الثاني :

- ٩٨ ..... بدايات الفن في العالم القديم :-
- ٩٨ ..... • بدايات الفن في أوروبا .
- ٩٩ ..... ١- فن كهوف ولفخور (فرنسا - إسبانيا).....
- ١٠٤ ..... ٢- فنون لأفري، ٣- فن تحت .
- ١٢٤ ..... • بدايات الفن في استراليا .
- ١٢٥ ..... - فنون "تولن".....
- ١٣٢ ..... • بدايات الفن في الأمريكتان .
- ١٣٣ ..... ١- بداية الفن في أمريكا الشمالية :
- ١٣٣ ..... أ - بداية الفن في الاسكيمو .
- ١٣٤ ..... ب - بدايات الفن في كولومبيا .
- ١٣٥ ..... ج - بدايات الفن في الولايات المتحدة الأمريكية .
- ١٣٥ ..... د - بدايات الفن بالمكسيك .
- ١٣٦ ..... - حضارة المايا .
- ١٦٩ ..... ٢- بدايات الفن في أمريكا الجنوبية :
- ١٦٩ ..... - بدايات الفن في بيرو "حضارة الإنكا".....
- ١٨٠ ..... • بدايات الفن في أفريقيا :
- ١٨٠ ..... ١- بداية الفن بشمال أفريقيا .

- ١٨٦ ..... أ - رسوم محاكاة الطبيعة (الواقعية).
- ١٨٤ ..... ب - رسوم ولتصوير الخيالية الفلمضة للخصبة.
- ١٨٧ ..... ٢ - بدايات الفن في جنوب وشرق أفريقيا.
- ١٩٠ ..... ٣ - بدايات الفن في وادي النيل.
- ١٩٣ ..... أ - التاريخ الجيولوجي لنهر النيل والبيئة القديمة.
- ١٩٨ ..... ب - العصر الحجري القديم (الباليوليتي) بواقي قنيل.
- ٢٠٠ ..... ج - العصر الحجري القديم الأوسط بواقي قنيل.
- ٢٠٣ ..... د - العصر الحجري القديم الأعلى بواقي النيل.
- ٢٠٦ ..... هـ - العصر الحجري الحديث بواقي النيل.
- ٢٠٩ ..... - للحضارات المصرية في عصر ما قبل الأسرات :
- ٢٠٩ ..... ١ - حضارة الفيوم .
- ٢١٢ ..... ٢ - مرمدة بني سلامة.
- ٢١٣ ..... ٣ - حضارة البداري.
- ٢١٤ ..... ٤ - حضارة تاسا.
- ٢١٤ ..... ٥ - حضارة نقادة الأولى (حضارة العصري).
- ٢١٦ ..... ٦ - حضارة نقادة الثانية (حضارة جرزة).
- ٢٥٠ ..... • بدايات الفن بآسيا :
- ٢٥٤ ..... ١ - بدايات الفن في العراق :
- ٢٥٥ ..... أ - عصر فجر السلاسل.
- ٢٥٥ ..... - فجر السلاسل الأول. - فجر السلاسل الثاني. - فجر السلاسل الثالث.
- ٢٥٦ ..... ب - الحكم الأكدي .
- ٢٥٧ ..... ج - الحكم السومري .
- ٢٥٨ ..... د - العصر البابلي القديم.
- ٢٦٣ ..... هـ - العصر البابلي الوسيط.
- ٢٦٤ ..... و - العصر الآشوري القديم.
- ٢٦٥ ..... ز - الملك سرجون الثاني. - آشور باتيبال .
- ٢٦٦ ..... ح - العهد البابلي الحديث.
- ٢٧٠ ..... ح - إنجازات العراق القديمة.
- ٢٧٤ ..... ٢ - بدايات الفن في إيران :
- ٢٧٧ ..... - الفنون الإيرانية الفارسية.
- ٢٧٩ ..... - الخزف الإيراني .

# **الجزء الأول**

**المفاهيم و المضامين الفلسفية**

**للفن البدائي**

## مقدمة :

لا ريب أنه في كل أنحاء العالم في أكثر من ١٢٠ بلداً تركت جماعات من البدائيين وراءها أمثلة للرسم وللتصاوير والمنحوتات الصخرية ، ويبدو أن الصخر كان أو دعامة اختاروها ليدعوا عليها أعمالهم الفنية وهناك دلائل على تعبيرات فنية أخرى غير الصخور مثل الرسم على الجسد والوشم والحلي وأدوات الزينة والرسم على لحاء للشجر وسعف النخيل والرسم على الرمال، وهي أشكال من للتعبيرات الأخرى قد تكون وجدت قبل فن للصخور، ولكنها لم تتحمل مرور آلاف السنين .

وقبل الخوض في تناول التاريخي والتحليل الفني لهذه الفنون القديمة يمكن أن نناقش قضية جدلية يجب الاتفاق عليها أولاً حتى يتسنى لنا تنوq هذه الفنون الإنسانية البدائية وما تحمله من معالجات تشكيلة ورموز ومضامين فكرية فالبعض يشبه الإنسان الأول بأنه كان غريزى مشيهاً بالحيوانات، وهذه مغالطة من الواجب تصويبها من البداية.

فقد كان الفيلسوف اليوناني القديم "أرسطو" أول من حاول أن يجدد الفارق بين الإنسان والحيوان عن طريق تعريفه للخالد \* الإنسان حيوان ناطق " واعتبر النطق دائماً هو آية العقل الإنسانى ، الذى يصل إلى ذروته فى إختراع اللغات بكل ما تحويه من فقه وآداب وفنون وأشعار وعلوم ومعارف ، ورغم الرقى الذى وصلت إليه اللغات البشرية، فيجب ألا يحجب ذلك عنا الحقيقة التى يقول بها التطوريين، من أن النطق عن الإنسان لم يكن يعدو فى بادئ الأمر مجرد إخراج الأصوات للتفاهم بين أفراد النوع، كما هو الشأن بالنسبة للطفل حتى فى هذه الأيام، فإذا كان هذا هو مدلول النطق، فمن العبث أن ننكر على الحيوانات أنها ناطقة فالحيوانات تخرج من فمها أصوات مختلفة تعبر بها عن أغراض مختلفة، ومن الواضح أن كل نوع من الحيوانات يتفاهم مع بعضه.

وإذا كان النطق لا يخرج عن كونه عملية إحداث أصوات، فالقول بأن الإنسان ينفرد عن الحيوان بالنطق قول غير سديد إذا كان معنى النطق هو إحداث الصوت، فنحن عندما نصف الإنسان بأنه حيوان ناطق فنحن نعني الإدراك لمعاني هذه الأصوات، إلا أن الحيوانات ذات إدراك محدود وكما أنها يمكن أن تدرب على إحداث أصوات ناطقة، ويمكن أن تدرك معنى الكلام والإشارات وتستجيب لها بالتدريب، ومن هنا أصبح من المحال اعتبار للنطق والإدراك فارقاً من حيث الطبيعة بين الإنسان والحيوان ويحاول البعض أن يرى في تنوّق الإنسان بالجمال هو ما يميزه عن الحيوان، ولعل ما أثبتته البحوث المعاصرة من أن الحيوانات تتأثر بالموسيقى كمثال لإدراك البقر للنبع وزيادته عند سماع الموسيقى ، كما أن إحاطة المواشي بجو نظيف يساعد على تحسن صحتها وزيادة إنتاجها .

وهكذا تنهار بدورها فكرة إنفراد الإنسان بتنوّق الجمال ، كحد فاصل بينه وبين الحيوان ، كما يظن البعض أن لفارق الحقيقي هو في قدرة الإنسان على كبت بعض غرائزه وما يتمتع به الإنسان من ضمير يأمره وينهاه ، إلا أن الحيوان المدرب يمكن أن يكبح شهوته ، فحيوان المسيرك مثلاً يعرف ما يجوز له عمله وما لا يجوز ويخشى طائلة من العقاب ويطمع في نيل الثواب .

وحقاً قد لا يكون هناك أى فارق بين الإنسان والحيوان في النطق ولا اللغة والنظام ولا حب الجمال أو حتى الضمير والتفريق بين الخير والشر ، إنما عنصر الخلاف إنما يكمن في جوهر الحرية ، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى يتصف بالحرية (حرية التصرف) وحرية الاختيار ، أما الحيوان لياً كان قدرته وتدريبه فهو مقيّد للحرية

فالحيوانات والطيور والحشرات ومائر الكائنات الحية عدا البشر محكومة بقانون ثابت ، فالنملة مثلاً كما كانت منذ عشرات القرون السابقة ، كما ستظل بعد عشرات القرون بنفس الطبيعة ، والطيور تبني عشها بنفس

الطريقة ومن نفس المواد ومستظل كما هي إلا أن تقوم الساعة ، أما الإنسان فهو الوحيد في هذا الكون الذى يأبى أن يظل على حاله فهو متغير من حال إلى حال وبطبيعته يحب هذا التغير ، فلو قارنا بين الإنسان البدائى الذى كان يعيش بالغابات والكهوف وبين إنسان العصر الذى يعيش بين ناطحات السحاب وما تحويه من مصاعد كهربائية وأابيب الغاز ووسائل الترفيه ووسائل النقل يتضح لنا مدى الاختلاف الفائق .

ومن هنا نرى أن الإنسان هو للكائن الوحيد الذى يتغير بدافع من داخله بقوة دافعة فى طبيعته مما نسميه إدارته ، الإدارة الحرة المختارة ، وبهذه الإرادة يبدع الإنسان ما لم يكن موجوداً فى الطبيعة من قبل ، وهذه القدرة على الإبداع هى أهم مظاهر هذا العقل الإنسانى منذ فجر التاريخ وحتى اليوم .

ومن الخطأ أن نتصور أن عقولنا اليوم أكمل من عقول إنسان ما قبل التاريخ ، لو أن عقولنا اليوم قاصرة بالنسبة لعقول من مائتوتين بعدنا ، فالعقل جوهر واحد لا يقلل الزيادة أو للنقص ، فقد وجد العقل بكامله منذ كان الإنسان إنساناً ، محملاً بقدرتى الذكاء والإبداع منذ بدايته .

ومن هنا نبدأ للحديث عن فنون الإنسان الأول منذ العصور للحقيقة، عندما كان يسكن أول الأمر فى كهوف بالجبال، ويتنسابه هذه الغفون فى كل البلاد التى عاشت عليها سلاسل الإنسان بفطرتها البدائية الأولى، كما تتشابه ولادة الأطفال نشأتهم فى كل العصور وعند كل الشعوب، فالإنسان الأول كان يعتمد فى حياته على الصيد، ومارس صناعة أسلحته من الأحجار للصلبة ليدافع بها عن نفسه ويستخدمها فى الصيد براً وبحراً، ثم حورها ليصنع منها أدواته المعيشية وصنع من الأحجار نماثيل ورسم وزخرف جدران كهوفه بصور اعتاد رؤيتها كالحوانات المفترسة أو الأليفة بعضها كان يهواه ، وبعضها اتخذ من رسمها تعاويذ لتحميه من بطشها ، ثم نراه يجسد معتقداته فى شكل إنسان تارة وحيوان تارة أخرى ،

وهو في كل محاولاته هذه نراه يستمد من الطبيعة والبيئة التي كان يعيش فيها عناصر فنونه وصناعته.

وكل فنون عصر ما قبل التاريخ تركز على ثلاث موضوعات رئيسية وهي الجنس والغذاء والأرض ويبدو أن اهتمامات الإنسان الرئيسية لم تتغير كثيراً على مدى العصور.

ثم توصل إلى اكتشاف النار، وصار يصنع من جلود الحيوانات وصوفها ما يقى جسمه، ثم تطور فعرف كيف يستفيد من أللياف النباتات في كثير من الصناعات إلى أن توصل إلى معرفة الزراعة ، واستخدام طمى الأنهار في صناعة الأواني، ثم حرقها بعد نقشها وزخرفها بالأشكال التي كان يراها حوله، ومن هنا نجد أن عمر الفن يوشك أن يكون هو عصر الإنسان، فالفن صورة من صور النشاط المميز للجنس البشري فيعرف الفن بأنه نشاط إنساني هادف وأهم أهدافه هي جعل للمواد الطبيعية ملائمة لاحتياجاته البشرية .

إن الإنسان يتحكم في الأشياء ويجعلها ملك يده عن طريق تحويلها وتطويعها وفقاً لإرادته واختياره وإبداعه ، فالفن كنشاط إنساني هو عملية تحويل الأشياء للطبيعة لأعمال مبتكرة لكن الإنسان لا يعمل الأعمال فحسب ولكنه يحلم ويتخيل أيضاً ، فهو يحلم بأن يتمكن من تغيير الأشياء وتشكيلها في صورة جديدة بوسائل سحرية أو خيالية ، فالسحر أو الخيال يقابل للعمل والإبداع في الواقع ، وقد سيطرت هذه الفكرة على تفكير الإنسان منذ بدايته بالعصور الحجرية والتي كانت من دوافع ظهوره بدائيات الفن .

#### د. أشرف العربي

# المفاهيم والمضامين الفلسفية والفنية للفن البدائي

## تمهيد:

تمثل الرموز والعلاقات وما تحتويه من أفكار ومعان، للركائز التي يعتمد عليها الاتصال والتفاعل الإنساني بشكل عام في كل العصور، ومنذ عصور ما قبل التاريخ إعتاد الإنسان علي إنشاء نماذج من الأشكال والعلامات والرموز لتمثيل ظواهر الحياة علاقاتها كما تظهرها تجاربه، فالإنسان منذ ظهوره في الوجود ظل منهمكاً في تجسيد عالمه وملوكه وأفكاره بأساليب مختلفة وقبل النظر في مضمون الرسم والمضمون الفكري والأبديولوجي للأعمال ذاتها، نحتاج لتوضيح عدد من النقاط الرئيسية الخاصة بالعلاقة بينها وبين محيطها.

## ١- المكان :

إن الأشكال الطبيعية والوضع الذي تم اختياره علي وجه الصخر لها علاقة مادية ملموسة، وتتوافق مع اختيار ذو مغذى معين، وسواء كان ذلك بوعي أو بدون وعي، وقد أوضحت الدراسات المقارنة التي أجريت في كل أنحاء العالم أن الفنانين اختاروا أوضاع صورهم بالتطابق مع معايير تتكرر علي نطاق واسع وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد.

## ٢- للفرد :

والشخص الذي يقوم بهذا الاختيار من الواضح ان له هوية معينة: هو أو هي قد يكون شاباً أو متقدماً في السن، شامان لو مُخصّصاً عادياً والفن لم يمارس ابداً بواسطة الجميع بلا استثناء، وعلي ذلك يجب البحث عن نوع



آخر من للعلاقة في الرابطة بين العمل الفني الذي عاش ونوع الفرد الذي أبدعه. وفي بعض الحالات، في فن القبائل في تاريخ متأخر كما في بعض العصور ما قبل التاريخ، من الممكن التأكد من أن للعمل قد تم تنفيذه بواسطة أحد من ذوي القوي الخارقة، أو غير ذلك، أو بواسطة رجل أو امرأة.

٣- الزمن:

الصورة الزيتية أو النقش تم في وقت معين من النهار أو الليل، في الصيف أو في الشتاء أو حتي في نقطة معينة من حياة الفنان الشخصية، أن عملية تنفيذ العمل حدثت في سياق نيناميكي قبل أو بعد للصيد، قبل أو بعد الأكل أو النوم، وقبل أو بعد أو إنشاء عمل لشيء أخرى. كما أنه حدث في ظل ظروف خاصة، في لحظة كان فيها الفنان بمفرده أو بصحبه آخرين أثناء احتفالية أو ممارسة للتأمل في مكان به ضجيج أو سكون تام- ومثل أي عمل فهو يدخل في سياق زمني معين، ونتاج معين. وهكذا يكون أمامنا نوع آخر من العلاقة، وهي العلاقة بين العمل وسياقه الزمني، ما لا نستطيع أن نفعل أكثر من التخمين، حتي عندما نكون قادرين علي معرفة ما إذا كانت الصورة للمعينة لها وظيفة عامة أو خاصة.

#### ٤- العلامات وأنواعها:

هناك عدة أنواع من العلامات، توجد علاقات بين كل من العلامات المتشابهة والعلامات المختلفة، ويمكن أن نستخدم تعبير 'طريقة التركيب' بالنسبة لشكل العلاقة، بمعنى وضع الأشياء بجانب بعضها وتعقب المشاهد، وقد أحتوت رسوم الفنان البدائي علي جدران الكهف علي علامات رمزية ورسوم تعبيرية متميزة ومتكررة بأختلاف الأماكن والأزمنة في تلك

المعصور العتيقة، وقد أخذت هذه العلامات شكل اسطوانات ذات أسهم وأفرع وعصي وعلامات في شكل أشجار وصلبان، وعيش للغراب ونجوم وثعابين وأشكال متعرجة، أما الرسوم التعبيرية فهي تبدو أنها قد نتجت من انطلاقات عنيفة للطاقة ومن الجائز التعبير عن المعاصر حول الحياة والموت، أو مشاعر الحب والكراهية، ولكن يمكن أيضاً أن تفسر علي أنها نذير أو بشير أو تعبير عن ملاحظات أخرى شديدة الدقة.

وهي تتكرر أكثر في الكهوف وعلي الأشياء المنقولة عنها من فن الصخر في الأماكن المفتوحة، والتي يكون اختيار الصخر فيها وشكله الفعلي محققاً لدور هذه الرسوم التعبيرية.

ولجأ الفنان البدائي إلي تصوير ورسم أشكاله ورموزه وتعبيراته علي جدران الكهوف بالفرجة الي محاكاة الطبيعة، وليست الطبيعة والواقع المرئي فحسب، وإنما أيضاً كل ما يعرفه الفنان البدائي عن الطبيعة والبيئة المحيطة به والحيوانات التي صورها علي تلك الجدران والتي تمتاز بالحركة والعفوية والتلقائية والسرعة في التعبير.

وقد كان الفنان البدائي يتمتع بحساسية غريزية عالية وكان كل شيء في نظره يتصف بالحيوية وخاصة الظواهر الغامضة بالطبيعة - مثل الأجساد الميتة والدم والرعد والبرق والعواصف، وتلك الظواهر التي كان تنير مشاعره وغرائزه وأحاسيسه والتي انعكست علي نشاطه وتعبيراته الفنية.

ومن هنا نستطيع ان نقولهم ما نحلمه هذه التعبيرات من مضامين من خلال التعرض للأهداف والأغراض والتي دفعت الفنان الأول في عصر ما

قبل انتشاره لأننتاج هذه الرسوم الصخرية وكذلك يمكننا ان نتعرض للعوامل المؤثرة على هذا الفن والتي جعلته يصاغ في هذه الأشكال.

### **١- الأغراض التي دفعت الإنسان الأول لإنتاج الفنون البدائية :**

كان لظهور الفن في عصر ما قبل التاريخ عدة دوافع قام بتفسيرها العلماء والمؤرخون والباحثين في عدة نظريات توضح الغرض من وراء الصور الجدارية المرسومة علي حوائط العديد من الكهوف في العصور الحجرية، وقد استندت تلك النظريات علي أساسين هامين لتفسير دور الفن ووظيفته وفلسفته في تلك المجتمعات البدائية، وأحدهما أرتكز علي أن الفن كان موجهاً لخدمة لموضوعات النفعية لثبوتية الاحتياجات المادية الحياتية، أو استجابة لنزاع ديني أو سحري (تفسير برجماتياً)، والنظرة الأخرى ارتكزت علي أن دور الفن يتمثل في الطقوس القائمة علي المعتقدات الدينية والمعارف الروحية والتعبير عن الأفكار والمعتقدات للفرد وشعوره وانتمائه للجماعة ( تفسيراً استنطائياً ميثافيزيقياً).

### **الدافع الأول**

#### **الاعتقاد بأن الفن من أجل السحر:**

يدعم هذا الاعتقاد عدد من البحوث العلمية التي أكدت أن الرسوم الجدارية في العصور للحجرية ما هي إلا نشاط سحري، وقد أُنْفِقَ معظم الباحثين والمؤرخين للفن البدائي علي السحر بعد بمثابة عملية إجرائية تتبع تقاليد سحرية، وأن هدف الحصول علي الغذاء واضطرار الإنسان البدائي إلي المعبي المتواصل لايتغناء صيد الحيوان كان يستلزم توجيه نشاطه بما

في ذلك نشاطه وتعبيراته اللغوية إلي ما يساعده في تحقيق هدفه والحصول على الحيوان، ولعل ذلك يكون نوعاً من السحر الفطري الذي يسهل للصيد لقتناص الغريسة، حيث كان الحيوانات كثيراً ما ترسم وعليها آثار سهام حقيقة ووجهت إليها بعد رسمها، وكان الجروح الموجودة علي الصور الجدارية نتيجة تلك السهام المقذوفة عليها تعد أكبر دليل علي أن الرسوم كانت لخدمة الطقوس السحرية، فالسحر موجهاً أساساً للحصول علي الغذاء الذي هو من أهم ضروريات الحياة عند الإنسان البدائي.

ولقد أعتقد صياد العصر الحجري انه إذا استحوذ علي الشيء في الصورة، ويظن أنه سيطر علي الموضوع عندما يصوره برسومه وكان يعتقد أن للحيوان الحقيقي يعاني بالفعل من قتل الحيوان الذي تمثله الصورة، ومما يؤكد علي الاعتقاد بأن الفن البدائي كان موجهاً لخدمة السحر، هو أن التصوير والرسوم الجدارية كثيراً ما كانت مخبئة في أركان الكهوف ولا يمكن الوصول إليها ولا أن يتسرب إليها شعاع من الضوء أي أنها كان في موضوع من المستحيل أن تستخدم فيه علي أساس الزخرفة والتجميل.

وكذلك فإن هذه التصوير قد وضعت فوق بعضها في اللوحة الواحدة مما يؤدي إلي إزالة أي اثر زخرفي منذ البداية، ومن المؤكد أن المصورين لم يكونوا مضطرين إلي رسم صورهم لوحدة فوق الأخرى إلا إذا كان لم يكن لديهم مكان فسيح، كما أن ذلك الوضع للصور فوق بعضها دليل علي أن الصور لم تخلق بقصد إمتاع العين علي الإطلاق.

ومما يدعم الاعتقاد بأن الفن من أجل السحر تلك الصور البترية المنتكرة علي هيئة حيوانات كانت تؤدي رقصات سحرية، حيث وجدت

مجموعة من الأقنعة الحيوانية المتجمعة لا يمكن ان تفهم إلا اذا نسبت إلي الغرض اسحري.

أما عن تصوير الأماكن المعزولة التي وجد العديد من الرسوم بها وفي الكهوف يصعب الوصول إليها سواء في قمم المرتفعات أو تحت طبقات الأرض وأحياناً نصل إليها من خلال ممرات ضيقة يصعب المرور بها، فهو ما يؤكد أن الرسوم كانت لأغراض سحرية، وهو ما يؤكد علماء النفس والباحثين في مجال السحر قديماً وحديثاً ومنهم علي سبيل المثال لا الحصر ما قاله 'أبو مسلم المجريطي الأندلسي' في كتابه 'غاية الحكيم' (لأحد مخطوطات دار الكتب المصرية) وأكده أحمد الشنتاوي في كتابه 'فنون السحر' فيقول المجريطي: يجب علي المشتغل بهذا العلم أن يكون مؤقناً بصحة ما يعمل لا يدخل شك في عمله أو أرتياب لتقوية بذلك فعل النفس للناطق ومن شروط هذا العمل أن يستمر المشتغل به عن البشر وعن رؤيتهم وعن شروق الشمس وضوئها، وألا يُطلع عليه إلا صحيح العزم مأمون الصبغة لا متهاوناً ولا مزدرياً بجميع ما يصدر عن روحانية الفلك من الأعمال المنسقة الباهرة القاهرة لهذا العالم.

كما يؤكد للباحثين في هذا المجال أنه دائماً ما تجد اختلاق جو الغموض والمعاناة في استخدام مواد نادرة ويصعب الحصول عليها في عمل التلويد والطلاسم السحرية وربما يكون هذا أحد المنبررات لأماكن الغريبة التي وجدت بها هذا الكهف والغرض من هذه الرسوم.

## الدافع الثاني

### الاعتقاد بأن الفن من أجل الفن

تشير الأبحاث التاريخية إلي أن الإنسان عندما كان يوجه نشاطه لإنتاج عمل ما لم يكن ينتج هذا العمل ليصقنه إلي إتجاه فني مطلق، بل لينتج عملاً هو مزيج من العناصر النفسية والفنية ولكن بدرجات متفاوتة ولا يمكن تصور عمل ما لا يضم عناصر النفع والفن معاً.

كذلك أكد الباحثون أن هناك شرطان أساسيان لقيام الفن هما: فكرة المحاكاة، وفكرة إنتاج شيء من لا شيء. وهما فكرتان قد ظهرا في عصر التجريب والسحر.

وعليه فقد استخدم الفنان الصياد تلك الأفكار، ونراها واضحة في أعماله الفنية مثل الأشكال الطليئة لليد وجنت في أماكن كثيرة قرب للتصاوير الموجودة في الكهوف حيث قامت علي فكرة المحاكاة لليد البشرية وبالتالي ولدت استمتاعاً جمالياً.

كذلك تراكب الأشكال وحلوه في ملء الفراغات وصياغاته لأشكاله وتحقق السيادة والتنوع والحركة الأيقاعية ومعالجتها لإيجاد إتران في صياغاته التشكيلية كذلك فإن التناسق الذي يبهج لل نظر قد تواجد في بعض اللوحات الرائعة في كهوف " لاسكو" بفرنسا علي سبيل المثال، فنراه جلياً في الحركات والتعبيرات المختلفة للحيوانات، وبعض التفاصيل للجريشة جميعها تشير إلي أنها صممت بقصد إمتاع العين. أيأ كان الغرض منها بالإضافة إلي أن المفاهيم والمعانيير الجمالية الحائية لا يمكن تطبيقها علي ما تم إنتاجه في عصور ما قبل التاريخ، حيث ان جماليات هذه الفنون نابعة من

مصادر بيئية ومناخية وثقافية خاصة ومختلفة أدت إلى ابتكار هذه النوعية من الفنون بسماتها المميزة.

وسوف نتناول بالتفصيل جماليات هذه الصياغة والمعالجات والمسمات التشكيلية لهذه الرسوم وتصاوير والكهوف فيما بعد وسواء كان الفن عملياً أو سحرياً دينياً أو للزخرفة فإن الوظيفة التي يؤديها في الثقافات البدائية واحدة، وهي إشعار الفرد بالانتماء للمجموعة، وأياً كان الشيء المراد للتعبير عنه بواسطة الفن فالمقصود هنا هو جذب اهتمام المجموعة وتقوية ما بها من رولبط بطريقة أو بأخرى.

### - العوامل المؤثرة علي الفن البدائي :

يري العديد من الأنثروبولوجيين (علماء دراسة الأجناس) أن البيئة هي المحك الأول لتصنيف إكتشافات فن ما قبل التاريخ، حيث أن البيئة هي المسيطر العام في شتي أنواع الحياة وبصفة خاصة كانت الظروف الطبيعية تأثيرها المباشر والفعال علي الإنسان نفسه بتقنياته وأصاليه. ولذا لا بد من الأهتمام بالعوامل أو الظروف التي أثرت علي إنسان هذا العصر وخاصة فنانيه، فأي فنان هو جزء من بيئته الجغرافية، الاجتماعية التي ينشأ فيها ويحترم أسسها وقواعدها مهماً كانت بسيطة كما أن السبب أو الغرض الذي جعله ينتج هذا العمل الفني لابد وأن يعود إلي سبب اجتماعي مهما بعد أو قرب ومهما صغر أو كبير هذا المجتمع هو ما يسميه "أرنولد هاوزر" بالعامل الاجتماعي الذي هو في واقع الأمر عامل سياسي، إقتصادي، ثقافي وتاريخي في آن واحد.

وعليه سوف نتعرف علي طبيعة الظروف الجغرافية والاجتماعية وكذلك الظروف الدينية والاقتصادية التي أحاطت بالفنون البدائية.

### ١- الظروف الطبيعية:

عندما نبدأ في التعرف علي الظروف الطبيعية التي عاشها الإنسان البدائي والتي كان لها أعظم الأثر في سلوكه العام لا بد لنا من الإشارة الي ما مر بالكرة الأرضية من تغيرات صاحبها تقلبات مناخية كبيرة، فمع ظهور الإنسان في العصر البليستوسين نشأ لفن الذي لم يكن فناً بالمعني المعروف حيث كان مجرد إستكشاف لأدوات ووسائل تعين الإنسان علي الحياة.

وفي عصر الباستوسين كانت الظروف المناخية والجغرافية التي عاشها الإنسان الأول قاسية جداً حيث تخللتها أربعة أو خمسة عصور جليدية صاحبها فترات قليلة من المناخ المعتدل ومع انحصار الجليد حيث تنذب ملحوظ في مستوي سطح البحر حيث يرتفع مستوي السطح إلي أكثر من مائة متر ويمتد علي ذلك من المصاطب الساحلية القديمة الي خلفتها المياه والتي ترتفع عن مستوي السطح البحر الحالي إرتفاعاً كبيراً، كما كان تركم الجليد يؤدي إلي أنخفاض مستوي سطح البحر وإكتشاف الجروف القارية التي تصل ما بين القارات أو للجزر فتتكون المعابر الأرضية بين المحيطات والتي لتنتقل عن طريقها الإنسان ما بين القارات والجزر حيث وجدت آثاره في مناطق مختلفة من الصعب تفسير وجوده فيها بوسائل إنتقاله البسيطة.

كما لم يكن الجليد ليقطي سطح الأرض دفعة واحدة بل كانت هناك مناطق تتمتع بمناخ جاف وحرار وعليه فقد حفزت تلك الاضطرابات المناخية



الإنسان الأول للتطور التكيف أو للهجرة، وفقاً لمقتضيات البيئة السائدة في المناطق.

ووسط تلك الظروف شهد الإنسان نصف الرعد ووميض البرق كما شاهد كتل الجليد للضخمة وهي تتساقط من أعالي الجبال إلى الوديان مكتسحة أمامها الأكتجار وكل شيء. هذه المشاهد رسبت في ذهن الإنسان البدائي رهبة من الطبيعة أصيبت رغبته في استرضائها لكي تمنحه من خيراتها.

فأبدع الفنان البدائي تلك التنوعية من الفن لمنح الإنسان القوة إزاء الطبيعة أو إزاء العدو أو إزاء الواقع أو كقوة لدعم الجماعة الإنسانية أي أنه كان سلاحاً في يد الجماعة لثناء صراعها للبقاء.

أي أنه لم يكن نازع الفن عندئذ إستاتيقية أو جمالية علي الإطلاق ولكنها إكتسبت تلك الصفة الجمالية بالتدرج، ولكي يتسني إبراز وفهم المضامين الجمالية للفن البدائي أصبح من الضروري تفهم طبيعة البيئة التي عاشها الإنسان فيما قبل التاريخ، حيث إن توظيف الفن مرتبط إلى حد كبير بجغرافية المكان الطبيعية التي تحدد وجود الإنسان ومستوي حضارته وكفائته وقدرته علي ممارسة مختلف نشاطاته من صيد وزراعة، أو رعي وما يلزمها من حرف.

ولما كان لطبيعة الحياة التي يعيشها الفنان البدائي تأثيرها الخاص علي عمله الفني، وكان الحيوان هو محور حياته القائمة علي الصيد والقتل فلا غرابة أن يصبح هو بطل أعماله الفنية بلا مازع تقريباً، فتجده في النحت، والنحت البارز، والنقش، والتصوير الجداري وحيثما بحثنا في مكان له نجد فيه وحوشاً وسمكاً وللحيوانات التي تحيط به حيث كانت حياته الفنية ممتلئة

بالأشكال الحيوانية التي يحبها والمتواجدة في بيئته، ولقد تنوعت الأشكال الحيوانية المصورة باختلاف البيئات التي تواجدت فيها.

كما وجدت الأسلحة المصقولة كما لو كانت مصنوعة من معدن خالص فهناك الفؤوس والمقاشط والرماح والحراب المختلفة الألوان منها الرمانية والسوداء والخضراء اللاتي يتميز برشاقتهما الناتجة عن التوافق بين الأداء الوظيفة التي أدت إلي إبداعها.

كما يلاحظ إنسان العصر الحجري القديم بعض التركيبات للحجرية لكيفه حيث بدت هيائها وأشكالها تشبه أشكال الحيوانات التي يصطادها فاستفاد الفنان الصياد بشكل جوهري من طبيعة السطوح غير المنتظمة للجدار، وكذلك من بروزاتها هنا وهناك ومن بعض تشققاتها ونقعاتها وحوافها، حيث أوحى له بتخيل مقارب للوجود الحقيقي للأشكال المرسومة، فعلى سبيل المثال استطاع من خلال الانتفاخ البارز في الصخر أن يعطينا إنطباعاً بصرياً بالحجم المتكور لجسد الحيوان.

كما اكتشف البدائي من سيره على سطح الأرض الموحلة ومن الحفر التي تنشأ نتيجة ضغط أهلامه خصائص اللطين المبلل فوجهه ذلك إلى إعمال يده بالتشكيل وصنع المجوفات، ودخل الإنسان عصر الخزف والنحت من هذا الطريق ثم ساعده اكتشاف النار على حرق التماثيل والأواني.

وعليه فيمكننا تصور العناصر الأولية التي كانت تتخذ مظهراً رسامياً وفنانياً ما قبل التاريخ التي استمدتها من عناصر بيئته الطبيعية.

## ٢- العوامل العقدانية؛

تعددت أشكال المعتقدات الدينية والبدائية للإنسان الأول فكان لكل حرفة ومهنة ولكل فن إله خاص كما كان الشعور بالخوف من المصير هو أكثر المشاعر بروزاً في حياة الإنسان الأول وفكرة القضاء مصدر إلهام له، ولذا أراد الوقوف على أسبابها، وبناء على ذلك تولدت العقيدة وكل مظاهر العبادة وطقوسها من رقص وتقديم القرابين لإستدراج عطف الآلهة.

كما تؤكد الاكتشافات العملية أن العقائد كفكرة يستمد منها الشعب ثرائه ولا توجد جماعة من الجماعات الإنسانية منذ الإنسان الأول وغير مراحل التاريخ وليس لها معتقد ديني على الأقل.

ويمكن تقسيم المعتقدات الدينية أو السحرية بالعصور البدائية تبعاً لنوع العبادة إلى صورتين أساسيتين:

الصورة الأولى: وهي ما تعرف بالعبادة الأرضية.

الصورة الثانية: وهما تعرف بعبادة الأسلاف.

### أ- العبادة الأرضية؛

حفلت تلك المعتقدات بأنواع كثير من المعبودات الطبيعية من مظاهر الطبيعة وطواطم (وهي جمع طوطم ويعني أحد الحيوانات والذي غالباً ما تسمي الجماعة أو القبيلة البدائية بأسمه، ويعد لحمه محرماً على أفرادها الذي يعتقدون أنهم أخطأوا عنه لذلك يجب عليهم القيام نحوه بشعائر وطقوس معينة في مواسم محددة)، وقد مزجوا تلك العبادات بطلاسم السحر والشعوذة.

ومن هنا يمكن أن تقسم هذه العبادة الأرضية لنوعين من العبادات  
أحدهما عبادة الطبيعة والأخرى عبادة الحيوان.

### - عبادة، مظاهر الطبيعة:

حيث عبد الإنسان الأول السماء وما فيها حيث سيطرت عليه فكرة  
وجود روح مختلفة الصورة هي التي ترسل السحاب وتمسك المطر  
تجمع الرعد، كما عبد الشمس وكان للبدائين القدماء لأرواح أخرى  
تحت الأرض وهي الأرواح الشريرة وكانوا يعتقدون أنها تنطوى على  
الحب والإجلال، وكان نصحب عادةً بأناسيد وطقوس تتم عن التوبة  
والهلع وكانت هذه القوى غير البشرية هي المعبودات الحقيقية الأولى  
للإنسان الأول.

### - عبادة الحيوان:

نقد عظم الإنسان البدائي للحيوانات وعبد بعضها ويرجع السبب في ذلك  
إلى قدراتها، فمثلاً كان الطور أحياناً مقدماً لقوته وقدرته، كما قدم  
البدائيون الأفعى لأنها ترمز إلى القدرة على الفتك بأكبر الأعداء وأقواهم  
كما أنها خالدة لا تموت حسب معتقداتهم.

### - عبادة الأسلاف:

نشأت هذه العبادة نتيجة لإعتقاد البدائيين بأن الموتي لأرواحاً قادرة على  
أن تقدم للناس الخير والشر وتستقرض بالفرايب وعلي هذا الأساس كان  
الأقدمون يسترضونها بطقوس يقصدون بها إبعادها وإقضاء شرها. وعندما

غدا للإنسان البدائي عقيدة ودين، وإذا لهذا الدين معبد وهيكل أصبح الإنسان يمارس لونين من الفن: لوناً دينياً، لوناً دنيوياً.

وإذا فنه يتشكل هو الآخر فتخرج رسومه من بساطة الخطوط إلى التعقيد الهندسي، ومن هنا أخذ ذلك الأسلوب الهندسي الزخرفي يظهر ويهيمن على الفن هيمنة مطلقة لأي أسلوب آخر، وأصبحت رسالة الفن التعبير عن الجوهر الباطن من محاكاة الكائنات المتواجدة في الطبيعة أي أخذ الفن في الرمز إلى الموضوع بدلاً من محاكاة مثالية.

### ٣- العامل الاجتماعي:

وأوضحت الدراسات المتعددة أن هناك صلة وثيقة بين الفن والمجتمع الذي يعيش في الإنسان بكل ما يشمله ذلك للمجتمع من المظاهر البيئية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية المائدة فيه. فمن تلك المظاهر مجتمعه يستمد الفنان الأفكار والصور الذهنية والوسائل التي تظهر في شكل أو آخر من أشكال التعبير عن للفني سواء كانت نحتاً أو لوناً زخرفية كما يظهر أيضاً أشكال الرقص، الموسيقي، الشعر، الأساطير، القصص وغيرها من للوسائل التعبير الفني.

فحينما كان البدائيون يعتمدون في حياتهم على الصيد غلبت على رسومهم في الكهوف صور الحيوانات ثم عندما انتقل يعد ذلك إلى رعي الماشية فكان أغلب إنتاجهم الفني في تلك الفترة من تماثيل الحمار أو العاج أو العظم ثم إنتقل إلى مرحلة الاستقرار والزراعة واعتدي الإنسان إلى بناء مسكن من قوالب الطين فكان هذا التجمع سبباً في نشأة التقاليد التي تنظم

علاقة الأفراد بعضهم ببعض في الأسرة الواحدة وعلاقة الأسرة بغيرها وهي صورة التجمع الذي يتطور بعد ذلك الي العشيرة فالقبيلة فالقرية فالمدينة وعند ذلك أخذ الإنسان يدخل الطور الحضاري وفي كل هذه المراحل كان الفن جماعياً، وكان للفن بذلك وظيفة أساسية في تلك المجتمعات وهي حفظ للقيم ونقلها من جيل إلي آخر بطريقة رمزية أي من خلال تحويل القيم إلي رموز يتم نقلها عبر الأشكال الفنية ولا يعرف محتواها إلا أصحاب الثقافة أنفسهم.

ومن أهم ما يميز الحياة الاجتماعية في المجتمعات البدائية:

١- المجتمعات البدائية نجد فيها صلات متشابهة بين كلاً من العقيدة والبيئة الاجتماعية، وبين البيئة الاجتماعية والتنظيم الاقتصادي، وبين العناصر السحرية والعملية أي أن هناك تكامل بين كلا من الإشكال الرئيسية للثقافة.

٢- العرف يحكم تصرفات وردود فعل المجتمع تجاههم.

## ٤- العامل الإقتصادي:

لما كانت الطبيعة هي محور حياة الإنسان فكان عليه أن يجمع ما يقتات به مما تقدمه للطبيعة منقفاً في ذلك كل وقته، ثم أصبح الإنسان صياداً بارعاً في فنون الصيد المتعددة ولا شك أنهم كانوا صيادين مهرة (عتمدوا في معيشتهم بشكل خاص علي لحم الحيوان الذي توافر بأحجام كبيرة مثل "الماموث" ) وهو حيوان يشبه الفيل إلا ان مظهر أكثر انحداراً من الفيل وإنه أكبر وحجمه أكبر ويكسو جسمه شعر كثيف وطويل يساعده علي

تحمل برودة الجو، وقد انقرض هذا الحيوان ولم يبق من سلالاته سوى الأفيال)، وكذلك الجاموس الوحشي والماشية البرية الضخمة والخيول الصغيرة نسبياً، والتي كانت موجودة بوفرة في تلك الأزمان.

وبالطبع تختلف أنواع الحيوانات التي تعتمد عليها كل جماعة في غذائها حسب الظروف البيئية التي تتواجد فيها تلك الأنواع من الحيوانات ولكن تشترك للجماعات البدائية التي تعيش على القنص في أكل القنصة بغض النظر عن قنصها، فلقد ارتبطت حياة الإنسان في المجتمعات البدائية بالحيوان تماماً بعد أن تخرج في جمع غذائه إلى صيد ما يقنات به وكانت مظاهر هذا الارتباط واضحة فيما تركه من آثار فنية سواء في تصاويره على جدران الكهوف أو الملوي الصخرية أو على أدواته المختلفة، حيث ظهرت المهارة والبراعة في رسم لقن التفاصيل الخاصة بالحيوان كما صور رحلات الصيد وكذلك بعض الصور التي توضح مصارع بعض الصيادين وتذكرهم عند إقتفاء أثر الحيوانات.

وظل الحال على ما هو عليه حتى ظهرت الزراعة واتخذت حرفة إلى جانب الصيد أول الأمر ثم أصبحت هي محور الحياة وهكذا تغير ذلك الأسلوب غير المستقر الذي كان يعيش فيه القناصة والذي ساد العصر الحجري القديم وحل محله أسلوب آخر خلال العصر الحجري الحديث أسامه تلك العلاقة التي تربط بين الزراعة وسكنه وبذلك خرج الاقتصاد عن مرحلته البدائية الفردية التي كان يحياها الصيادون إلى مرحلة تعاونية فرضتها طبيعة البيئة التي يعيشها الرعاة والزراع وكان لهذا الاستقرار أثره على التدرج في البيئة الاقتصادية حيث عرفت المجتمعات البدائية والزراعية

وتربية الحيوانات وتدجينها (استأنسها) بالإضافة إلى ذلك عرفوا بعض الصناعات مثل صناعة الأواني الفخارية والنسيج حيث وجدت آثار فخار ونسيج في قري العصر الحجري الحديث في وقت مبكر نسبياً كما ظهرت آلات أكثر تطوراً وظهرت آلات للزراعة.

وعليه فتتوزع الفنون البدئية تبعاً لاختلاف نوع الحياة الاقتصادية التي يحياها المجتمع فالاعتماد الكيان الاقتصادي على الصيد لكان الحيوان هو محور الحياة وموضوعها الأساسي للفنون بينما تصيح في المجتمع الزراعي الأرض والأنهار أو الأمطار هي الموضوع الأساسي لأفراد المجتمع وفنائه وبالتعبية يتضح أثر انعكاس العامل الاقتصادي للمجتمع في العصر البدائي على فنائه في شتي الصور للفنية.

## النظريات المفسرة للفن البدائي

### تمهيد :

اكتشفت آثار فن ما قبل التاريخ لأول مرة عن طريق الصدفة في أسبانيا أواخر القرن التاسع عشر، وكان ذلك الاكتشاف بمثابة الصاعقة لمباحثين الآثار حينذاك، فأمام جداريات فنية حقيقية كالتي اكتشفت بكهف التاميرا Altomira سنة ١٨٧٩ من طرق طفلة ذات الخمس سنوات كانت ترافق أباها وهو مزارع مولع بالبحث في الآثار يدعي "ساوتيوولا" Marcelinosavtvola والذي أعلن اكتشافه هذا سنة ١٨٨٠ ولم يتلق سوى إزدراء واستخفاف العلماء والسبب هو أن الأمر كان يبدو شيئاً غريباً منسجم مع ما تصوره عن عقلية ومعارف أولئك البدائيين.



وقبل أن يعترف العلماء بتواجد شيء اسمه قبل التاريخ، استهزئ للكثير منهم فمن حاول التنبيه إلى أهمية تلك الاكتشافات، بل ومنهم من نعتهم بالاحتيال والغش كما حدث مع "ساوتيلولا" الذي أمضى بقية حياته محاولاً جذب الاهتمام إليها، ولم يرد الاعتبار إلى اكتشافه إلا بعد عشرين سنة من وفاته أو خولن فيلا نونفا Juanvilanova الشاب الجولوجي الذي حاول الدفاع عن ملف "ساوتيلولا" دون جدوي إلى حين اكتشاف كهف لاموث Lamothé سنة ١٨٩٥، ثم توالت الاكتشافات في أوروبا وخصوصاً في فرنسا ثم في ستينات القرن العشرين بشمال أفريقيا ككهوف تاسيلي بليبيا والجزائر بالصحراء الكبرى وشاد وتانزانيا .. وغيرها .

وعلى أثر اكتشاف كهوف لاسكو Lascaux بفرنسا عام ١٩٤٥ تسنى الوقوف على أقيم الآثار المكتشفة حتي ذلك فبادر علماء الآثار إلى وضع تمثيل تاريخي على ضوء ما تواجد لديهم من المعلومات كما أثبتت عن ذلك العديد من النظريات لتفسير الفن البدائي، وأهمها خمس نظريات تتمثل في :

١- نظرية الفن لأجل الفن .

٢- نظرية الطوطمية .

٣- نظرية القدرة السحرية .

٤- النظرية البنوية.

٥- النظرية الشامانية .

### ١- نظرية الفن لأجل الفن :

وهي تصور للفنان البدائي كمحب للجمال وأن همه كان اقتفاء الحسن والمتعة، وربما كان وراء هذا التصور ما تحقق بأعمال الفنان البدائي من

معالجات تشكيلية لتراك الأشكال وحلول ملء الفراغات وصباغات مبتكرة وتحقق السيادة والتنوع والإيقاع والاتزان مما أضفى قيماً وأبعاداً جمالية لتلك الرسوم البدائية، ولكن تواجد هذه الرسوم في جحور مظلمة وعلى بعد مئات الأقدام من مدخل المغارات يجعل تصور رسم تلك الجداريات لهدف تزييني وزخرفة جمالية أمراً ياهتأ (كما ذكرنا ذلك فيما سبق بالأغراض التي دفعت الإنسان الأول لإنتاج الفنون البدائية).

### ٢- نظرية الغدرة السحرية :

وتفترض أن تمثيلات الحيوانات أو مشاهد الصيد كانت كفيلة بمساعدة إنسان الكهوف في البحث عن قوته وذلك لظنه أنه من خلال قدرة خارقة بالصور يستطيع أن يطرد الأرواح الخبيثة ويضمن بذلك صيداً وفيراً إلا أن هذا الاعتراض لا ينطبق على تواجد العديد من تمثيلات لحيوانات وعناصر وأشكال .

### ٣- نظرية الطوطمية: Totemism

الطوطم هو كائن حي يكون على شكل حيوان أو نبات أو يشكل جزءاً من حيوان أو نبات، وهو كائن طبيعي أو ظاهرة طبيعية أو رمز لهذه الأشياء يمثل الصفات المميزة لجماعة بشرية أو جماعات بشرية تعيش في مجتمع معين.

أخذت كلمة 'طوطم' عن الأوجيوا، وهي لغة يتحدث بها هنود للبحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية، وقد أدخلها إلى الغرب ج. لونغ عام ١٧٩١، لكن استخدامها الأنثروبولوجي يعود إلى ف. - ج. ماك لينان (١٨٦٩ - ١٨٧٠).

يستخدم الأوجيبيوا كلمة 'طوطم' بمعنى علاقة محض اجتماعية (قرابة أو صداقية) قائمة بين شخصين. هناك بعض جماعات من الأوجيبيوا تنتظم في عشائر أبوية النسب وخارجية للزواج، وتتخذ كل عشيرة لقباً مستمداً من إحدى فصائل الحيوان .

وتستخدم العبارة أحياناً للدلالة على الانتماء العشائري ( مثل الدب هو عشيرتي )، إلا أن هذه العبارة تمثل اختصاراً لما يغطيه المعنى التالي: 'لنني ذو قرابة مع كل من ينتمي إلى العشيرة التي تتخذ لقب الدب، وبهذا فإنني أنتمي إلى هذه العشيرة'.

وتتعرض للنظرية الطوطمية إن قرابة صورة الإنسان من صورة الحيوان ( كجسد وروح ) جعل الإنسان يحسّ من نفسه في نفس الحيوان. فكثرت تخيلات انتقال النفس بعد الموت إلى حيوان أو إلى إنسان آخر. ومن ثم نشأ تشخيص نفس العائلة في كائن حيواني أو نباتي وهو الطوطمية Totemismus. فاختصت كل عشيرة لنفسها بحيوان - وهو الأكثر - أو نبات أو جبل معيّن تعرف به. وفي المثال الأخير نجد اتجاهها نحو الإقامة. ومن نزول عدة عشائر لطواطم مختلفة في بقعة واحدة ينشأ الطوطم المكاني الذي يجمعهم جميعاً ويخضع له كلّ واحد منهم.

وقد أخذ علماء الأنثروبولوجيا في استعمال اصطلاح طوطمية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين خصوصاً بعدما طرحوا مجموعة استفسارات أكاديمية تتعلق به وحاولوا الإجابة عليها. والسؤال الذي طرحه علماء الأنثروبولوجيا عن موضوع الطوطمية هو لماذا فكرت الجماعات الاجتماعية بالكائنات الطبيعية؟ وبعد طرح هذا السؤال حاول العديد من

العلماء مثل فريزر، بلدوين، سبنسر، وريفرز الإجابة عليه، إلا أن إجاباتهم كانت تغطي عليها الصبغة التاريخية.

لكن الطوطمية تظهر في مجتمعات تتميز بصفات معينة مثل وجود نظام للزواج الخارجي (Exogamy) بين الجماعات والقبائل للطوطمية، تحريم قتل أو أكل طوطم الجماعة أي اللون الذي تعيده الجماعة وتتخذ رمزاً لها، استعمال الشعارات للطوطمية وهكذا. أن جميع هذه الصفات تميز المجتمعات الطوطمية وهذا ما يسبب صعوبة تعريف معنى الطوطمية. غير أن الطوطمية يمكن تعريفها بأنها مؤسسة مستقلة لها صفات جوهرية خاصة بها وكثرة هذه الصفات سببت مشاكل كثيرة في تحديد معناها الحقيقي.

وتعد الطوطمية أحد أقدم أشكال الديانات في المجتمع المشاعي البدائي، والسمة الأساسية للطوطمية هي الاعتقاد بوجود أصل مشترك وعلاقة ورفيقة بين مجموعة من الناس ونوع محدد من الحيوان أو الأشياء أو الظواهر. وقد ارتبط ظهور الطوطمية بالاقتصاد البدائي (الصيد وجمي للفاكهة، الخ)، ونقص المعرفة بالروابط الأخرى في المجتمع إلى جانب قرابة الدم.

والمفهوم البدائي للطوطم هو السلف الحيواني وصورته أو رمزه، وأيضاً مجموعة من الناس. والطوطم - الحامي القوي للناس - هو الذي يمدهم بالطعام. والطوطمية منتشرة بين القبائل الأصلية في استراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأفريقيا.

وهكذا نجد أن الأفكار الانسانية القديمة اجمعت على اتخاذ الطوطم رمزاً للتقديس يستمر مع الحياة، لغرض استمداد القوة والعون والتبرك منه،

وكارث تحرص الثقافة على المحافظة عليه، وقد درجت للعديد من التكوينات الانسانية على ذلك، كأن يتم تقديم الجد الاعلى او رمز معين وجعله طوطماً خاصاً لتلك المجموعة او تقديس شيء معين قد نسجت هذه التكوينات خيالاً حوله بما يعود عليها بالفائدة.

عندما نسمع عن الطوطم قد نعتقد بأن ذلك التكوين قد تلاثى بتلاثي العقليات القديمة، ولم يعد يتلائم مع العقلانية والعلمانية والعولمة والحداثة وما بعدها وغيرها، وربما بعض من هذا التفكير صحيح، فالتلاثي قد تم فقط في عدم تداول مصطلح للطوطمية على الاغلب، الا ان علماء الاجتماع المعاصرين يزوا أن الطوطم حاضراً ومتواجداً ومتأصل في كثير من مناحي حياتنا، بل هو الدافع الى كثير من امور حياتنا ومميز لها ايضاً.

## ٤- النظرية البنوية : Structuralism

تعد النظرية البنوية منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض، يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية، لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المولدة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكر الممثل أو عقيدته الخاصة ونقطة الارتكاز في هذا المنهج هي الوثيقة، فالبنية، لا الإطار، هي محل الدراسة، والبنية تكفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها للجسوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها، وإن الانفعال أو الأحكام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تجزئه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، وإذا يجب فحصه في ذاته من أجل مصمونه وسياقه وترباطه العضوي، والبنوية، بهذه المثابة، تجد أساسها في الفلسفة الوضعية لدى كونت، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية، ومن هنا كانت خطورتها.

يهي تؤمن بالظاهرة - كبنية - منعزلة عن أسبابها وعلاها، وعما يحيط بها.. وتضعي لتحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، وذلك لفهمها وإدراكها.. ومن هنا كانت أحكامها شكلية كما يقول منتقدوها، ولذا فإن البنيوية تقوم على فلسفة غير مقبولة من وجهة نظر تصورنا الفكري والعقدي.

وتعد الفلسفة للوضعية لدى كونت، التي لا تؤمن إلا بالظواهر للحصية - التي تقوم على الوقائع للتجريبية - الأساس الفكري والعقدي عند البنيوية.

إن دراسة أي ظاهرة أو تحليلها من الوجهة البنيوية. يعني أن يباشر الدارس أو المحلل وضعها بحدوداتها وتفصيلها وعناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره أو عقيدته الخاصة في هذا، أو تدخل عوامل خارجية بها وكل ظاهرة - تبعاً للنظرية البنيوية - يمكن أن تتشكل بنية بحد ذاتها، فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية.. وهكذا.

تتلاقى المواقف البنيوية عند مبادئ عامة مشتركة لدى المفكرين الغربيين، وفي شتى التطبيقات العملية التي قاموا بها، وهي تكاد تتدرج في المحصلات التالية:

- السعي لحل معضلة التنوع والتشتت بالتوصل إلى ثوابت هي كل مؤسسة بشرية.
- القول بأن فكرة الكلية أو المجموع المنتظم هي أساس البنيوية، والعمد التي تؤول إليه في نتائجها الأخيرة.
- لأن منارت البنيوية في خط متصاعد منذ نشوئها، وبذل العلماء جهداً كبيراً لاعتمادها أسلوباً في قضايا اللغة، والعلوم الإنسانية والفضور،

فإنهم ما اطمأنوا إلى أنهم توصلوا، من خلالها، إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقائق ثابتة.

إن البنيوية لم تقتزم حدودها، وأنست في نفسها القدرة على حل جميع المعضلات وتحليل كل الظواهر، حسب منهجها، وكان بخيل إلى البنيويين أن للتفسير لا يحتاج إلا إلى تحليل بنيوي كي تفتح للمحل والمفسر كل أبنية معانيه المعبهة أو المتوارية خلف نقاب المسطح. في حين أن التحليل البنيوي ليس إلا تحليلاً لمستوى واحد من مستويات تحليل أي بنية رمزية، نصية كانت أم غير نصية، والأسس الفكرية والعقائدية التي قامت عليها، كلها تعد علوماً مساعدة في تحليل البنية أو للظاهرة، إنسانية كانت أم مادية. علم تهتم للبنيوية بالأسس العقائدية والفكرية لأي ظاهرة إنسانية أو أخلاقية أو اجتماعية، ومن هنا يمكن تصنيفها مع المناهج للمادية الإلحادية، مثل مناهج الوضعية في البحث، وإن كانت هي بذاتها ليست عقيدة وإنما منهج وطريقة في البحث.

وتفترض هذه النظرية أن وراء الفوضى الظاهرة في لفن البدائي برسوم الكهوف يوجد نسق وبنية يمكن إظهارها بالإحصاء فقد أكد الباحثون والمنظرون إلى أن هناك بنية للكهف في مجمله بتمثيلات مدخله وتكوينه لداخلي وتنظيم الجدارية بتشكيلات مركزية وأخرى محيطية وخصوصاً ازدواجية أساسية ذكر/أنثى، والمتمثلة بالزوج الرمزي تيزون (الثور البري) / حصان"، ولقد استرمل الكثير من الوقت دون أن يتم استنتاج بداهة البنية تلك.

## ٥- نظرية الشامانية: Shamanism

وتعتبر هذه النظرية الكهف مكان اجتياز بين عالم البشر والعالم المولاي، وبهذا المعنى يكون الكهف بمثابة المحراب الذي يقوم فيه "الشامان" بالدخول في "حضره" أو 'حلم' لأجل إنعاش الانسجام بين الإنسان والطبيعة، وبذلك تذهب هذه النظرية التي تصفي بعداً روحانياً على فن الكهوف إلى أن تلك التمثيلات تخلق محيطاً عجيباً أشبه منه بالديني.

ففي المفاهيم المتقدمة لإنسان بدائي كان عالم الروح يُعتبر في النتيجة ككونه غير متجاوب للبشري العادي، فقط الامتثالي بين الإنسانين يمكن سماعه بأذن الآلهة؛ فقط للرجل أو المرأة الزائدة عن الاعتيادي يُسمعون بالأرواح، بهذا دخل الدين على طور جديد، مرحلة أصبح فيها تدريجياً ذات وسيط، دائماً طبيب دجال، أو شامان، أو كاهن تداخل بين المعتدلين وغرض العبادة.

يولد للدين التطوري من الخوف البسيط والكي القدرة، الخوف المذي يجيش خلال العقل الإنساني عندما يواجه بغير المعروف، وغير المُفْهِم، وغير المستوعب. في النتيجة يُنجز للدين الإدراك البسيط بتعمق لمحبة كلية القدرة، المحبة التي تجرف بدون مقاومة خلال النفس الإنسانية عندما توقف إلى مفهوم الود الغير محدود للأب الشامل من أجل أبناء الكون. لكن فيما بين بداية ولتلم التطور الديني، هناك تتداخل العصور الطويلة للشامانيين، الذين يزعمون ليقتوا بين الإنسان والله كوسطاء، ومفسرين، وشغفاء.



## أول الشامانيين - الأطباء الدجالون

كان الشامان للطبيب الدجال البارز، والشخصية الباهرة من أجل كل الممارسات لدين تطوري، وفي جماعات كثيرة كانت رتبة الشامان أعلى من الرئيس الحربي (مُعَلَّم بدلية سيطرة المؤسسة الدينية على الدولة) وعمل الشامان أحياناً ككاهن وحتى ككاهن - ملك. بعض من اللقبائل فيما بعد كان لديها كلاً شامان - الأطباء الدجالين وللشامانيين - الكهنة الظاهرين فيما بعد. وفي حالات كثيرة أصبحت وظيفة الشامان وراثية.

حيث إن في أزمنة قديمة كان أي شيء مخالف للمألوف يُعزى إلى امتلاك روحي، أُلِّفَ أي مذنوب جسماني أو عقلي بلفت الأنظار ناهيلاً من أجل كونه طبيب دجال، وكان كثيرون من أولئك الرجال مصابين بالصرع، وكثيرات من النساء هستيريات، وهذان الشكلاّن حُسبا من أجل مقدار كبير من الإلهام القديم وكان عدد غير قليل من أبكر أولئك الكهنة من الصنف الذي سُمِّي منذ ذاك مهووس (أو مشعوذ).

وربما قد مارسوا خداعاً في أمور صغرى، الأكثرية الكبيرة من الشامانيين اعتقدوا في واقع تملكهم الروحي. النعماء اللواتي كن قادرات لرمي ذلتهن نحو سبات أو نوبة جمادية أصبحن شامانيات قديرات؛ فيما بعد، أصبحت كذا نسوة نبيات ووسيطات روحيات. شمل سباتهن للجمادي عادة مخبرات مزعومة مع أشباح الموتى.

لكن ليس كل الشامانيين كانوا مخدوعين بالذات؛ كثيرون كانوا مأكربين وشاعلي حيل قديرين، فحينما نشأت المهنة، كان مُتطلب من للمتعرن ليخدم مدة تعرين لعشر سنوات من القسوة وإفكار الذات ليَتَأَهَّل كطبيب دجال، أنشأ الشامانيون أسلوباً مهنيّاً من اللباس وأنشروا تصرفاً غامضاً، وظفّفوا تكراراً

عفاقرير من أجل تسبب حالات فيزيائية معينة ستؤثر على رجال القبيلة وتحريرهم، كانت برائع خفيفة اليد تُعتبر كفاقة عن الطبيعي بالقوم العاميين، كان التكلم من أقصى الجوف يُستعمل أولاً بكنة مكرين.

لقد كانت الشامانية التي أخذت التوجيه الكلي للشؤون القبلية من أيدي الشيخ والقوي ووضعتها في أيدي الماكر، والشاطر، والبعيد للنظر.

### ممارسات شامانية

كانت مناشدة الروح إجراء دقيقاً جداً ومُعقداً بكثرة، نشد جنس الإنسان باكر جداً من أجل مساعدة فائقة عن الإنساني، من أجل وحي؛ واعتقد الناس بأن الشامان استلم فعلياً تلك الكشف. بينما استعمل الشامانيون القدرة العظيمة للإيحاء في عملهم، لقد كان بلا تغيير (إيحاء سلبى) بدأ الشامانيون في النشوء الباكر لمهنتهم ليتخصصوا في عدة حرف كصنع مطر، وشفاء مرض، وكشف جريمة، ولم يكن شفاء الأمراض صوماً فالعمل للرئيسي لطبيب دجال شاماني كان بالأحرى، للمعرفة والتحكم بمخاطر المعيشة.

وضع الأطباء الدجالون ثقة كبيرة في الإشارات والتفاوتات، وكان التجميم البدائي اعتقاداً وممارسة يعمان العالم؛ كذلك صار تفسير الأحلام واسع الانتشار، تبع كل هذا قريباً بظهور أولئك الشامانيين المزاجيين الذين ادعوا ليكونوا قادرين للتخاطر مع أرواح الموتى.

ولو من أصل قديم، استمر صانعو المطر، أو شامانيو الطقس، نزولاً خلال العصور. الجفاف الشديد غني موت للمزارعين المبكرين، كان للتحكم بالطقس الغرض لكثير من السحر القديم. لا يزال الإنسان المتمسك

يجعل الطقس موضوع علم للمحادثة. اعتقدت الشعوب القديمة كلهما في قدرة الشامان كصانع مطر، لكن كانت العادة لقتله عندما يفشل. إلا إذا تمكن لتقديم عذر معقول للحساب من أجل الفشل.

اعتبر الإنسان البدائي الشامان كشر لازم؛ خافه لكنه لم يحبه، فكان الشامان غالباً دجالاً، لكن توفير الشامانية بصور حسناً للقسط الذي دفع على الحكمة في تطور الشعب.

### النظرية الشامانية عن مرض وموت

حيث إن الإنسان القديم اعتبر ذاته وبينته المادية ككائنات متجلوية مباشرة لنزوات الأنبياح وأهواء الأرواح، إنه ليس غريباً بأن ينفذ يجب أن يكون مهتماً كلياً بشؤون مادية. يهاجم الإنسان الحديث مشاكله المادية مباشرة؛ يتعرف بأن المادة متجاوبة إلى المعالجة الذكية للعقل. بالمعاقلة رغب الإنسان البدائي لتكثيف حياة وطاقت المجالات الفيزيائية وحسب ليتحكم بها؛ وحيث إن استيعابه المحدود للفلك أدّى به للاعتقاد بأن أسباح وأرواح، وآلهة مهتمين شخصياً ومباشرة بالتحكم التفصيلي لحياة ومادة، هو منطقياً وجه جهوده لكمب حظوة ودعم تلك الوكالات الفائقة عن البشري.

في ضوء هذا يمكن فهم الكثير من غير المُفصّر والغير معقول في طقوس القدماء. فقد كانت احتفالات الطقس محاولة إنسان بدائي للتحكم في العالم المادي الذي فيه وجد ذاته. وكان الكثير من جهوده موجهة إلى العناية لإطالة الحياة وتأمين الصحة. حيث إن كل الأمراض والموت ذاته كانت تُعتبر في الأسس كظواهر روحية، لقد كان لا بد بأن الشامانيين، يعملون كأطباء دجالين وكهنة.

قد يكون العقل البدائي معاقاً بنقص الحقائق، لكنه من أجل كل ذلك منطقي، فعندما يلاحظ رجال مفكرون مرضاً وموت، فهم يشعرون لتقرير أسباب تلك الاعتقادات، وفي مطابقة مع فهمهم لذا طرح الشامانيون والعلماء النظريات التالية لتفسير هذه المحنة:

١. أشباح — تأثيرات روح مباشرة. تَقَمَّتْ الافتراضات البدائية في تفسير لمرض وموت بأن الأرواح سيبت مرض بإغراء النفس إلى خارج الجسم؛ إذا فشلت لترجع، نشأ الموت، فخاف التقدماء للغاية للعمل المؤذي من أشباح مُنتجة لمرض بحيث الأفراد المرضى غالباً سيُهجرون بدون طعام أو ماء، بدون اعتبار للأساس الخاطئ لتلك المعتقدات، عزلوا بفعالية الأفراد للمصابين ومنعوا الانتشار لمرض مُعدي.

٢. سحف — أسباب واضحة. كانت أسباب بعض الحوادث والميتات سهلة للغاية للتعرف عليها بحيث نُقلت باكرأ من فصيلة عمل للشبح، كانت ضحايا وجروح ملازمة عند الحرب، ومقاتلة حيوان، وأحداث أخرى مُعترف عليها حاضراً تُعتبر كأحداث طبيعية. لكن لقد كان يُعتقد طويلاً بأن الأرواح لا تزال مسؤولة عن تأخير شفاء أو عن ضاد جروح حتى لمسببات "طبيعية".

٣. سحر — تأثير الأعداء. كانت أمراض كثيرة يُعتقد بأنها مسببة مسطح عقل، وعمل العين الشريرة وخطر لإشارة إصبع على أي شخص فلا يزال يُعتبر سلوك سيئ للإشارة بالإصبع، ويمكن أن يتسبب في حالات من مرض وموت ولذا وجب القيام بإعدام الساحر المسؤول عن ذلك. ولقد كان يُعتقد بين البعض بأن رجل قبيلة يمكن أن يموت كنتيجة لسحره الخاص.

٤. **خطيئة قصاص من أجل مخالفة مُحَرَّم.** لقد كان يُعتقد في أزمنة حديثة بالمقارنة بأن المرض قصاص من أجل خطيئة، شخصية أو عنصرية، بين شعوب بجنارون هذا المستوى من التطور النظرية سائدة بأن المرء لا يمكن أن يُبتلى إلا إذا خالف مُحَرَّم. لا اعتبار المرض والعذاب "كسهام القدير داخلهم" مثال لتلك للمعتقدات، اعتبر الصينيون وسكان بلاد ما بين النهرين طويلاً المرض كنتيجة لعمل عقاريت شريرة، على أن الكلدانيين تطلعوا كذلك على النجوم كمسبب العذاب.

ومصطلح الشامانية استخدم في البداية بوصف شعوب سيبيريا ثم أصبح يشمل المعتقدات والممارسات ذات الأساس المشترك التي وجدت قديماً (واستمر بعضها لدى بعض الشعوب البدائية الحالية) والمنتشرة بين شعوب عديدة في العالم، ويمكننا أن نفسر هذه النظرية وتلك المصطلح وتلك الممارسات من خلال تناول ثلاث خصائص أساسية لهذه المعتقدات الشامانية والتي كان لها أثرها في الفن البدائي وظهرت هذه الآثار بالرسوم على جدران الكهوف الصخرية وهي :

### **خصائص المعتقدات الشامانية:-**

- ١- الاعتقاد بوجود كون متعدد الطبقات يضم عدة عوالم :  
وهذه الطبقات أما فوق بعضها أو موازية لبعضها وطبقاً لهذا المعتقد فإن ما يحدث في عالمنا، (العالم الذي نعيش فيه) يتأثر بشكل مباشر بتأثير قوى تعيش في أي من العوالم الأخرى.
- ٢- الاعتقاد بأن أفراداً معينين يستطيعون في ظروف معينة الاتصال بشكل مباشر بالعالم الآخر أو بهذه العوالم الأخرى :

وبهذه الطريقة يؤثران على الأحداث في عالمنا وهما عامة يفعلون ذلك لأسباب عملية مثل شفاء مريض أو خلق ظروف جيدة للصيد أو استئصال المطر على المناطق الجافة، أو في حالات نادرة لأغراض شريرة.

٣- الاعتقاد بأن الاتصال بالعالم الآخر يتم مباشرة، في اتجاه أو آخر، من خلال زيارة من الأرواح المساعدة :

ولن هذه الأرواح المساعدة كثيراً ما تكون في شكل حيوان والذي يأتي نحو الشامان، أو الذي يذهب نحوه الشامان .

وتكون هذه الفرصة في كثير من الأحيان للتعرف بين الشامان والروح أو الاعتقاد بالتحول الكامل أو الجزئي للرجل إلى حيوان، وإذا ما كانت الروح المساعدة للشامان هي دب رمادي اللون، فإن التعرف بين الإنسان والذئب الرمادي يكون كاملاً ويستطيع الشامان أيضاً أن يرسل روحه إلى العالم الآخر لمقابلة الأرواح والحصول على حمايتهم وساعاتهم وذلك بالاستغراق في غيبوبة، ويتم ذلك أحياناً في حفل جماعي، وأحياناً أخرى وهو بمفرده.

ويري علماء الأعراق أن الشامانية كثيراً ما توجد في المجتمعات التي تسود فيها المساواة والتي تكون عادة من القناسة الجامعين رغم أن مجتمعات القناسة الجامعين ليست جميعها شامانية كما أن هذه المجتمعات ليست هي المجتمعات الوحيدة التي توجد فيها الممارسات الشامانية .

وحقيقة وجود الشامانية في كل أنحاء العالم لا ترجع بالطبع إلى الاتصال المباشر أو غير المباشر بين الشعوب البعيدة عن بعضها إن السبب للجوهري قد يرجع على الأقل جزئياً إلى الضرورة الحتمية لعقنة واستخدام

الحالات المتغيرة للوعي، التي هي جزء من للجهاز العصبي الإنساني والتي تظهر في شكل أو آخر في كل مجتمع.

وهذا لا يعني أنهم بالضرورة يسجلون رؤاهم على الصخر ولكنهم فعلوا ذلك في بعض الأحوال بل والأكثر من ذلك أن المادة العرقية التي جمعها الباحثون في العقود الأخيرة تكشف عن العديد من أوجه القسمة في الطرق التي يفكر ويتصرف بها أصحاب الرؤي وترجع نقط الالتقاء هذه إلى حقيقة أن فن الصخر هو تجسيد لمعتقدات أسامية أو إطارات للمفاهيم المتشابهة وترتبط هذه بالمواقع التي صنع فيها الفن والموضوعات المصورة، وأسباب هذا الشكل من الفن والعالوي الصخرية المزينة كثيراً ما تعتبر "أبولياً" تؤدي للأجاهين فيما بين للعالم الحقيقي والعالم الآخر وتستطيع الأرواح أن تخرج منها ومن الممكن المرور من خلالها إلى العالم الآخر ومقابلة الأرواح ومثل هذه الأماكن ملائمة لتجربة الرؤي وأي شخص يريد أن يزوره روح مساعد ، لو أن يدخل في عالم الأرواح بالاستغراق في غيبوبة، سيذهب بمفرده إلى أسفل الحوائط المزينة ليكون في عزلة التي تشجع هذه المقابلات.

وعندما ندخل في هذا العالم الآخر سواء كان أدني من عالمنا أو موازياً له فإننا نفعل ذلك من خلال نفق تحميه حيوانات حارسة وكانت هذه الحيوانات في كاليفورنيا دبة أو حيات مجنجة.

لقد كانت الصور ذاتها محملة بالقوة - كانت ترسم كل منها فوق الأخرى على نفس الحوائط وكل عمل جديد يستند مما قبله، ويضيف على القوة المتراكمة من تلك المرسومة تحته، وهناك موضوعات معينة سائدة تتكرر وتختلف من منطقة لمنطقة في جبال "تراكسبرج" في جنوب أفريقيا

تسود النظباء الأفريقية وفي جبال "كوزو" في وسط كاليفورنيا، الخراف ذات القرون الكبيرة هي للحيوانات الغالبة على الرسومات نظراً لأنها مرتبطة بالمطر، وكان المطر حيوي بالنسبة لهذه المنطقة الصحراوية هذه الملامح المحلية للمناخ تصور خيارات ومعتقدات أولئك الذين خلقوا هذا الفن واستخدموه، كما تظهر أشكال جزء منها إنساني وجزء حيواني، وهذه الكائنات ترمز لثناء الرحلة الشامانية أو كنتيجة لتحول للشامان وكان الغرض من فن الصخر في أحوال كثيرة هو تصوير الرؤي بعد المرور بهذه التجربة

ويري بعض العلماء والباحثين ومنهم "دافيد وليتلي" (الذي درس فن الصخر في جنوب غرب الولايات المتحدة) أنه لو كان أصحاب الرؤي في "تيفادا وكاليفورنيا" لم يرسموا رؤاهم ففقدوها وماتوا نتيجة لذلك وفي حالات أخرى كانت رحلة الشامان فيما وراء الطبيعة تصور مجازياً فالموت على سبيل المثال كان المعنى المجازي للغيوبة وفي جبال "كوزو" في كاليفورنيا كان فن خروف ذي قرون كبيرة وهو حيوان المطر يعني أن الشامان سيذهب للعالم الآخر لجلب المطر .

وفن الصخر كان يمكن أيضاً أن يصور شيئاً آخر بخلاف رؤي الغيوبة ويكون مرتبطاً برؤية شامانية للعالم فيقرر "دافيد وليتلي"، على سبيل المثال أنه حتي نهاية القرن الماضي كانت طقوس بلوغ الإناث تشمل عدة أيام من العزل وتعليمهن أسرار الأمومة والصوم وطقوس احتفالية مختلفة وتعاطي التبغ المحلي لاستثارة الهلوسة والتي تلتقي الفتيات خلالها بأرواح حيوانية تكون عادة الحيات المجلجة، وبعد ذلك يجرين إلى مأوي صخري مزين



بالرسوم الزيتية بمسمى "بيت الشامان" ويرسمون أيديهن على حوائطه بالطلاء الأحمر سواء البِد ذاتها أو حدودها الخارجية (ويرتبط اللون الأحمر بالفتيات) ليبين أنهن قد لعن ما وراء الطبيعة.

وقد أكد العلماء والباحثون في مجال الفنون البدائية ورسوم الكهوف وجود روابط بالشامانية بين صور فن الصخر التي انتجت بواسطة حضارات في أجزاء مختلفة من العالم، خاصة في كل من جنوب أفريقيا وفي أمريكا الشمالية والجنوبية بل وحتى من المحتمل أن الكثير من فن العصر الحجري الأوروبي لو تم الكهوف قد نشأت بالممارسات الشامانية. وهذه الفرضية والتي ليست تفسيراً كاملاً أو وحيداً ولكن فقط إطاراً تفسيرياً مبنية على عدة ملاحظات فعلي مدي أكثر من ٢٠ ألف سنة كانت الكهوف العميقة تستخدم لا كمسكن ولكن للرسم. ولولئك الذين دخلوها إلى أعماق أعماقها وفي كل أنحاء العالم كان عالم تحت الأرض يعتبر عالماً آخر، هو عالم الأرواح والأموات وعلى ذلك فإن التطفل في أعماق هذه الكهوف لم يكن بالتأكيد مجرد نوع من الاستكشاف فشعوب العصر الحجري كانت تعلم أنها في عالم الأرواح وكانت تتوقع مقابلة الأرواح في هذه الكهوف وكانت أضواء مصابيحهم الخافتة تعطي الحياة للحوائط وكانوا يرون أشكال الحيوانات عليها ونحن نعرف ذلك لأنهم كثيراً ما استخدموا البروز الطبيعي في الحوائط الموحى بشكل ما والذي كان يعمل كنوع من المتأثر المتفاعلة بين هذا العالم والعالم الآخر وقد رسمت العديد من الأشكال أو حفرت حيث توجد شقوق أو فجوات أو فتحات في الحوائط كما لو كانت الحيوانات قد دخلت الكهوف أو خرجت منها في هذه الأماكن وبالإضافة إلى

ذلك يصف العديد من المتخصصين في دراسة المغارات والكهوف تأثير الكهوف الذي ينتج الهلوسة حيث يؤدي البرد والرطوبة والظلام وانعدام كل مؤثرات الحواس إلى تشجيع الهلوسة لذلك فإن الكهوف يمكن أن تقوم بدور مزدوج تساعد على إنتاج أحوال الوعي المتغيرة أي الروي والاتصال بالأرواح من خلال حائط الكهف.

وهكذا يبدو أنه من المرجح بدرجة كبيرة أن الكثير من فن العصر الحجري القديم قد أنتج في إطار من الشامانية وهذا لا يعني بالطبع أن كل صور هذا الفن هي نتيجة روي، أو أنها جميعاً تخدم نفس الغرض.

إن خيال وإبداع الإنسان بلا حدود والتفكير التقليدي ليس بسيطاً أبداً ونفس الشيء ينطبق على الفن في الهواء الطلق في العالم، فبعضه في أمريكا وفي أفريقيا ومن الجائز في أماكن أخرى نشأ بالتأكيد في إطار الممارسات الشامانية إلا أننا لا نستطيع أن نفرض هذا النموذج على كل فن الصخر في عصور ما قبل التاريخ بغض النظر عن سياقه العرقي، إن هذا يصبح له مبرر فقط بعد إجراء تحليل دقيق ونعدي لكل عناصر فن الصخر المقصود.

### **- المعالجات والسمات التشكيلية للفن البدائي :**

سجل الفن البدائي بأشكال وألوان التقنيات والإبداعات المختلفة من رسم ونقش وحفر ونحت وتجميل، استعملت في إعداد هياكل فنية شتى من جداريات ضخمة إلى مجسمات صغيرة جداً مروراً بطي وأسلحة ومصابيح، وقد استعمل الفنان البدائي مواد خام ولينكر وأدوات وصفات في إعداداته

الفنية المتنوعة، فلكي يرسم كان عليه أن يحصل علي مواد ملونة، ثم بعد ذلك كان عليه سحقها ثم خلطها بمواد سائلة مثبته، وكان عليه إعداد أدوات قاطعة لحفر وشق للحجر والعظم أو أخري لتجديد الشكل وطلاي المواد الصابغة.

هذا ومما لا شك فيه أن وراء فعل الفن البدائي يكمن وعي بهذا الفن، ذلك ويظهر على أكثر من مستوى، من ناحية التقنية وما تتطلبه من إعداد للمواد الخام والأدوات واختياره للسند الملائم واستغلاله لتقويزات أو تصدعات لإظهار نوع من البروز للبهينات التي مثلها كانت رسماً أم حفر، ثم على مستوى الأشكال التي عبر من خلالها عن مخيلته ولكي يعبر الإنسان عن مخيلته، لابد أن يكون واعياً بهذه المخيلة.

تكمن أهمية الفن البدائي في كونه للفعل الحضاري الوحيد الذي وصلنا حاملاً معطيات ثقافية تخص المجتمعات الإنسانية الغابرة، وهو لا يعطينا صورة عن محيط وبيئة تلك المجتمعات فحسب، بل يخول لنا وبقدر كبير تصور مفاهيم وطريقة الإنسان البدائي في تعامله مع تلك البيئة وذاك المحيط. فكل ما نشاهده من تمثيلات ورسوم ونقوش وحفر ونحت، إنما هي رموز، وكما يبين تاريخ الفن والأنثروبولوجيا، فإن أي تجسيم لا يطرح بالصنفة، فشكل حصان أو بيزون (ثور) ليس بالضرورة مرآة للشكل الواقعي بقدر ما هو مفهوم "تشكيلي" لما يعنله ذاك الحصان أو ذلك البيزون في بيئة معينة ألا وهي بيئة الإنسان البدائي أنه حدث ثقافي حضاري، نمط إبداعى تجلي في استغلال "المادة" و "الأداة" في حيز التشكيل لأجل التعبير عن موطن الخيال، وبهذا المعنى تشكل تلك للمنجزات الشكل الوحيد الذي

وصل إلينا عاكساً "أيديولوجية" اجتماعية خاصة بإنتمان الكهوف ومن ثم دليلاً قاطعاً على عالمية الإبداع وإقناعاً على أن عمر هذا الإبداع من عمر الوعي الإنساني.

## - موضوعات الفن البدائي:

صور إنسان الكهوف بينته، وبالأخص الحيوانية منها كما شكل رموزاً وعلامات رمزية وتنقسم المواضيع التي تطرق إليها في الفن الجداري إلى ثلاثة أصناف:

١- جماعات حيوانية : وتشكل أغلب التمثيلات التي أبدعها فنان الكهوف وقد أخص بها الحيوانات التي كانت تحيط به وليس فقط تلك التي كان يصطادها أكثر وعلى العموم فمعظم هذه الحيوانات والأكثر شهرة ولحسناً إتقاناً وتنقيداً الحيوانات آكلة العشب. هناك الحصان والبيزون ثم الماموث فالأيل، ونادراً ما رسمت حيوانات كالأسود والذئبة، ونادراً جداً الأسماك والطيور، وفي بعض الأحيان شكلت أشياء تنثير الدهشة بل وتنثير تحفظ العلماء في الإعلام عنها كالرسم الذي يمثل أحد الديناصورات في مواجهة مع ماموث بكهف بيرفال بفرنسا Bervifal ويلاحظ أنه قليلاً ما رسمت مشاهد مكتمة كقطعان في مشهد طبيعي مثلاً. كما يوجد بعدد جد ضئيل رسوم لحيوانات خيالية أو أخرى خرافية نصف حيوان نصف إنسان مثلاً.

٢- التمثيلات البشرية : وهي جد قليلة ومن الملاحظ أن رسم الإنسان قد تم في الغالب بطريقة موجزة ودائماً بمرافقة حيوانات أو مختلطاً

بها، وما يمثل أكثر العنصر البشري من رموزات إنسان الكيوف  
رسم الأباي عن طريق طليها بمادة صابغة ثم طبعها على السطح  
أجداري أو بوضع اليد على الجدار ثم رش مائل ملون من حولها  
عن طريق الفم للحصول على شكل منطبي لليد.

أعدت هذه الرسومات في أغلبها بتقنية عالية، نوحى في عمومها  
لنمط معين يمكن أن يكون قد بلور قواعد في التكوين وتقنية المواد  
والأدوات المستعملة، تختلف حسب الحيز الجغرافي والزماني.

٣- رموز وإشارات وعلامات، نقط ، خطوط منحدره أو مستقيمة أو  
عشوائية، أشكال هندسية أو تجريدية من دوائر ومستطيلات  
وتعرجات، غطت كل حقب من قبل التاريخ، رسمت أو نقشت أحياناً  
إلى جانب حيوانات، أو منفردة وتغطي أحياناً مساحات مهمة قد  
تصل إلى بعض المترات المربعة. وهناك العديد من الهياكل  
للتجريدية من "رموز أفكار" [ideogramme] قد تكرر تشكيلها  
بصفة جد متشابهة في أكثر من منطقة في العالم رغم فارق الزمن  
والمسافات وقد أهمل الفنان البدائي كل ما يتعلق بالبيئة النباتية  
لأسباب لا يمكن الإحاطة بها.

### توظيف العناصر التشكيلية في الفن البدائي:

فقد فرضت الطبيعة على الإنسان البدائي أن يستوحي من عناصرها  
أعمالاً فنية معبرة عن إحتياجاته. ولقد برزت عبقرية ذلك الفنان في توظيف  
تلك المفردات التشكيلية المتواجدة ببيئته لإنتاج صياغات وتكوينات فنية

رائعة لُنتجت فناً يتمتع بسمات خاصة تميزه فنياً وتشكيلياً وتمسح بقجارة  
أن تصبح موضوعاً للدراسة.

ولقد تمكن بعض العلماء والمؤرخين من معايشة تلك السمات الخاصة  
بالفنون البدائية وأبرز مهارة الفنان البدائي في توظيف العناصر التشكيلية  
من نقطة، خط، شكل ..... الخ، تحت أسس فنية خاصة، وفيما يلي عرض  
لهذه العناصر.

١- **النقطة** : كانت من أهم عناصر التشكيل التي استخدمها الفنان البدائي  
في رسم أعماله الفنية فمن طريق تجاور للنقط نشأ الخط كذلك صاغ  
ذلك الفنان من النقطة أساليب فنية متعددة منها تنقيط الشكل المراد كليةً  
كما استطاع أن يبرز بالتجسيم والظل والنور عن طريق للتأكد على  
كثافة اللون من خلال تجاور العديد من النقطة.

٢- **الخط** : استطاع الفنان البدائي أن يوظف الخط للحصول على أشكال  
بسيطة معطياً التأثير التعبير عن طريق نوعيات للخطوط المختلفة  
كالخط المستقيم، المنحني كما لجأ إلى الخط المستمر والخط المنقطع  
الذي يجعل المشاهد في حالة تشويق وإستنتاج لما يعبر عنه ذلك للخط  
وبرزت تلك الأعمال الخطية على جدران الكهوف إما بأسلوب الحفر أو  
باللون أو بالحفر ثم تلوين ذلك الحفر، وتعد خطوط الأشكال المحرفة،  
الخطوط المتعرجة، للخطوط الحلزونية من أشهر وأروع الخطوط التي  
ميزت الفنان البدائي.

#### أ - خطوط الأشكال المحرفة أو رسوم التكتيفورم : Tactiform :

هي خطوط ازدهرت في العصر الحجري القديم وكانت ترسم في المنحنيات العسيقة الحالكة الظلام، ويتكون هذا النوع من الخطوط من رسوم مضلعة مستديرة ذات خطوط متوازية مستقيمة أو متعرجة وبها زوايا ونقاط، ويرجع البعض أن هذه الرسوم كانت تمثل المصايد أو الأفخاخ التي كانوا يستعملونها أو هي وسيلة أو تسمية سحرية يسحر بها الصياد فريسته ويوقعها في قبضته ولقد تمكن الفنان البدائي من خلال تلك الخطوط أن ينتج أو يبدع تكويناً رائعاً يتميز بالإيقاع الحركي المتمثل في حركة للخطوط المتعرجة أسفل اللوحة أو من خلال مجموعة الخطوط المتوازية في أعلى اللوحة.

كذلك نجد الفنان قد حاول الهروب من الفراغ عن طريق ملء المساحات بنوعيات مختلفة من الخطوط منها ما هو متقاطع ومنها ما هو مستقل بذاته كوحدة مستقلة وبذلك نراه قد حقق عنصر المبادأة بطريقة فطرية من خلال تشابك الخطوط في المجموعة العليا في اللوحة بما فيها من خطوط متشابكة ومكثفة تجذب عين الرائي لها، ثم حاول شد انتباه المتفرج وإراحة عينه عن طريق فرد نوعيات أخرى من الخطوط في النصف الأسفل.

#### ب - الخطوط المتعرجة أو خطوط ماكروني "Macaroni Lines" :

هي خطوط يعدها بعض العلماء والمؤرخين أول مظاهر الفن التصويري حيث بدلت كرسومات محفورة أو مرسومة ويصنفها العلماء من أولى مراحل الكتابات التصويرية للإنسان، والخطوط المتعرجة ذات أشكال حلزونية متقاطعة أو غير متقاطعة ولقد أُصطلح على تسميتها 'ميكروني'.

وأحياناً باسم "أرابيسك" لتشابه أشكالها مع أشكال بعض الفنون الزخرفية العربية.

ويظهر في الشكل الإحساس بالتماثل والتناسب والذي ظهر جلياً في تلك الأعمال بالإضافة إلى الإنزان، كما كان للأشكال للحزونية والدائرية تفضل في الإحساس بالحركة الدائرية.

### ج - الخطوط الحزونية :

تعد الحزونيات من أهم السمات الفنية في الفن البدائي وقد ظهرت نتيجة لمعايشة الفنان الصادقة لبيئته حيث اكتسب من صنع الأولي الخزفية بلغاتها الطينية الدائرية وكذلك من لفة للجدائل المستخدمة في صنع السلال مصدراً خصباً للإستلهام فبرزت خطوطه الحزونية وربما جاءت تلك الخطوط من مجرد ملاحظة الفنان للأشكال الطبيعية مثل القواقع الحزونية أو بعض النباتات المتسلسلة أو من أشكال بعض الحيوانات والطيور ومن الملاحظ بشكل عام أن الحزونيات في الفن البدائي متساوية البعد عن نقطة معينة في المركز.

والحزونيات البدائي قد تكون متصلة وتعطي شكل حرف، وإذا كانت في مساحة ضيقة يكمل الشكل سلسلة من الخطوط متساوية الطول وأحياناً تستكمل المناطق الخالية بين الحزونيات بأشكال حزونية أخرى.

كما توجد حزونيات متساوية العرض خلال مسارها كله. والحزونيات رسمت مزدوجة في بعض الأحيان وبصورة واسعة وعريضة ومفردة عادة ولكن لا تتعاقب مع بعضها، وفي المساحات الموجودة خارج هذه



الحلزونيةيات توجد زخارف على شكل محاليف نباتية أو زخرفة دائرية بشرط الحفاظ على وجود الخلفية مفككة وتحتفظ تقريباً للشكل العام بنفس العرض الذي يشغله الحلزون وقد تأخذ الخطوط الخاصة بالحلزونيةيات البدائية أشكال حيوانية والطيور .

كما جاءت الحلزونيةيات بخطوطها المنحنية العقوية والتلقائية بدون نماثل محققاً قبة الاتزان من خلال توزيع الخطوط المنحنية فظهرت الخطوط المنحنية الدائرية والمتعرجة بشكل تلقائي وفطري..

#### د - الخطوط الهندسية :

ظل الأسلوب المطابق للطبيعة سائداً حتى نهاية العصر الحجري القديم ومع الانتقال إلى العصر الحجري الحديث فضل الفنان البدائي عدم محاكاة الطبيعة وسرد تفاصيلها فلجأ إلى العلامات الرمزية أو الاصطلاحية، وأصبحت الأشكال الهندسية هي أساس للرسم الزخرفية وبرزت من تلك الأشكال الشرائط الزجراجية، أو الحلزونيةيات والمثلثات بأنواعها.

#### ٣ - الشكل :

يعد الشكل من أكثر العناصر التشكيلية إمتاعاً وأهمية وكثيراً ما يتوالد الشكل عند استخدام الخط لتحديد مساحة فيخلق شكلاً، وقد نتعرف على الشكل من خلال اختلافات الألوان أو القيمة أو العنصر بين الشكل والمساحة التي حوله.

وللحقبة فعلية الرغم من بساطة الخطوط التي استخدمها الفنان البدائي إلا أنه أبدع على الرغم من ذلك في إنتاج أشكال بنسب متوازنة.

يضع للفنان البدائي عناصره التشكيلية في مجموعها، كعائلة كلية واحدة مشتركة، وإن بدأ أحياناً شيء من العزل أو الفصل في تلك العناصر لتأكيد أهمية عنصر مثلاً كالحَيوان أو إبراز القيمة العقائدية في شكل ما، كما يلاحظ استخدام لون مهيمن أو مسيطر، وهو لون قريب من البيئة كاللون البني وذلك بصورة سائدة، لتصبح باقي الألوان تابعة، مع إنشاء وحدة بين كل ألوان للتكوين ولون الخلفية.

كما يحقق الفنان البدائي التوازن عن طريق توزيع المساحات وللبقع اللونية للون واحد، أو في الغالب بأسلوب "السلويت" في جميع أنحاء العمل الفني، ويمكن تفسير حدوث الاتزان والوحدة في العمل للفني البدائي في ضوء خصائص الشكل من حيث :

#### أ - التشابه :

حيث أن الخصائص المتشابهة تميل إلى التجميع في صيغ موحدة يمكن إدراكها لعناصر الأهمية، وتميل بفعل عمليات التنظيم الإدراكي والخصائص المتشابهة إلى التجمع في صيغ على هيئة صفوف رأسية، ويرجع السبب في ذلك إلى أسلوب "السلويت" والذي يعطي مبدأ السيادة والسيطرة على مجال الرؤية مما يحقق أعلى قيمة للاتزان.

#### ب- التقارب :

حيث تلعب المسافة دوراً هاماً في تحديد صيغ وتكوينات الأشكال مما يساعد على تحقيق الاتزان .

ولعل خاصية التقارب بين العناصر سواء كان في الشكل أو الدرجة أو في الحركة تضيفي على العمل الفني الوحدة والترابط، مما لا يدع مجالاً للفنثنيّة البصري عند رؤية للعمل.

#### ج - التماثل :

وهو ملمح آخر من ملامح الشكل في الفن البدائي، فالأشكال الممتائة توجد في أبسط الأشكال الزخرفية على وجوه وأجسام للقبائل البدائية المعاصرة حيث تزين كسلاسل من النقط الممتائة للترتيب، تبدأ عبر الأنف وحتى صوان الأذن، ومن رسوم العصر الحجري القديم، نلاحظ أشكال هندسية يظهر فيها التماثل على الجانبين.

وقد يمكن تفسير ميل الإنسان البدائي بوجه عام إلى اعتبار الأشياء المختلفة كما لو كانت متشابهة بل متماثلة، أو على الأصح رؤية التشابه والتماثل في الاختلاف والبيان بموقفه من نفسه ونظرته إلى ذاته وأعتبر تلك الذات هي مركز الكون ولذا فكثيراً ما ينظر إلى الأشياء التي توجد في البيئة التي تحيط به، كنظرته إلى جسمه ويطلق عليها بالتالي أسماء وصفات مستمدة من جسمه ومن شخصيته هو، ففرع الشجرة هي (يد) الشجرة بالنسبة إليه ، وورقة الشجر (أذن)، وساق النباتات (قدم) ومقدمة الشجرة (جبهة)، وقمة الشجرة (رأس) وهكذا.

#### د - التراكب :

اعتمد للفنان البدائي على خاصية التراكب بوضع مساحات أو أجزاء من العنصر، فوق أجزاء مساحات أخرى خلفها على سطح اللوحة، مما يعطي إحساساً بالعمق أو يلجأ للفنان إلى وضع أجزاء لكي تغطي أجزاء أخرى مما

يعطي إحساساً بالنترج من الأمام إلى الخلف في أسلوب يحقق نوع آخر من المتناحية في العمل الفني، كما نجد مثال هذا في كهوف "لاسكو والتاميرا".

#### ٤- اللون :

دلت الكشوف الأثرية على أن جميع الكهوف في العصر الحجري القديم تقريباً كانت تحوي ملونات وأصباع تستخدم في تلوين الأعمال الجدارية الكهفية أو كمستحضرات للزينة ومنها الأبيض من الحجر الجيري، أو الأسود الناتج من الفحم الحجري والمنجنيز والعظام المحروقة والرمادي الناتج عن النيران التي كان يشعلها الإنسان الأول والفحم النباتي وبعض البقايا من الأصباغ النباتية والعديد من درجات الطين والتراب التي تتراوح ما بين البنيات ودرجات الأحمر، الأصفر حتى أقصى الدرجات الفاتحة.

وقد قام الفنان البدائي بإذابة مساحيقه الملونة في وسائل خاصة استوحاها من البيئة المحيطة به مثل الماء، وشحوم ودهون الحيوان ونخاع العظام وبعض المواد اللاصقة النباتية كما استخدم في ذلك بعض جماجم الحيوانات والقواقع والحجار وقرون الحيوانات التي لفها حول خصره وكان كل قرن خاص بلون واحد ثم يقوم بالرسم بواسطة غصن نبات لين كما استخدم الصخور المسطحة والمفرغة بنقش كأوعية لحفظ تلك الألوان وبالإضافة إلى استخدامه للعظام المغطاة للكبيزة لخلط الألوان كما عثر المكتشفون على باليت كانت الألوان مصفوفة فيها بانتظام من الفاتح إلى الداكن ما يدل على أنها وضعت بألية فنان ينحدر من فترة متأخرة.

## - السمات التشكيلية للفن البدائي :

وتكشف الأبحاث عن عدد من الثوابت في فن الصخر في أي قارة تكون قد أنتجت فيها مثل استخدام نفس التكنيك والألوان، والمجال الضيق والمتكرر من الموضوعات ونفس طريقة الجمع بين عناصر مختلفة ونفس نوع المنطق، وتكرار مجال من الكتابات الرمزية وخاصة المجمع بين الصور والرموز والرسوم، وهذا يثير مزيداً من الأسئلة ويوحى بأن الأساس البنيوي ونفس الديناميكيات المعاهيمية قد تكون في أساس كل الفن الخلاق.

فقد أبدع الفنان البدائي أعمالاً ذات قيمة جمالية بالمقاييس والمعايير الفنية والجمالية الحديثة فقد برع في توظيف عناصره التشكيلية من نقطة وخط وشكل ولون وملص مع تحقيقه للقيم الجمالية من إيقاع واتزان وسيادة وتناسب واتساق من خلال الحركة والتوافق والتباين والتنوع في عناصره التشكيلية في إطار من السمات الفنية التشكيلية المميزة له والتي يمكن تحديدها فيما يلي:

### ١- ظاهرة الخلو من المنظور :

وتعد هي الظاهرة الفنية الوحيدة التي اشتركت فيها كل الفنون البدائية حيث ظهرت كل الأعمال الفنية تقريباً مسطحة ذات بعدين فقط فيما عدا قلة من اللوحات الفنية التي وجد فيها عمقاً وبعداً بسيطاً والذي حققه الفنان من خلال تطويله لأجسام بعض الحيوانات فكان من نتيجة ذلك أن اكتسبت تلك الأجزاء المظللة للإحياء بالتجسيم.

وقد يرجع ذلك الإحياء إلى أن الفنان الدائي كان ينخير أحياناً جزء ناتئاً (بارزاً) من الصخر فيرسم عليه ويلونه وبالتالي نعطي المناطق البارزة للون هذا الإحساس بالمعتم والمضيء أو أن يلون الفنان السطح

مستخدماً راحة كفه حيث يصنع بها الألوان أو أن يدفعها من فمه فينتج عن ذلك عدم الانتظار في توزيع كثافة اللون مما يوحى بالتجسيم.

## ٢- ظاهرة المبالغة والانحراف عن الواقع :

ويقصد بها عدم الالتزام بالأصل الطبيعي بهدف إبراز بعض المعاني وللتأكيد عليها عن طريق المبالغة والحذف أو الإجمال أو للتفصيل فعندما أحب الفنان البدئي الحيوان وكان هو محور اهتمامه الأول وكان الإنسان هو المحور الثاني فجاءت رسوم الإنسان تنبيه إلى حد كبير رسوم الكاريكاتير حيث ظهرت السيقان بالغة الطول والأجساد نحيفة والرؤوس صغيرة نون أي ملامح.

تلك المبالغات والانحرافات ليس لميلاً على عدم إدراك الفنان البدائي لحقيقة الأبعاد والمقاييس أو لمعيار التناسب الصحيح بين أجزاء الجسم ولكنها مبالغات أنتت نتيجة النزعة الدائمة لتحرر وعدم قبوله للمحاكاة ومطابقة الواقع بما يحد من حماسه وانطلاقه.

## ٣- ظاهرة الخدع الشكلية :

وجد الخداع الشكل في الفنون القديمة بصورة ثلقائية تتفق مع الطبيعة الفطرية والنظرية والعضوية التي تتسم بها تلك الفنون وفي التصاوير الجدارية للفنان البدائي أصدق مثال على تواجد تلك الظاهرة في الفنون القديمة فها هو يوظف عناصره وأشكاله الممسطة مضيقاً لها طابعاً من الخيال المحوري المتمثل في شفافية الأجسام المعتمة أو تراكب بعض أجزاء من العمل الفني فوق بعضها أو الجمع بين أكثر من زاوية للرؤية في العمل الفني الواحد أو عن طريق وضع حيواناته في حركات

خاطفة بشوبها الفرع المتمثل في الالتفات العنيفة لرقاب الحيوانات  
نجاه ما يوجه إليها من مهام، كل ذلك أكسب العمل الفني ما يوحى  
بالخدع الشكلية.

#### ٤- الواقعية :

عرفت الواقعية عدد للفنان البدائي بعدة طرق منها للبساطة في  
التصوير فتأتي الرسوم بشكل مبسط مفهوم من غير تعقيد لدى المشاهد  
مثل تصاوير البوتمان ورسوماتهم التي تلقى إعجاباً كبيراً من المشاهد  
حيث لا يجد أي صعوبة في فهمها.

كما عرفت للواقعية أيضاً بمطابقة التصوير للطبيعة حيث أعطانا  
انطباعاً بصرياً بلغ من التفاتة ونقاء الشكل والتحرر من كل قيد حداً كبيراً  
ما لم نجد له نظيراً في تاريخ الفن إلا منذ حلول الانطباعية الحديثة.

#### ٥- الرمزية :

إن جميع الأعمال الفنية التي أبدعها الفنان البدائي كانت ذو طابع  
رمزي ولقد اكتسبت ذلك الطابع نتيجة لمحاولاته التغلب على خوفه من  
الطبيعة ومظاهرها المحيطة به، والتي يهابها فحاول إرضاءها عن  
طريق إبداع التعاويذ السحرية والأقنعة، التماثيل والنماثيل التي تعبر في  
جملتها عن عقائده وطوقسه في شكل رمزي.

#### ٦- التجريدية :

ظل الأسلوب المطابق للطبيعة في الفن سائداً حتى نهاية العصر  
الحجري القديم مع حلول العصر الحجري الحديث ظهر الاتجاه الهندسي  
وكان ذلك أول تغير تصميمي في تاريخ الفن كله.

ويرجع ذلك إلى انقسام العالم أمام الإنسان الأول إلى واقع منظور وما فوق الواقع أي غير المنظور وبعد أن كان يستخدم السحر ذو النزعة للحسية أصبح الاتجاه السائد هو المذهب الروحاني الذي يميل إلى التجريد وبعد أن ظل للفنان يقلد الطبيعة إذاً بفنه يصطبغ بالصبغة العقلية واستعاض عن الصور والأشكال العينية برموز وتجريدات واختصارات وعلامات لصطلاحية وبالتكرير تحولت الصورة إلى لغة رمزية تتخذ شكلاً تمثيلاً أي أنه لكي يصل الفنان إلى التجريدية مر بالرمزية حيث بسط الأشكال واختصر تفاصيلها واحتفظ بمضمونها الدلالي.

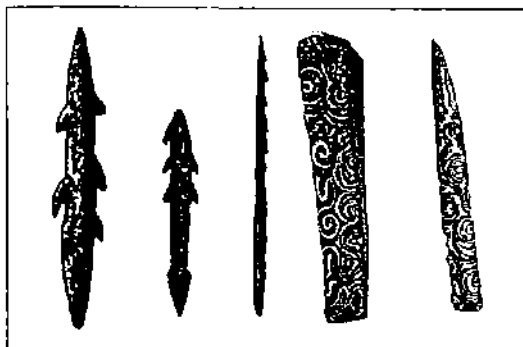




شكل (١)



شكل (٢)



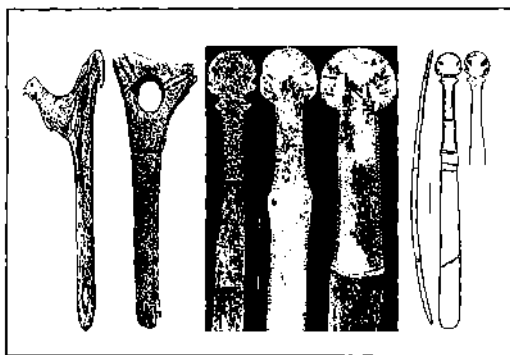
شکل (۳)



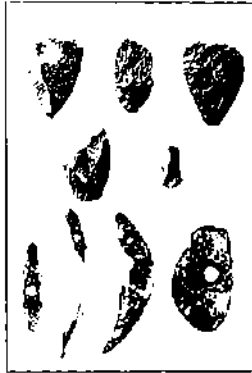
شکل (۴)



شکل (۵)

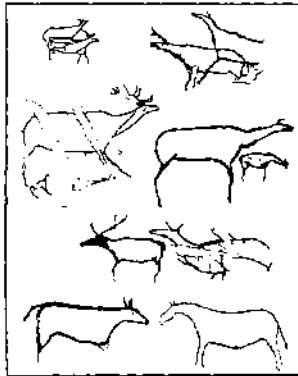


شکل (۶)

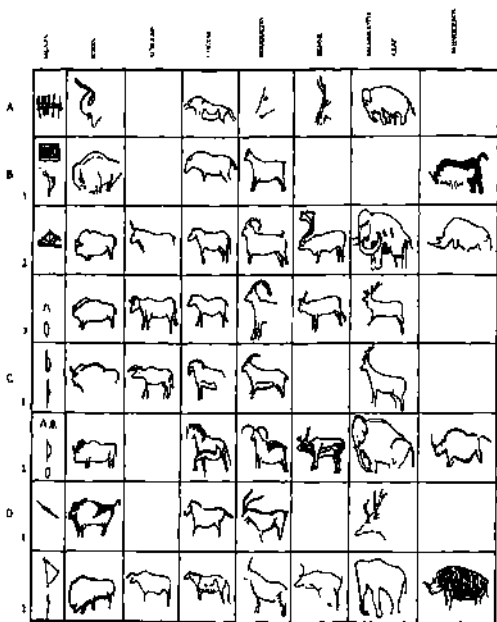


شكل (٧)

الأشكال (١ : ٧) نماذج لأدوات الصيد المنحوتة من حجر الصوان والتي تمثل أقدم الأمتنة لبدايات الفن حيث يرجع تاريخها لما يقرب من ١٠٠ ألف عام قبل الميلاد



شكل (٨) رسوم خطية مبسطة لحيوانات الفن البدائي



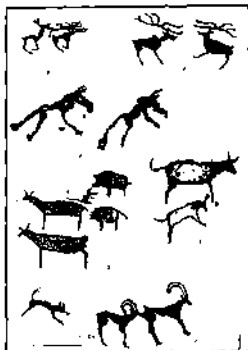
شكل (٩) أمثلة لتنوع لشكال الحيوانات في الفن البدائي وتطور رسمها



شکل (۱۰)



شکل (۱۱)



شكل (١٢)



شكل (١٣)

الأشغال (١٠ : ١٣) لشكل لرسوم الحيوانات رسمت بأسلوب السنويت والتي توضح مدى إبداع الفنان البدائي لمعالجة الشكل بالأرضية وقيمة الإيقاع الحركي للخط الخارجي للشكل



شكل (١٤) مثال على صورة الفنان البدائي الإبداعية للرسم الخطي لحيوان الوعل  
والذي يؤكد إدراكه بالحركة وتنوع

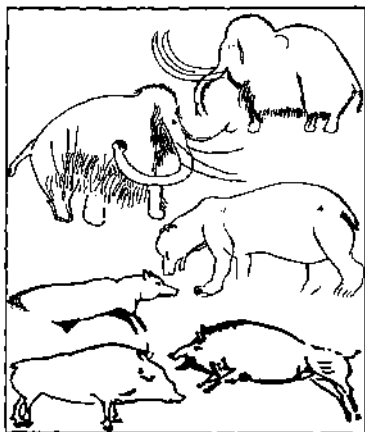


شكل (١٥) رسوم من الفن البدائي تمثل رسوم تحضيرية لتمثيل الحصان

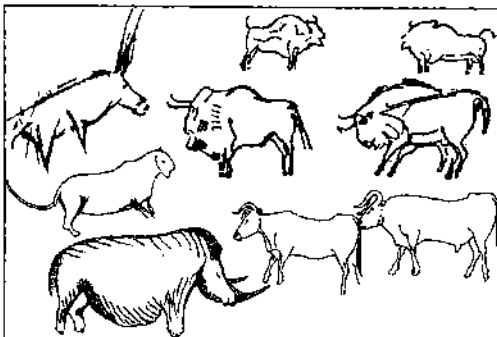




شکل (۱۶)



شکل (۱۷)

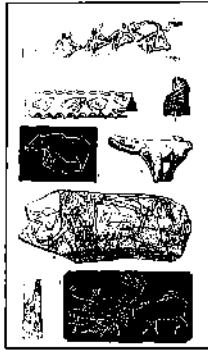


شكل (١٨)

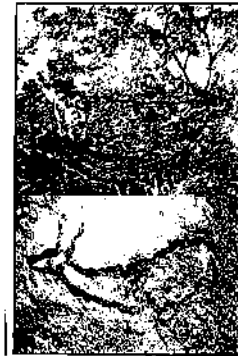
الأنثى (١٦ : ١٨) نمط لرسوم خطية لرسوم حائطية للفن القديم تمثل حيوانات مختلفة



شكل (١٩) رسوم خطية محفورة على أحد كهوف التاميرا (كنتابريا) يشتمل أسبانيا  
لحيوان البوزون من العصر المجداليني والتي توضح كثرة الفئان الغالقة على تحقيق  
القيم الجمالية بمفهومها المعاصر من خلال الإيقاع الخطي



شكل (٢٠) أشكال حيوانية محفورة حفر بارز وغائر ومنحوتة على الصخور برجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث



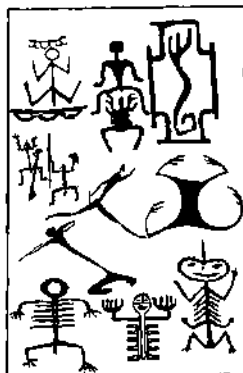
شكل (٢١) لمثلة ليداية فن الرسم الخطي والمحفورة على الكهوف والصخور نقتلن ما قبل التاريخ والتي تعبر عن حيوان الوعل



شکل (۲۲)



شکل (۲۳)



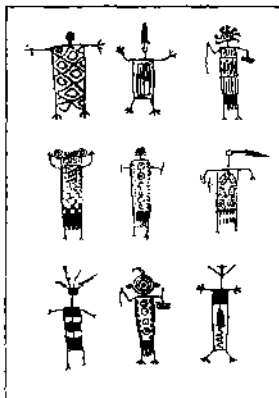
شکل (۲۴)



شکل (۲۵)

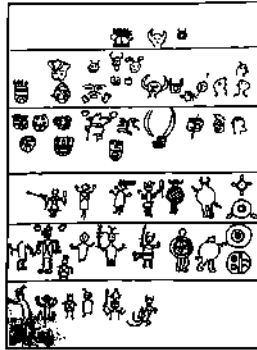


شكل (٢٦)



شكل (٢٧)

الشكل (٢٦ : ٢٧) أمثلة لأشكال حيوانية وبشرية محفورة على الصخور لفنان ما قبل التاريخ رسوم بدائية لأشخاص وهيئات من العصر الحجري القديم - من أماكن متفرقة



شكل (٢٨) رسوم بشرية وجدت على جدران الكهوف بأمريكا الشمالية (بالمكسيك)



شكل (٢٩) أشكال بشرية رسمت بملطوب فلسطين ووجدت بكهوف تلسلي بالصحراء الليبية



شكل (٣٠) سامان برأس وأقدام ظبي أفريقي وفي هذا التمثيل المجازي  
تلفيوبة - جبال دراكسبيرج - خاتال - جنوب أفريقيا



شكل (٣١) أشكال لأنمييين على الاربع - شاماتنتا - وادي النقوش  
الصخرية الصغير - كليفورنيا - الولايات المتحدة

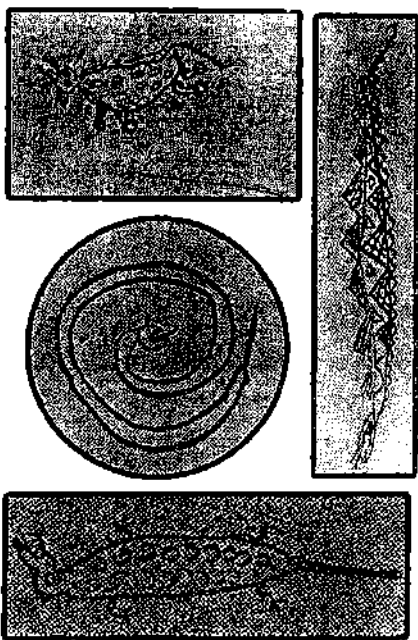




شكل (٣٢) الشامان في وادي التين الأسود - أوتاة - الولايات المتحدة



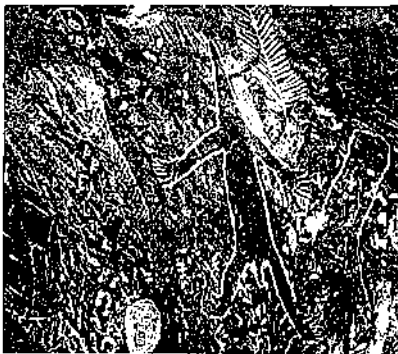
شكل (٣٣) رسم صخري لشامان - باستراليا



شكل (٣٤) أمثلة لرموز طوطمية أو شاماتات



شكل (٣٥) رسم صخري لشامان - الولايات المتحدة



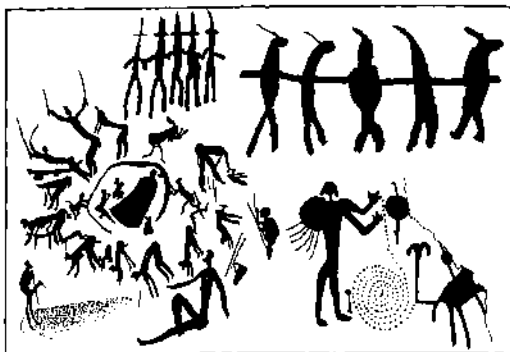
شكل (٣٦) شلمان برأس حيوان - استراليا



شكل (٣٧) شامان ويحيطة حيوان وطائر



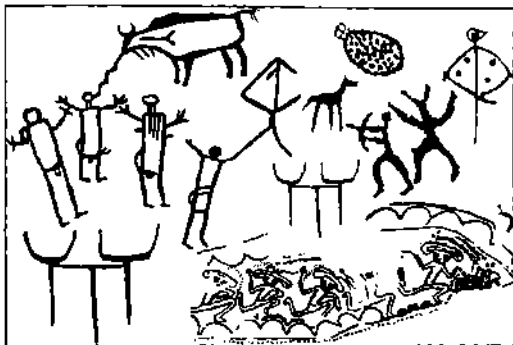
شكل (٣٨) شامان يمسك شعباناً - جنوب إفريقيا



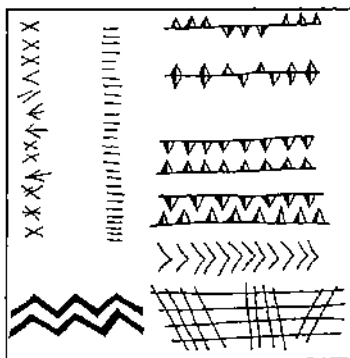
شكل (٣٩) أمثلة توضيحية لرسوم الفنان البدائي والتي رسمت بأسلوب السلويت والتي تعبر عن أشخاص يؤدون رقصات وطقوس سحرية



شكل (٤٠) أمثلة توضيحية لرسوم الفنان البدائي والتي رسمت بأسلوب السلويت والتي تعبر عن حيوانات وأشخاص أثناء قيامهم بطقوس سحرية

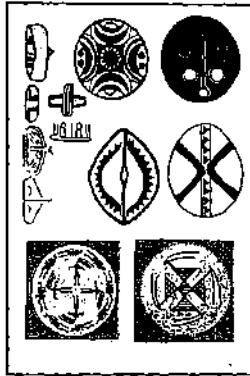


شكل (٤١) أمثلة توضيحية لرسوم الفنان البدائي والتي رسمت بأسلوب السلويت والتي تعبر عن رقصات وطقوس سحرية

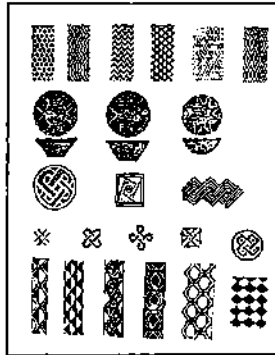


شكل (٤٢) أمثلة لخطوط متعرجة ومتقاطعة ومنقطعة برسوم الفنان البدائي بعض ما قبل التاريخ



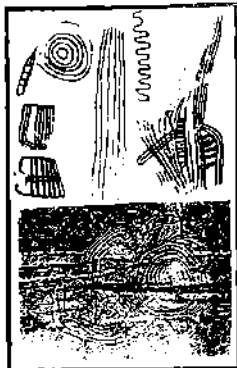


شكل (٤٥) أشكال لوحات هندية مجردة وحيوانية وبشرية مبسطة ومحرقة

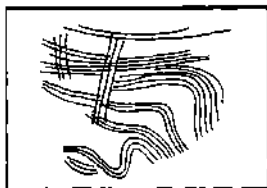
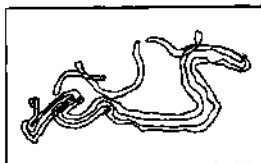


شكل (٤٦) خطوط متنوعة ترجع لعصر ما قبل الاسرات بمصر





شكل (٤٧) الخطوط الهندسية - حلزونية تيكتيفورم - فرنسا



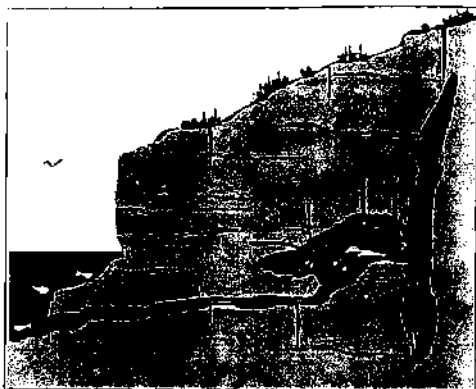
شكل (٤٨) خطوط منعرجة تسمى خطوط -مكرونى - الاعلى و.م. يكهونما جورج  
بأمريكا والاسفل بالسمباتيا-عصر ما قبل التاريخ



شكل (٤٩) رسم صخري لخطوط معروني - كهوف جوج بالولايات المتحدة الأمريكية



شكل (٥٠) نماذج لأشكال حلزونية بدائية من أماكن مختلفة من العالم



شكل (٥١) يوضح مثال لامكان الكهوف التي يصعب الوصول إليها -فرنسا

## تصنيف الفن البدائي

إن بدايات الفن هي عبارة عن الإنتاج الفني للإنسان الأول الذي عاش في العصور الحجرية السحيقة والتي مرت بعدة مراحل تاريخية وثقافات بدائية متعددة والفنون البدائية كظاهرة جمالية أولية كشفت عن الشراء الغزير في استخدام المادة الخام المستخدمة في التعبير أو لسايب ذلك التعبير كذلك الموضوعات التي تناولها الفنان البدائي .

وقد قام العلماء والباحثين بدراسات متعددة لمحاولة تصنيف هذه الفنون البدائية ويمكن تناول أهمها فيما يلي :

### تصنيف الفن البدائي من حيث:

- المراحل التاريخية وتطور بدايات الفن
- مراحل تطور للثقافة البدائية .
- النشاط الإنساني.
- الموضوع والاسلوب الفني.
- علاقة الفن بالطبيعة .

### تصنيف الفن البدائي من حيث:

#### المراحل التاريخية وتطور بدايات الفن :

إن الآثار الثقافية للأنماط البشرية بالعصر الحجري القديم تقع في سبعة أقسام رئيسية تختلف باختلاف المواضيع التي وجدنا فيها أقدم الآثار وأهمها في فرنسا وأسبانيا. وكلها جميعاً إنما تتميز باستخدام آلات غير

مصقولة؛ والأقسام الثلاثة الأولى منها قد تم لها التكوين في الفترة المضطربة التي توسطت للحصرين الجليديين الثالث والرابع.

١- الثقافة "أو الصناعة" أو بدايات الفن السابقة للعهد الشيلي-Pre

: Chellean

وهو عصر يقع تاريخه حول سنة ١٢٥٠٠٠ ق.م ومعظم الأحجار الصوانية التي وجدناها في هذه الطبقة الوطنية من طبقات الأرض لا تحمل دلالة قوية على أن أهل ذلك العصر قد صاغوها بصناعتهم والظاهر أنهم قد استخدموها كما صادفوها في الطبيعة (ذلك إن كانوا قد استخدموها إطلاقاً) لكن وحوادث أحجار كثيرة بينها لها مقبض يلائم قبضة اليد، وأنها حادة وطرف "إلى حد ما" يجعلنا نزع هذا الشرف للإنسان السابق للعهد الشيلي، شرف صناعة أول آلة استخدمها، وهي المدينة الحجرية.

٢- بدايات الفن بالحقبلة الشيلية:

ويقع تاريخها حول سنة ١٠٠٠٠٠ ق.م وقد تحسنت فيها الآلة بإرهاق جانبيها إرهافاً على شيء من الغلظة ويتذبذبها بحيث تتخذ شكل اللوزة، ثم يتهيئتها تهيئة تكون أصلح لقبضة اليد البترية.

٣- بدايات الفن بالحقبلة الأتوليّة Acheulean :

ويقع تاريخها حول ٧٥٠٠٠ ق.م ولقد خلفت عنها آثار كثيرة في أوروبا وجرينلاند والولايات المتحدة والمكسيك وإفريقية والشرق الأدنى والهند والصين؛ وهذه المرحلة لم تصلح من المدينة الحجرية إصلاحاً يجعلها أكثر ناسقاً وأخذ طرفاً فحسب، بل ألتجأت إلى جانب ذلك أنواعاً كثيرة من الآلات الخاصة كالمطارق والسندانات والكاشطوط والصفايح وروس

السهم وسمان الرماح والمُذَى، وفي هذه المرحلة تَمْتَطِيع أن تُرى صورة تدل على مرحلة نشيطة للصناعة البشرية.

#### ٤ - بدايات الفن بالحقبة المoustérien :

وتوجد آثارها في القارات كلها، مرتبطة ارتباطاً يستدعي النظر ببقايا الإنسان الأول ، وذلك في تاريخ يقع على نحو التقريب ق.م بأربعين ألفاً من لاسنين؛ والمكينة الحجرية نادرة نسبياً بين هذه الآثار، كلما أصبحت عندنا شيئاً عفا عليه الزمان وحلّ محله شيء جديد؛ أما هذه الآلات الجديدة فتقوم الواحدة منها رقيقة واحدة من الصخر، أخف من المدية السابقة وزناً وأرْهَفَ حَدّاً وأحسن شكلاً، صنعتها أيد طال بها العهد بقواعد الصناعة.

#### ٥ - بدايات الفن بالحقبة الأورجناسية Aurignacian :

وتقع حول عام ٢٥٠٠٠ ق.م، وهي أول المراحل للصناعية بعد عصر الجليد، وأولى الثقافات المعروفة لإنسان 'كرو- مانيون' وهامنا في هذه المرحلة أضيفت إلى آلات للحجر آلات من العظم - مشابك وسندانف وصاقلات للخ- وظهر الفن في نقوش غليظة منحوتة على الصخر، أو في رسوم ساذجة بارزة

#### ٦ - بدايات الفن بالحقبة 'السولتريه' Solutrean :

التي ظهرت حول سنة ٢٠٠٠٠ ق.م في فرنسا وأسبانيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا، وهنا أضيفت إلى أسلحة العهد الأورجناسي المعالف وأدواته، مِذَى وصفائح ومناقب ومناشير ورماح وحراب وصُنِعَتْ كذلك إِبْرَ نقيقة حادة من العظم، وقُدَّتْ آلات كثيرة من قرن الوعل؛ وتُرى قُرون

الوعل عنقوشة أحيانا برسوم أجسام حيوانية أرغى بكثير من الفن في العصر الأورجناسي السابق.

٧- بدايات الفن بالحقبة المجدلية Magdalenian التي ظهرت في أرجاء أوروبا كلها حول سنة ١٦٠٠٠ ق.م:

وهي تتميز في الصناعة بمجموعة كبيرة متنوعة من رقيق الأنيسة المصنوعة من العاج ولعظم وللقرن، وهي تبلغ حدها الأقصى في مثالبك وإير متولصعة لكنها تصل حد الكمال في الإنكان، وهذه المرحلة هي التي تعيزت في الفن برسوم "التاميرا" Altamira بأسبانيا وهي أدنى وأرق ما صنعه إنسان من قبل ،

وضع إنسان ما قبل التاريخ، في هذه الثقافات التي شهدها العصر الحجري القديم، أسس الصناعات التي كُتبَ لها أن تبقى جزءا من التراث الأوربي حتى للثورة الصناعية، وكان مما مهّل نظمها إلى المديئة الكلاسيكية والمدنية الحديثة انتشار صناعة العصر الحجري القديم؛ والجسمة وتصاوير الكهوف التي وجدها في روسيا سنة ١٩٢١، والأحجار الصوانية التي كتف عنها في مصر "دي مورجان" De Morgan سنة ١٨٩٦، وأثار العصر الحجري القديم التي وجدها "سِتِن كار" Seton-Karr في الصومال؛ ومستودعات العصر الحجري القديم في منخفض الفيوم وثقافة جليخ مثل في جنوب إفريقية، كلها تدل على أن "القارة المظلمة" قد اجتازت نفس المراحل تقريبا بأوروبا قبل التاريخ، وذلك من حيث صناعة الرقائيق الحجرية؛ بل ربما كانت الآثار التي وجدها في ليبيا والجزائر، مما يشبه أثار العصر

الأورجناسي، يؤيد النظرية القائلة بأن إفريقية هي الأصل في تلك الثقافة، أو هي الحد الذي وقف عنده الإنسان الأول وبالتالي الإنسان الأوروبي

ولقد أكتشفت آلات من العصر الحجري القديم في العراق وإيران وسوريا والهند والصين وسيبيريا وغيرها من أصقاع آسيا، كما عُثر عليها في منغوليا ؛ وكذلك أكتشفت هياكل للإنسان الأول وأحجار صوّانية كثيرة من العهدين "الموسمي" و "الأورجناسي" في فلسطين، ولقد أكتشفت حديثاً في "بين" أقدم ما نعرفه من بقايا الإنسان ولواته، ووجدت آلات من العظم في "تبراسكا" بالولايات المتحدة الأمريكية، وأراد بعض العلماء الأمريكيان الذين يتأثرون بالروح الوطنية أن يردوها إلى عام ٥٠٠٠٠٠ ق.م، وكذلك وجدت رعوس سهام صنعت عام ٣٥٠٠٠٠ ق.م، وهكذا تراه جسراً عريضاً ذلك الذي نقل غير إنسان ما قبل التاريخ أسس المدنية إلى زميله الإنسان الذي يظهر في عصور التاريخ.

### تصنيف الفن البدائي من حيث: مراحل تطور الثقافة البدائية :

وقد اتفق بعض العلماء على هذا التصنيف فأما بتقسيمه إلى أربعة

مراحل وهي:

- مرحلة الهمجية
- مرحلة نشوء الاشكال الاجتماعية الثقافية
- مرحلة البربر (أو عصر الفخار)
- مرحلة المدنية والتحضر (عصر الكتابة)



## أ - مرحلة الهمجبة:

وهي تمتد من ظهور أول ثقافة في العصر الحجري القديم قبل حوالي نصف مليون سنة إلى حوالي ١٠,٠٠٠ سنة وهذه الفترة الزمنية الهائلة تشكل مرحلة الأصول الثقافية ، لكن المعرفة بالأشكال الأصلية التي كانت موجودة مثل اللغة أو التنظيم الاجتماعي أو الدين يكاد يكون معدوماً ، أى أن كل النواحي اللامادية لمشكلة الثقافة غير معرفة تقريباً

## ب - مرحلة نشوء الاشكال الاجتماعية والثقافية:

امتدت هذه الفترة من عام ٩٠٠٠ ق . م تقريباً واستمرت حتى بداية الشكل القديم لنظام الدولة أي حوالي سنة ٥٠٠٠ ق.م في الشرق الأوسط ، وتغطي هذه المرحلة فترة نشوء الأشكال الثقافية ، وظهر التعبير عن هذه الثقافة وللمعتقدات على الجنان

## ج - مرحلة البربر ( عصر الرعاة أو الفخار):

تضم هذه المرحلة المجتمعات القديمة في حوض البحر المتوسط والجزء الأقصى من الشرق الأوسط والشرق الأدنى والعالم الجديد ، وتضم شعوباً بدائية تستند على الزراعة المتقدمة وأصبح هناك بدايات لقوانين مدنية عليا في تلك المرحلة . وظهرت بدايات الكتابة وصناعة الأدوات الفخارية وزخرفتها بأشكال هندسية .

## د- مرحلة الحضارة (عصر الكتابة) :

وظهرت بدايات الانماط الفكرية المُشكلة لتمييز المجتمعات والتعبيرات الفنية التي تحمل مضامين شكلت الحضارات والمدنية الحديثة

لكل مجتمع على حدة ، وتحولت الفنون من فنون عصر ما قبل التاريخ إلى الفنون الموثقة والمكتوبة والمدونة لتدلنا على تاريخها .

## ٢- تصنيف الفن البدائي من حيث النشاط الإنساني :

من الممكن التمييز بين خمس نوعيات عريضة من الفن كل منها له خصائصه الخاصة التي يمكن أن توجد في كل مكان.

فن القنص أو الأوائل : وهو الفن الذي مارسه القناصة الذين كانوا يجهلون القوس والسهم، ويجمع بين العلاقات والأشكال ولكن بنون تكوين مشاهد وقواعده تتكون أساساً من تسلسلات منطقية وارتباطات مجازية.

فن الجمع أو الأوائل : وهو الفن الذي مارسه للشعوب الذي يعتمد اقتصادها أساساً على جمع الفواكه البرية والذي يأخذ شكل مشاهد بسيطة ذات طبيعة مجازية تصور عالماً سيرياً والكثير من هذا الفن يبدو أنه أنتج في حالة هلوسة.

فن القنص في العصور المتأخرة : وهو فن يمارسه القناصة الذين كانوا يعرفون استخدام القوس والسهم ويتكون من منظر هزلية ووصفية ويصور أساساً الصيد وأحداثاً في الجماعة.

فن الرعاة : وهو فن تمارسه شعوب نشاطها الاقتصادي الأساسي (كما صورته في هذا الفن) هو تربية الماشية ويركز على تصوير الحيوانات الأليفة، ومشاهد من الحياة العائلية ومشاهد لاستئناس الحيوانات والتي تجمع بين الحيوانات والبشر .

فن الاقتصاد المركب : وهو فن تعارسه شعوب ذات اقتصاد متنوع يشمل الزراعة ويتكون أساساً من مشاهد أسطورية وتكوينات من العلامات والأشكال هذا التصنيف هو بالضرورة تصنيف تقريبي وهناك مراحل وجماعات انتقالية تظهر خليطاً من الخصائص كما يمكن أيضاً أن تكون هناك اختلافات واضحة في داخل نوعية واحدة، إلا أنه في الحالة للراهنه للأبحاث، ومع وضع في الاعتبار الكمية الكبيرة من الدلائل المتاحة فإن الموقف المبني على الأسلوب وعلى مادة الموضوع من الواضح أنه الموقف الذي يجب إتباعه لتخطي قيود الحدود الإقليمية.

وبتطبيق مجموعة من المعايير مبنية على الموضوعات ونمط الصور كان من الممكن تحديد بعض العناصر المتكررة ذات للدلالة وأيضاً تقديم فرضية وجود انعكاسات عامة معينة مرتبطة بطرق معينة للحياة، قد تكون قد أثرت لا على سلوك الناس فقط ولكن على تفكيرهم وعلى عملية الربط لديهم أيضاً (ومن ثم على أيديولوجيتهم) وبالتالي على أشكال الفن لديهم ومنذ البدايات الأولى تماماً للفن كما نعرفه، منذ حوالي ٤٠ إلى ٥٠ ألف عام، كان الأكيميون يتصرفون طبقاً لعمليات عقلية معينة قادتهم إلى اختراع العلاقات والرموز والتجريد أو التسمي والذي يشكل حتي إلى يومنا هذا أحد خصائصهم العامة.

## ٤- تصنيف الفن البدائي من حيث الموضوع والأسلوب الفني :

وهو تصنيف يقوم على معرفة الزمن الذي ظهرت فيه تلك الأعمال الفنية البدائية مع توضيح الأسلوب الفني والموضوع المعبر عن تلك الحقب والفترات الزمنية وقد قسمت إلى أربعة فترات :

## أ- الفترة الأولى "عصر البوهاوس" :

وهي أقدم الفترات الزمنية المعبرة عن حياة الصيادين حيث تعيش الحيوانات المفترسة كالجاموس البري والفيلة وفرس النهر والزراف والعجول والنعام، وقد اعتمد الرسم في هذه الفترة على الخط سواء كان محفوراً أو مرسوماً مع انتمائه بالإيجاز والبلاغة وكانت الحيوانات ترسم من الجانب بأسلوب واقعي مع التركيز بوضع التفاصيل على أجزاء الحيوان، وأغلب رسوم هذه الحقبة تتميز بكبر المساحة، وقد أطلق على هذه الفترة "البوهاوس" نسبة إلى "الجاموس البري" المنقرض والموجود بكثير من رسوم هذه المرحلة كما يطلق عليها أيضاً حقبة "الصيادين" نظراً لأن معظم الرسوم تتناول موضوعات صيد الحيوانات.

## ب- الفترة الثانية "عصر الزراعة" :

وانتقلت حياة الصيادين البدائيين إلى حياة الزراعة مما كان له أثره في تغيير نمط الحياة وصاحبها تغير في تكون شخصية الفنان البدائي بشكل عام، وقد افترق هذا بظهور فكرة وجود عالم آخر يتحكم في حياة الإنسان "عالم الأرواح الخيرة والشريرة" وعليه لم يعد العمل الفني مجرد تمثيل للواقع فقط (كما كان في الحقبة السابقة) بل أصبح تمثيلاً لفكرة أو رمز ولم يعد الفنان البدائي العزراع متجهاً إلى معرفة خواص الحيوان وبيئته وهجرته، إنما اتجهت أفكاره وإحساساته وقدراته إلى التخيل والابتكار، كما تميزت أعماله بالتخصيص والإيجاز البعيد عن الواقع الملموس.

### ج- الفترة الثالثة "عصر الحصان" :

وقد أطلق بعض العلماء والباحثون على هذه الفترة "الحصان" لما تميزت به من ظهور العربية التي يجرها الحصان، ويتميز أسلوب التعبير في هذه الفترة أنه مال بالتدريج للرسم بالطريقة الاصطلاحية الهندسية.

### د- الفترة الرابعة "عصر الحمل" :

أما هذه الفترة فقد رسم الفنان البدائي بها الجمل بشكل متميز على الصخور ويصاحبه غالباً أشكالاً لآدميين وقد كان هذا أما محفوراً أو مرسوماً على الصخور، وتتميزت هذه الرسوم برسم الحيوان في حيوية وحركة وفي حجم أصغر مما سبق، وقد اختفي الأسلوب الاصطلاحى الهندسي في رسم الحيوان والأشخاص وإدخال بعض للبيئة في الحركات، ومع بداية هذه الفترة ظهرت للرماح كسلاح وأداة للصيد برسوم هذه المرحلة.

### هـ- تصنيف الفن البدائي من حيث علاقة الفن بالطبيعة :

قسم بعض العلماء والباحثين الفن البدائي من حيث تطور علاقته بالطبيعة لثلاث مراحل على النحو التالي :

أ- مرحلة قديمة وتتميزت بمحاكاة الطبيعة.

ب- مرحلة متوسطة وتتميزت بالانتقال ما بين محاكاة الطبيعة والأسلوب الهندسي.

ج- مرحلة حديثة وتتميزت بالرسوم الهندسية التجريدية.

#### أ- مرحلة محاكاة الطبيعة :

كان الفنان البدائي في عصور ما قبل التاريخ مهتماً بأن تكون صورة الحيوان معتقة بدرجة كبيرة بحيث تصبح أقرب ما تكون للطبيعة معتمداً على الملاحظة البصرية الدقيقة لمفردات الطبيعة وعناصرها ولكن مع عدم اهتمامه ومراعاته للنسبة والتناسب بين الصور المختلفة على الجانب الواحد ولم تكن الصورة محددة بإطار.

وكانت هذه السمات خاصة بفن الصيادين الأوائل، إذ كان عليهم أن يلاحظوا جيداً خصائص وصفات الحيوان وحركاته والتفاصيل بمنتهى الدقة والإنجاز في رسومهم وتصويرهم الجدارية حتي يتسنى لهم إنجاز عملية الصيد والقتل بنجاح حيث كان يصاحب الرسم مجموعة من الطقوس والشعائر الدينية والسحرية كما لو أنها تقوم مقام التعويذة أو التيممة السحرية.

#### ب- مرحلة الانتقال بين محاكاة الطبيعة إلى الأسلوب الهندسي :

مرت رسوم وتصوير الفنان البدائي عبر الانتقال من محاكاة ومحاولة مضاهاة للطبيعة بالعصر الحجري القديم للوصول للأسلوب الهندسي الزخرفي بالعصر الحجري الحديث بمرحلة مسطحة لكي يتم هذا التطور عن طريق المبالغة والتبسيط في الأشكال مما مهد للتصميمات والخطوط والأشكال الهندسية.

فجد الفنان البدائي بهذه المرحلة قام بتحويل رسومه الطبيعية للحيوان وابتعد عن الواقعية ودقة التفاصيل وتزايدت نزعته التجريدية التلخيصية وربما يرجع ذلك لتحوله عن اعتبار الحيوان مصدراً أساسياً لغذائه بعد

معرفة الزراعة، وقد تطور هذا التحوير حتى صار مجرد خطوط ونقاط وأشكال تخطيطية مبسطة.

ولم يقف هذا التطور عند حد التحوير في الرسوم الأدمية والحيوانية بل إن بعض للنباتات والأدوات المستخدمة في تلك المرحلة قد تم تحوير صورها واستخدمت كزخارف نقشت على غيرها من الأدوات وكان من هذه الأدوات السهام والأقواس والرماح والحراب، ورسمت هذه الأدوات والأسلحة أحياناً على شكل خطوط مستقيمة أو منحنية متوازية وربما جاء هذا التحوير بسبب رسم الوحدات الطبيعية أحياناً على مساحات ضيقة مما اضطر الفنان البدائي للاكتفاء برسم جزء من هذه السهام أو الحراب أو الأقواس أو ضغطها أو إطالتها بما يلائم الفراغ ثم تم تحويرها وتجريدها لوحدات زخرفية.

### ج- المرحلة الهندسية التجريدية :

لم تكن الأشكال ذات التصميم الهندسي هي الأساس الذي كانت عليه بدايات الفن في عصور ما قبل التاريخ ولكنها ظهرت مؤخراً فمن خلال دراستنا للأدوات الحجرية بالعصور الحجرية حتى بداية العصر الحجري الحديث نجد تطوراً تدريجياً ليس فقط من حيث الإتقان بل بما اتسمت به من بقاء ورقة وخاصة في زخرفة الأعمال الفخارية.

كما تحولت الصورة بالتدريج إلى لغة رمزية تتخذ شكلاً تمثلياً وتصاوير العصر الحجري الحديث تشير إلى الشكل الإنساني مثلاً برمزتين أو ثلاثة رموز هندسية كخط رأسي معتقلم للجسم ونصف دائرة مفتوح لأعلى والآخر مفتوح لأسفل للتعبير عن الذراعين والساقين.

فقد أصبحت مهمة الفن في هذه المرحلة الهندسية هي محاولة بلوغ فكرة الأشياء ومعنوياتها وجوهرها الباطن وخلق رموز متميز ومفردة والبعد عن تقليد ونسخ الأشكال الطبيعية للواقعية.

ومع حلول العصر الحجري الحديث ظهر نوعين من الفن الهندسي أحدهما رمزي والآخر زخرفي :

- النوع الرمزي :

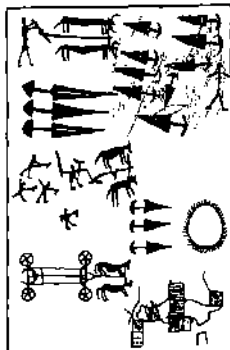
والذي نشأ لتلبية متطلبات الجماعة والذي يسجد بواسطة أشكال تصويرية ترمز لأشياء حسية مرتبطة بعقائد تلك الجماعة.

- النوع الزخرفي :

ونشأ لتلبية حاجة مادية حسية عندما بدأ رجل العصر الحجري الحديث بتجميل مصنوعاته وأدواته ومنتجاته الفخارية، إنما فعل ذلك لتلبية رغبته نحو شغل للمصاحات الفارغة بواسطة الزخرفة.

وقد ظهر تأثير هذه المرحلة على الطابع الهندسي الناضج بعدة حضارات أعقبت بداية الفن بالعصور الحجرية، والحديثة نسبياً مثل حضارتي اللبداري ونقادة بمصر، وحضارتي آشور وبابل بالعراق، وحضارة "لمايا" بالمكسيك و"المازكا" ببيرو، والذي ظهر على أسطح الأواني الفخارية في غلبة من اللدقة وذات القيم الجمالية المفردة.





شكل (٥٢) توضيحي لرسوم صخرية تعبر عن الزراعة رسمت بأسلوب السلويت



شكل (٥٣) مثال لرسوم خطية بدائية صخرية تعبر عن الصيد



شكل (٥٤) مثال لرسوم صخرية بأسلوب الملويت للفنان البدائي تعبر عن الصيد



شكل (٥٥) مثال لرسوم صخرية بأسلوب الملويت للفنان البدائي تعبر عن الصيد



شكل (٥٦) مثلثين لرسم صخرية يأسلوب الفنلوت للفنان البدائي تعبر عن الصيد



شكل (٥٧) أحد الرسوم صخرية يأسلوب الفنلوت للفنان البدائي تعبر عن عملية استئناس الحيوانات - بكهوف تامبيلي ناچر بالصحراء الكبرى الليبية



شكل (٥٨) أحد الرسوم صخرية بأسلوب السلويت للفنان البدائي تعبر عن عملية استئناس الحيوانات - كهوف تاسيلي ناجر بالصحراء الكبرى النيجية

# **الجزء الثانى**

**بدايات الفن**

**فى العالم القديم**

## بدايات الفن في العالم القديم

### بدايات الفن في أوروبا:

كان يعيش علي الأرض منذ قرابة خمسين أو ستين ألف سنة خلت، وقيل بلوغ العصر الجليدي الرابع ظهر مخلوق بلغ من قوة مشابهته للإنسان أن بقاياه مسار جدلاً كبير، ويقول العلماء أن هذا المخلوق كان يستطيع أن يوقد النار، وكان يلتجئ إلي الكهوف اتقاء البرد، غير أن العلماء الميالات البشرية يرون اليوم (بعد جدلاً كبير في الماضي) أن هذه المخلوقات لم تكن من الإنسان الحق في شيء فلهم فكك ثقيلة بارزة وجباه منخفضة جداً وحروف حواجب كبيرة بارزة فوق العينين، ولم يكن إيمانهم مما يتقابل والأصابع كإيمان الإنسان، وقد خلقت أعناقهم علي وضع خاص لا يسمح لهم أن يرفعوا رؤوسهم إلي الوراء أو ينظروا إلي السماء وعظام فكائهم عديمة النفع وكان تقادراتهم وملكاتهم العقلية ترتب آخر مغاير، مما يؤكد أنهم ليسوا أسلافاً للسلافة الإنسانية، إذ أنهم يختلفون عن الهيئة الإنسانية من الناحيتين العقلية والجسمانية.

وقد وجدت جماجم وعظام هذا المخلوق البائد بأماكن عديدة أبرزها عثر عليها بمدينة نياندرتال بالقرب من "سلدورف" بألمانيا سنة ١٨٥٧ ويرجع تاريخها إلى ٤٠,٠٠٠ سنة ق.م، ولذا أطلق للعلماء علي هذا المخلوق العجيب أسم إنسان نياندرتال (أو إنسان الغاب المنقرض) ويفترض العلماء أنه ظل يقطن أوروبا مئات بل آلاف من السنين، ثم حدث منذ حوالي ثلاثين أو خمسة وثلاثين ألف سنة مع تقدم المناخ نحو الدفء قليلاً أن نزح إلي عالم النياندرتاليين من الجنوب جنس من كائنات أكثر ذكاء وأوسع معرفة، ولديها قدرة علي الكلام وللتعاون مع بعضها، فطردوا الجنس النياندرتالي

من كهوف ومنجعاته، وتصبوا نفس الطعام الذي كان يأكله، ولعلمهم قد فالتوا هذه المخلوقات الغريبة وأعلوا فهم لفناء هؤلاء الوافدون من الجنوب أو الشرق (فمن الغير معلوم بالتحديد بلادهم الأصلية) فلتين لبادوا فلتلندرتالين آخر الأمر ليادة تامة، كائنات من نفس دمنأ وجنسأ، وهم الإنسان الأول الحق، وآية ذلك أن جماجمهم وإيهاماتهم وأعناقهم وأسنانهم هي من الناحية التشريحية نفس ما لدينا، وقد عثر لباحثون في كهف كرومانيون، وفي آخر قرب جريما لدى بغرب أوربا علي عدد من الهياكل العظمية، وهي أقدم ما نعرف إلي لليوم من البقايا البشرية الحقة وبذلك يدخل جنسنا في سجل التاريخ وببدأ قصة البشرية وإبداعتها ومعها بدأت معالم الفن الأولي.

### ١- فن الكهوف والصخور (بفرنسا وأسبانيا)

وأقدم ما يعرفه للعالم من آثار بشرية عثر عليها في غرب أوربا وخاصة في فرنسا وأسبانيا (والي جانب أماكن متناثرة وسط وجنوب أوربا كالندروج وإيطاليا...) فقد تم اكتشاف العديد من العظام والأسلحة وخنوش علي العظام والصخر ورسوم وتصاوير علي جدران الكهوف وعلي سطوح الصخور، ترجع فيما يظن إلي ثلاثين ألف سنة أو أكثر وخاصة في أسبانيا وفرنسا فهما أغنى بقاع العالم بتلك البقايا الأثرية القديمة عن أسلافنا من البشر الحقيقيين وقد كانت بدايات الفن فيما قبل التاريخ بأوربا وغيرها مرتبطاً بشكل وثيق بحياة القناصة والرعاة الذين ابتدعوه وكان فنا للطبيعة، وأولا وقبل كل شيء فن للهواء الطلق وتنتشر في كل أنحاء العالم ملايين من مواقع فن الصخر تشهد علي الأنشطة الخلاقة للكدميين علي مدى فترة زمنية تمتد في الماضي علي الأقل لعشرة آلاف سنة قبل للتاريخ. وهذا الفن يتكون من لوحات محفورة وبدرجة أقل (علي الأرجح لأنها لم تحفظ جيدا) رسومات ورسومات زيتية علي أسطح تختلف من منطقة إلي منطقة طبقا لخصائصها

للجيولوجية - فهي إما جلاميد منفردة، أو حقول من الجلاميد (مناطق مغطاة بالصخور)، أو صخور مسطحة وأسطح من للطريط (صخر أحمر مساسي)، أو أجزاء ناتئة من سفوح الجبال، أو حوائط مأوى من للصخر. وبالمقارنة بهذه الوفرة في مواقع فن الصخر في الهواء الطلق، فإن الأمثلة في الكهوف أقل نسبياً وعلى العكس، فإن فن أوروبا في العصر الحجري القديم وخاصة في الفترة للمجدلانية (١٧ ألف إلى ١٠ آلاف سنة ماضية) يوجد أساساً تحت الأرض.

فقد اكتشف حتى الآن حوالي ٢٥٠ كهفا مزيّنا بالصور الزينية أو المحفورة، وهي موجودة أساساً في فرنسا وأسبانيا في مقابل عشرة أو ما يقرب من ذلك في مواقع في الهواء الطلق، تتكون إما من صخور محفورة، أو على شكل مأوى صخرية مزيّنة بصور منحوتة. وعلى خلاف للفن المفتوح للضوء والحياة، الذي أنتجته المجتمعات المتنقلة، فإن فن الحوائط في الكهوف يختفي بعيداً في أعماق الأرض المظلمة.

والعلامات التي اكتشفت في فوهات الكهوف في القرن التاسع عشر، التي تدل على أن الآدميين سكنوها في عصور ما قبل التاريخ، تؤكد الأسطورة القديمة حول رجل الكهف. إلا أنه في واقع الأمر لم يعيش القناصة في العصر الحجري أبداً في الكهوف المظلمة، ومن المستحيل على الآدميين أن يعيشوا فيها لمدة طويلة. ويقال هذا فقط لإبراز للمعني الرمزي للفن الجانطي الذي اخترعه للرسمون والنجاتون في العصر الحجري، والذي برعوا فيه، ولابد أن هؤلاء الفنانين قد تمتعوا بوضع ممتاز في المجتمع بفضل مهاراتهم، لأنهم عبروا عن المعارف المكتسبة والمعتقدات للجماعات التي كانوا ينتمون إليها.



وكان فنانون الحضارة الجرافيتية (منذ ٢٥ ألف إلى ٢٠ ألف عام)، والتي سميت كذلك علي إسم موقع لاجرافيت في جنوب غرب فرنسا، هم أول من جرؤ علي دخول الكهوف، والتي اكتشفت منها حتى الآن حوالي عشرة، ولكنهم لم يغامروا أبدا بالدخول كثيرا في عمق الكهوف بعيدا عن ضوء النهار. وكهف نونبيرد (في مقاطعة جيروندي في فرنسا) الملى بعشرات الصور المحفورة فيه، وكهف جارجاس (في هوت - جارون، فرنسا)، والذي يحتوى علي صور محفورة وصور زيتية (خطوط خارجية لشكل الأيدي)، هما مثلان رائعان علي عمل هؤلاء الرواد. إن فناني الفترة لاسولونترينية (منذ عام ٢١ ألف إلى ١٨ ألف سنة ماضية)، والتي سميت علي إسم موقع سولونترية، وهو في فرنسا أيضا، لم يكونوا أكثر جرأة بكثير، فقد وجد أقل من ٢٠ كهفا قاموا بتزيينها في فرنسا وأسبانيا. ولكنهم كانوا من الفاحية الأخرى مهرة بشكل خاص في إبداع صور من النحت قليل البروز في مواقع في الهواء الطلق.

إن أمثلة الفن للبدائي الحائطي المبعثرة في تجاويف وأروقة الكهوف، وبعضها فسيح (فلك لمجودة في روفيناك في منطقة دوردوني في فرنسا علي سبيل المثال لعدة كيلومترات) تبين أن البدائيين قد اكتسبوا وحسنوا المهارات المطلوبة للعمل تحت الأرض. فقد استخدموا أطباقا مجوفة من الحجر، تكون عادة من الحجر الجيري، مملوءة بمادة دهنية حيوانية مع هيل مصنوع من مواد نباتية كصابيح، والتي أثبتت للتجارب الأخيرة أنها يمكن أن تستمر في الاحتراف لساعات طويلة. والكهوف التي لها مدخل أو أكثر، وتجاويف وأروقة، وطرف أو أكثر يمكن النخول منه، هي مكان محكوم ومقيد للعمل فيه، علي خلاف الماوى للصخرية في الهواء الطلق التي توفر سطحا عموديا تقريبا ذا بعدين، مثل شاشة تحجب الأفق.

إن مكان الصور الزيتية علي الصخر بالنسبة للعلاج الطبوغرافية للكهف هو جزء لا يتجزأ من رمزيتها. ففي كهف نيو (في إرييج في فرنسا) علي سبيل المثال، توجد أنواع معينة من العلامات الحمراء المطلية، بعضها أشكال مكونة من نقط وبعضها الآخر أشكال نبوتية أو علي شكل الهراوة، تظهر مجتمعة وموزعة علي طول للممر الذى يؤدى إلي الكهف ويخترقه. وهناك لشكال أخرى من الرسوم الهندسية أو التجريدية، مثل للزوايا، وهي موجودة فقط تقريبا في قاعة فسيحة ذات قبة تعرف باسم الصالون الأسود، حيث توجد مجتمعة مع رسومات لثيران وحيوانات أخرى مرسومة أيضا باللون الأسود.

فقد اهتم برسم الحيوانات المعاصرة التى كان يرغب في صيدها مثل الخيول والجاموس والغزلان. لذلك اقتصرت رسومه الأولى علي الحيوان دون الإنسان. ويعتقد العلماء أن فن الإنسان الصياد كان في مظهره الأول منبثقاً من احتضانات تسيطر عليه، فربما كان يظن أنه مهارته في رسم الحيوانات التى يخافها يعطيه سلطة عليها، وتزيد من قدرته علي التغلب عليها. لذلك تميزت رسوم للحيوانات بالدقة التامة والحركة والحيوية. ولقد حصل المصور الأول علي ألوانه من أكاسيد الحديد والمنجنيز واللون الأسود من العظام المحروقة.

وهكذا في كهف من العصر الحجري ينكيف التركيب الموضوعي للرسومات الزيتية علي الحائط (أي أشكال العلامات وأنواع الحيوانات) وتركيبها الرمزي (العلاقة المكانية بين الموضوعات) مع التكوين الطبيعي للموقع، ومع المسافات والأحجام وهي تتقدم في تتابع من فوهته حتى مؤخرته، ثم رجوعاً مرة أخرى نحو الفوهة، وهكذا نحو للحياة الطبيعية في الخارج.

وتطوق الحوائط الزائتر، وتخلق تنوعا لا حصر له في الحجم، فيسهل المدحول في بعضها وللمرور فيه أكثر من أخرى، وبعضها فسيح ومثير للريبة مثل الكائنات، والبعض مقبض ولا يزيد عن أماكن ضيقة لا يمكن الحركة فيها إلا زحفا. هذه الخواص الطبيعية للموقع تؤخذ في الاعتبار أيضا في طريقة وضع الرسومات الزينية، وتساهم في معناها الرمزي، فالزائر الذي يقف في وسط القاعة المعسكرة في كهف لاسكو في دوردوني يستحوذ على انتباهه الإفريز من التأثير الضخمة التي تجري حول الغرفة في خلفية من شرايط من الصخر الأبيض الناصع الذي يبرز بين قاعدة الحوائط التي تميل للسواد والسمف ذي الحفر العميقة وللكتل النانئة (البارزة).

ومن الواضح أن المواقع في الهواء الطلق ليس بها هذا التنوع الكبير في الأشكال والأحجام الموجودة في الكهوف وحوائطها وسقفها وأرضها.

إن الرسم أو الحفر على الصخر في مأوى صخري يمكن الإلمام به في نظرة سريعة أو من نقطة واحدة متميزة. أما في الكهف، من الناحية الأخرى، فإن الناظر عليه أن يسير خلال المكان الرمزي الذي تخلفه الرسومات المعبرة حتى يستطيع أن يراها "ويقراها" بأكملها وسواء كانت موضوعة في مجموعات أو معزولة ومتفرقة فهي لا تكتسب حياة إلا إذا تحرك الناظر، وبالتالي تحرك مصدر الضوء. وهي ثابتة في الظلام، ومتفرقة على سطح الأشكال الطبيعية المعقدة ذات التنوع الهائل، ولذلك فهي تحتاج لبعض الوقت حتى يمكن رؤيتها في تتبعها، ثم إدراكها في مجموعها كأجزاء لشئ واحد كامل هو الكهف ذاته.

والرسوم الزينية في كهوف العصر الحجري، نظرا لأنها تخضع لقيود المكان والزمان والإضاءة المنقطعة لمصدر ضوء صناعي، لا تعيش إلا في ذاكرة هؤلاء الذين

يعرفونها عن قرب، أو في التجربة السريعة لأولئك الذين يصدمون بها لأول مرة. إنها خارج للحياة العادية، وبعيدة عنها، وتنتمي تماما وقطعيا لعالم الخيال.

### ٣- فنون أخرى:

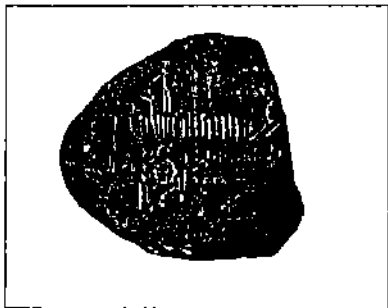
وإلى جانب هذا الفن الحائطي المعزول ماديا ورمزيا، يوجد فن العصر الحجري في شكل العديد من القطع الفنية للمصنوعة يدويا، مثل الرسوميات الزيتية والحفر علي قطع مسطحة من الحجر أو العظم، أو علي مقابض الأسلحة والمعدات، وأدوات للزينة الشخصية التي لا حصر لها، مثل العقود المصنوعة من الخرز، والذلايات والأساور، والتماثيل الصغيرة المنحوتة من الحجر أو العظم أو للعاج. كل هذه الأشياء التي وجد آلاف منها في العديد من المواقع التي كانت مأهولة في أوروبا في العصور الحجرية، من أوائل الفترة الأورجناسية، حوالي ٣٥ ألف سنة ماضية، إلي النهاية المترامية لعصور الجليد مع الحضارة المجدلانية، تمثل مجموعة كبيرة من الأيقونات الرمزية المندمجة تماما في الحياة اليومية ولسهولة نقلها فقد ساهمت في تنمية التبادل والاتصالات ونشر، الأفكار والأساطير.

### ٣- فن النحت:

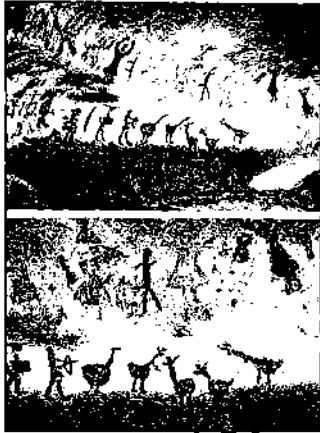
وتشهد تماثيل فينوس للصغيرة من العصر الجرافيتي - وقد وجد منها حوالي مائة تمثال صغير - في مواقع كانت مأهولة في جنوب غرب فرنسا، في براسيمبوي (الاند) وليبيج (هوت جاردن) علي سبيل المثال، وفي أماكن بعيدة جدا مثل السهول الروسية في كوستينيكوي أو أفديفوي، علي درجة معينة من وحدة المفاهيم والأساليب الواحدة أو المتشابهة من أحد أطراف أوروبا للطرف الآخر علي مدى أربعة أو خمسة آلاف سنة.



شكل (٥٩) حفر على الصخر لدوائر ذات مركز واحد مرتبطة بمحارب على اليمين عثر عليها بمنطقة بدولينا - كامونيك - بايطاليا



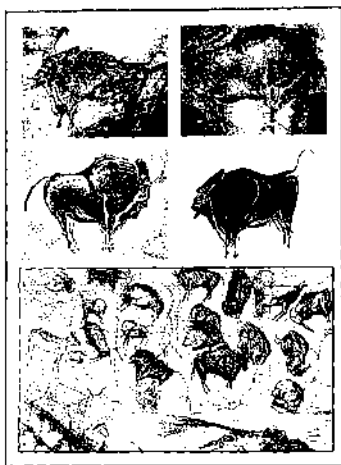
شكل (٦٠) رسم محفور يمثل قارب من العصر البرونزي - الدنمارك



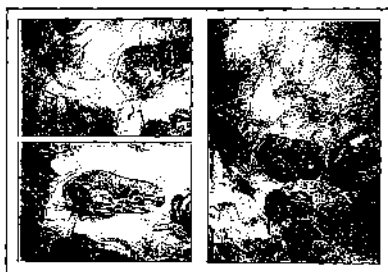
شكل (٦١) رسوم زيتية صخرية تعبر عن صيد الحيوانات رسمت على جدران صخرية  
ببولغاريا



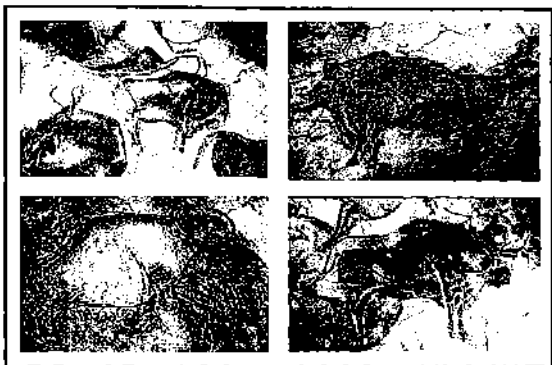
شكل (٦٢) نقوش على الصخر عثر عليها بمنطقة اوسفيك بالنرويج وتعود للعصر  
الحجري



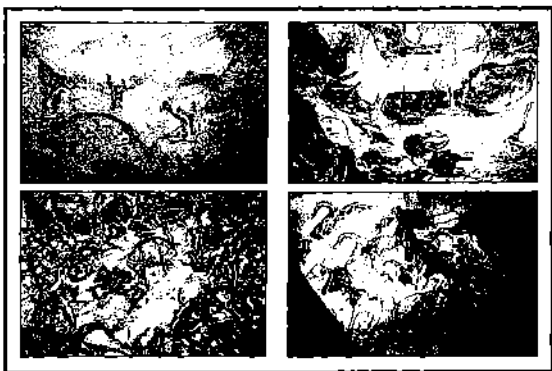
شكل (٦٣) امثلة للرسم الصخري الملون بكهوف التاميرا باسبانيا والذي يمثل حيوان البيزون



شكل (٦٤) امثلة للرسم الصخري الملون بكهوف التاميرا بالعصر الحجري باسبانيا



شكل (٦٥) امثلة للرسم الصخري الملون بكهوف التاميرا بالعصر الحجري بسبانيا والذي يمثل حيوان البيزون - النور الوحشي



شكل (٦٦) جدران كهوف التاميرا المزينة برسوم ملونة لحيوان البيزون والتي ترجع للعصر الحجري





شكل (٦٧) رسم توضيحي لموسم خطية زيتية على الصخر من هنتق قنابسي العصر الحجري الأوسط بكهوف جنوب شرق إسبانيا والتي تمثل حيوان البزوين ورسم بجميع بين الإنسان والثور



شكل (٦٨) مثال لصخرة رسم عليها بالحفر الغائر وتم تلوين الأشكال بالألوان الزيتية بخد الحفر وتعود للعصر الحجري بإسبانيا



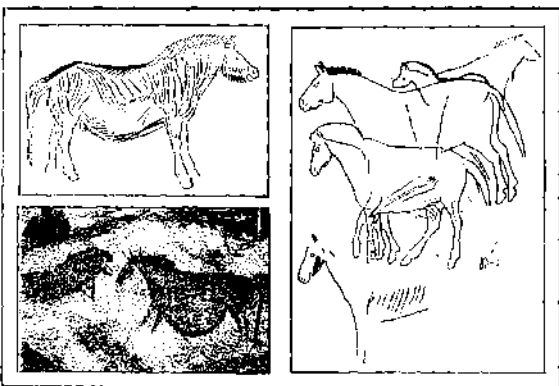
شكل (٦٩) مثال لقدرة الفنان البدائي بالعصر الحجري على الرسم بالتفاصيل التشريحية على سطح الكهوف والتي تحمل جماليات وتقنيات عالية حتى لو قورنت بالقيم الجمالية والتقنيات المعاصرة



شكل (٧٠) مناظر الصيد بكهوف التاميرا وتمثل حيوانات مختلفة مطعونة بسهام وتظهر عليها تعبيرات الاصابة



شكل (٧١) منظر للرسم الصخرية الملونة بالانوار الزيتية والتي تعد من أعظم المناطق الأثرية بامبافيا



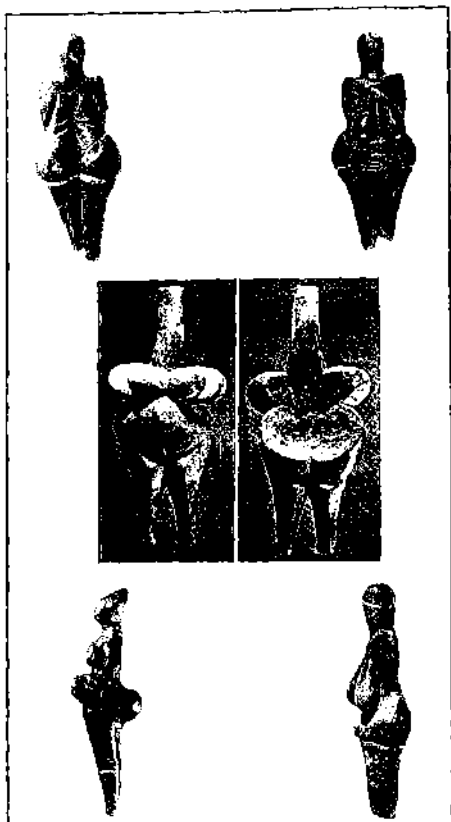
شكل (٧٢) امثلة للفن البدائي بكهوف فرنس تمثل حيوان الحصان



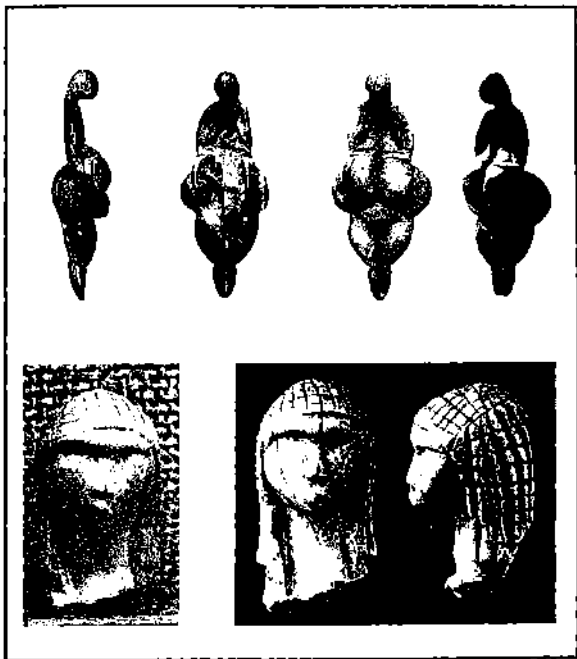
شكل (٧٣) تمثال منحوت على العاج على هيئة حيوان يستدير للخلف يعود للعصر  
الحجري بمنطقة فلاندرز بفرنسا



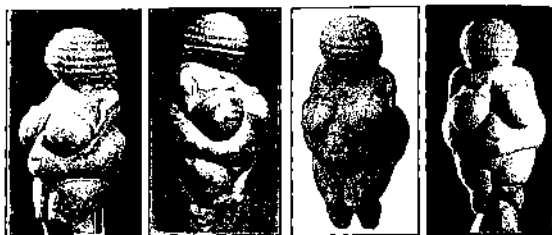
شكل (٧٤) رأس ثور منحوتة على الحجر الجيري عثر عليها بمنطقة أنجل - مير -  
أنجلان بفرنسا



شکل (۷۵)



شكل (٧٦)

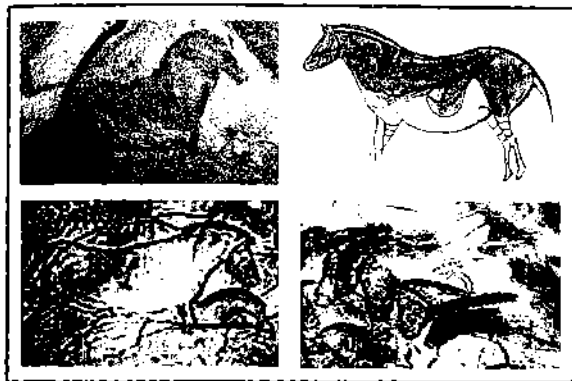


شكل (٧٧)



شكل (٧٨)

الأشكال (٧٥ : ٧٨) أمثلة لتمائيل صغيرة لأشكال نسائية والمعسمى عادة فلاندروف والتي  
عثر عليها بمنطقة فلاندروف على الحدود النمساوية الفرنسية ومدينة وليسبورج بفرنسا



شكل (٧٩) أمثلة لسوم الحصان بكهوف شافويت بفرنسا



شكل (٨٠) رسوم خطية صخرية بالألوان الزيتية لخرتيتين بتصارعان على جدار كهف بمدينة شافويت بفرنسا

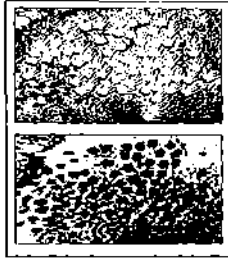




شكل (٨١) رسوم زيتية صخرية لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف شافيت بجنوب فرنسا



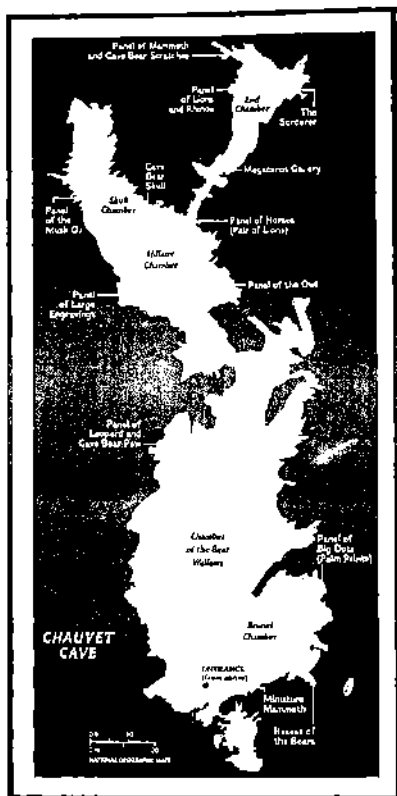
شكل (٨٢) رسوم زيتية صخرية لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف شافيت بفرنسا



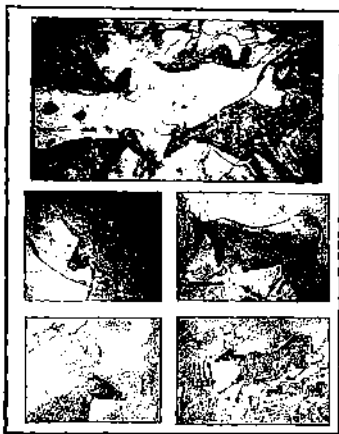
شكل (٨٣) رسوم زيتية لأثار أيدي للفنان البدائي طبعت على كهوف شاوفيت بفرنسا



شكل (٨٤) صورة كهف شاوفيت الضخم بجنوب فرنسا



شكل (٨٥) خريطة توضح أماكن الكهوف بمدينة شافيت بجنوب فرنسا



شكل (٨٦) رسوم زيتية ملونة التي تمثل حيوان الثور والتي يظهر بها فترة الفنان البدائي - على التعبير عن حركات الحيوان المتنوعة بكهوف لاسكو بجنوب فرنسا +



شكل (٨٧) أمثلة لرسوم الحصان بكهوف لاسكو بفرنسا



شكل (٨٨) رسوم خطية زيتية ملونة التي تمثل حيوان الثور والتي توضح جماليات  
الانقاع الحركي الخطي للفنان البدائي - كهوف لاسكو بجنوب فرنسا



شكل (٨٩) رسوم زيتية جدارية ملونة ضخمة رسمها الفنان البدائي بالعصر الحجري  
على جدران كهوف لاسكو بجنوب فرنسا



شكل (٩٠)



شكل (٩١)



شكل (٩٢)

أشكال (٩٠ : ٩٢) رسوم زيتية ملونة رسمها الفنان الهذلي بالمعصر الحجري على  
جدران كهوف لاسكو بجنوب فرنسا



شكل (٩٣) رسوم زيتية صخرية لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف نيو بفرنسا



شكل (٩٤) رسوم زيتية ومحطورة على الصخر لمناظر صيد لحيوانات مختلفة رسمت على كهوف تيو بفرنسا

## بدايات الفن في استراليا :

أن السكان الأصليين لكل من قارة استراليا والأمريكتين أصحاب الأرض الحقيقيين ليس لديهم سوى التاريخ المنقوش علي الصخور كسند ملكيتهم لأرضهم، والتي اغتصبت منهم من قبل الغرب الأوربي وتم استثمارها وطرد وإهانة أصحابها الأصليين. فقد كان سكان استراليا الأصليين من الأبوريجين دائما قفاصة - جامعين يعيشون في انسجام مع محيطهم، إنهم يعتقدون أنهم يستطيعون المساعدة في الحفاظ علي دورات العالم للطبيعي من خلال طقوسهم، وأنهم جزء من هذه الطبيعة مثلهم مثل الرياح والمطر والتربة. وفهم خبايا الطبيعة عملية تستغرق حياة بأكملها وهي لا تتكشف تماما إلا لكبار السن في القبيلة والعشيرة.

والفن لدى الأبوريجين هو تعبير عن الحياة الحالية، أي الحياة التي نعيشها حاضرا منذ بداية الزمن. إن حضارتهم هي أقدم للحضارات، والحضارة المستمرة الأكثر شباهًا في العالم، وهي أقدم حضارة كما تشهد علي ذلك عملية تحديد التاريخ المسماة "للتألق للحراري" وأكثرها شباهًا، لأن الممارسات المصورة في رسومات الصخر ما زالت جزءا من حضارة الأبوريجين حتى هذا اليوم.

وطبقًا للأبوريجينيين، فإن المحفور أو المرسوم بالآلوان علي الحجر هو تعبير عن قوانين للعالم الثابتة التي انبثقت منذ "عصر الحلم"، للعصر اللاهوتي غير المتبلور قبل أن يتشكل للعالم بالشكل الذي نعرفه اليوم. وقد وضعت هذه القولتين في مكانها بواسطة الأسلاف. وكانت حتى فترة قريبة فقط لا يراها أو يفهمها إلا قلة من العارفين، هم كبار السن للذين أظهروا جدارتهم علي المعرفة.

ويعتقد الأبوريجينيين أنهم إذا لم يحافظوا علي الأرض بشكل إيجابي فإن الأرض ستتوقف عن منح الحياة، كما أنهم يستوقفوا عن الوجود إذا أبعدوا عنها.



## قانون "وونان":

وبعد فن للصخور الاسترالي بمثابة وثيقة مرئية إنه القانون "المكتوب" بلغة الأبوريجيين إن المعلومات في الرسومات وترتيب الأحجار صريحة تماما. إن قانون الرجل الأبيض يتغير من عام لعام، ولكن هذه الرسومات لا تتغير أبدا. إن تصوير أحد الرجال، وهو يعطي شيئا لرجل آخر، علي سبيل المثال، لا تتعدل أبداً، وقد كانت هناك، بالنسبة للأبوريجيين، منذ الأزل، ولها بالنسبة لهم قوة القانون.

فعلي سبيل المثال، رسم لرجل يعطي شيئا لرجل آخر؟، إنها تعني وونان، أو فعل المشاركة.

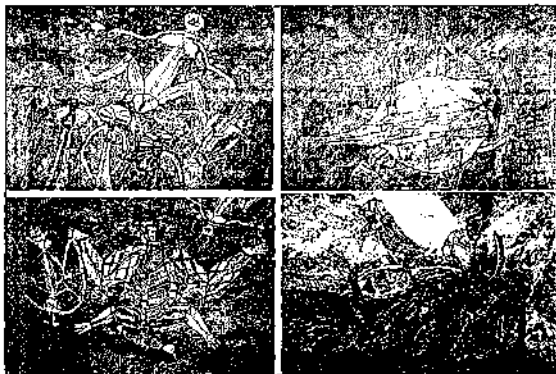
إن قانون للوونان يسري علي الجميع. إن كل شيء كان دائما مشتركا بين الجميع. لا أحد يعيش خارج السلسلة. كل واحد أنت وأنا، وكل واحد - في داخل وونان، الحيوانات والأشياء والطيور، كل شيء جزء من قانون وونان.

لقد بدأ كل شيء عند مائدة وونان الحجرية، إنها المائدة الحجرية التي نرشدنا. لقد اجتمع كل شعبنا هنا لوضع القواعد والقوانين.

لقد أنت كل القبائل من الأربعة لركان في المنطقة لوضع قانون وونان. لقد تكلموا واتفقوا علي كيفية المشاركة في الأرض، وأين يجب أن تكون المساكن المقدسة. لقد اصطف كل رجال قانون وونان ولم يترك أحد. لقد قسمنا الأرض. لم نترك أحدا ولم ننس أحد.



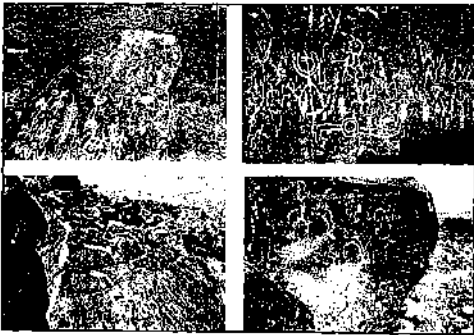
شكل (٩٥) جمجمة لانسان من العصر الحجري عثر عليها باستراليا



شكل (٩٦) رسم صخري للابوريجينين الأوائل يعبر عن أشكال آدمية وحيوانية



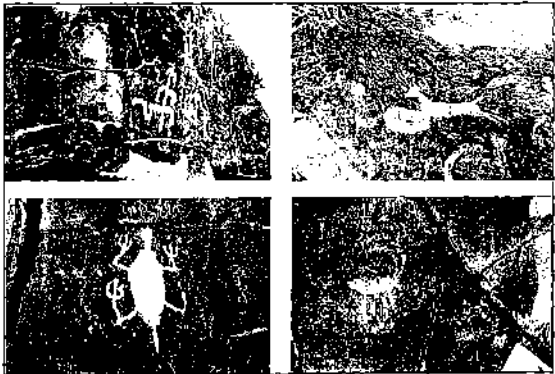
شكل (٩٧) حفر صخري لللايوريثيين الاوائل يعبر عن اشكال رمزية وحيوانية



شكل (٩٨) رسم صخري لللايوريثيين الاوائل يعبر عن اشكال هندسية وحيوانية



شكل (٩٩) رسم صخري للابوريجينين الاوائل يعبر عن اشكال حيوانية-



شكل (١٠٠) رسم صخري للابوريجينين الاوائل يعبر عن اشكال حيوانية



شكل (١٠١) رسم صخري للابوريجينين الاوائل يعبر عن لشكال آدمية وحيوانية



شكل (١٠٢) رسم صخري للابوريجينين الاوائل يعبر عن حيوان الكنجارو



شكل (١٠٣) رسم صخري للابوريجين الاوائل يظهر عن اشكال آدمية و آدمية محورة او محرفة



شكل (١٠٤) تحديد لأشكال أيدي وفنوس - ممر كارنافون - كوينزلاند - أستراليا



شكل (١٠٥) جزء تفصيلي من رسوم كهف كيب ريفر - بالقرب من مدينة كولونورا -  
بشمال استراليا



شكل (١٠٦) احجار ضخمة تسمى - احجار الشيطان - والتي توجد بالقرب من ينابيع  
آليس - بشمال استراليا والتي تعتبر موقعا مقدما بواسطة الابوريجينيين

## مدابة المن في الأمريكتا:

تتخذ كارتا أمريكا الشمالية والجنوبية بالعديد من الآثار التي تمثل بدليلات الفن في العصور الحجرية القديمة، فنجذ ذلك في كهوف الولايات المتحدة (إسبان فرانسيمكو - كاليفورنيا - وأوتا) والمكسيك والأرجنتين والبرازيل وأرجواي وبيرو، وترجع جميعها لفنون الإنسان الأول بأمريكا.

قد بدا وانتشار الإنسان في أمريكا منذ حوالي ٣٥ ألف سنة ق.م عندما أخذت جماعات من صيادي العصر الحجري القديم في الخروج من شمال شرق مسيريا متجهاً إلى الأماكا عبد الجسر الجاف الذي وجد في بعض فترات الهليستوسيس في مصر "ببرنج" حاملة معها حضارات متنوعة إلى موطن جديد.

وقد تكونت العشائر والقبائل نتيجة لعملية النمو الطبيعي المستمر وزدادت سرعة تلك العملية بفضل الامتداد الجغرافي الضخم للقارة الأمريكية وبمرور السنوات أدى بدوره إلى قلة الموارد اللازمة للوجود، وبالتالي أدى ذلك لانفصال جزء من السكان للبحث عن مناطق جديدة ذات ظروف طبيعية أفضل وطقس معتدل دافئ وتشير المعلومات إلى أن قبائل الهنود الحمر عاشت في مستوي متطور خلال مرحلة العصر الحجري الحديث ووصولاً إلى مرحلة متقدمة في تصويب المساهم وكذلك ظهرت أدوات إنتاجية جديدة من الأدوات والأسلحة.

واستخدم الخشب بكثرة في تصنيع القوارب وتشييد أعمدة المساكن، كما استخدم الشحم للحيواني وقوداً أساسياً، كما أنهم اعتمدوا على صيد السمات والبزون "الثور الأمريكي" وحيوانات أخرى ونتيجة للتنوع المتزايد في البيئة المحيطة التي تتوفر فيها أنواع نباتية وحيوانية متعددة صالحة للاستغلال، فقد شعر



الإنسان البدائي الأمريكي باحتياج لتكوين معرفة أكثر للبيئة المحلية ومواردها الدفاعية، وبما يمكنهم من التكيف بالمدى الذي يكون فيه كل مورد منفرداً.

وقد ظل الشكل السائد للتخيل الاجتماعي هو القبائل والعشائر حتي ظهور الزراعة في أمريكا الوسطي والريفي في وقت متأخر عن ظهورها في مصر وباقي أجزاء العالم القديم، ومع استقرار الإنسان البدائي في أمريكا ظهرت فنون متنوعة وعديدة منها صناعة الفخار وعمل السلال والفنون الحجرية الدقيقة تعتبر من أوائل الصناعات والحرف اليدوية التي مارسها الإنسان البدائي تلبية لاحتياجاته بالإضافة للزراعة والصيد، ثم تلا ذلك اكتشاف المعادن وخاصة البرونز وقد شهد ذلك تطوراً كبيراً في المجتمعات البدائية وتلا ذلك ظهور علوم الفلك وعلم الحساب عند شعوب أهالي المايا، كما هو مسجل على الآثار الحجرية عندهم التي كانت فريدة في العالم القديم.

وتعد الزخارف المتميزة وأشكال الفخار بالمكسيك والمايا وبيرو القديمة وأيضاً منسوجات بيرو القديمة الذي تفوق على نظيره في مصر القبطية وهذه الأعمال الفنية ظهرت في بدايات الفن في أمريكا ولقد تركت هذه الفنون البدائية أثرها على للفنون الشعبية المعاصرة في نصفي القارة الأمريكية، ويمكن أن نتناول بدايات الفن في الأمريكتان من خلال دراسته فيما يلي:

## ١- بدايات الفن في أمريكا الشمالية:

### أ- بداية الفن في الاسكيمو.

رغم أن سكان الاسكيمو القدامي لم يكونوا مجموعات كبيرة ولكنهم احتلوا منطقة جغرافية شاسعة تمتد من شمال غرب الأسكا إلى جرين لاند ولا برادار، وتتشابه حضارة الاسكيمو كحضارات شعوب المناطق القطبية، وقد وصلت مظاهر

فنون هذه الحضارات ذروتها وتقدمها في الامسا وتميزت بدايات الفن بالاسكيمو  
بفتونهم التشكيلية الصغيرة والتي تمثلت في تماثيل صغيرة مصنوعة من العاج أو  
العظم إلى جانب النقوش المحفورة أيضاً على العاج أو العظم، والتي تمثل أحياناً  
مناظر الصيد لأشكال حيوانية وأدمية صغيرة منقوشة في غاية الدقة.

ومن الغريب ما وجده علماء الآثار من تشابه قوي يحدد التوازي الشكلي بين  
الفن الصيني للقديم والفن الزخرفي لهنود الساحل الأمريكي الشمالي الغربي  
بالاسكيمو، رغم أنها تفصل بينهما مساحات شاسعة وحقب زمنية طويلة.

### ب- بدايات الفن في كولومبيا :

يحتل أهم مراكز الفن البدائي وأشهر أنواع الفن الهندي الأمريكي في الشمال  
الغربي بمنطقة كولومبيا وهو ما يطلق عليه اسم "طوطم القطب" وهو فن شائع جداً  
في جميع أنحاء أمريكا ويشمل فن النحت والرسم والنقش على الحجر، الذي يرجع  
إلى عصر ما قبل التاريخ ومنها ما عثر عليه بجزيرة "فانكوفر" لأشكال حيوانية  
منقوشة على الحجر، أما عن النحت فقد تميز النحت الخشبي بالأسلوب الواقعي  
ومحاكاة الطبيعة بدقة، ومن الواضح أن الخامة الزائفة لم يدوم فترة طويلة مع ذلك  
المناخ الرطب .

ولهذا لم يتبق لنا سوى عدد قليل من الآثار لهذا الفن الطبيعي المبكر في  
كولومبيا ومن أمثلة هذه المنحوتات تماثيل خشبي صغير لضفدع عثر عليه في مقبرة  
في أعالي نهر فريز بكولومبيا والموجود حالياً بمتحف برلين.

كما عثر بهذه المنطقة على العديد من الأتعة الخشبية المصنوعة من خشب  
الأرز الملونة بالأبيض والأسود والأحمر والأزرق والأصفر والتي غالباً ما كانت  
تستخدم في الطقوس الشعائرية والرقصات والتي تعبّر عن أساطير القبائل وتستخدم

لتمثيل الأقطاب للطوطمية وهي الشخصيات الأسطورية التي لها صفة التقديس في القبائل الهندية الأمريكية.

### **بدايات الفن في الولايات المتحدة الأمريكية :**

وتدخر الولايات المتحدة بالعديد من الآثار التي تمثل بدايات الفن في العصور الحجرية القديمة بولاية سان فرانسيسكو وكاليفورنيا وأوتا و تكساس - ألخ، ويمكن أن نتناول آثار ولاية تكساس على سبيل المثال فيما يلي:

وتعد مساحة تكساس الشاسعة غنية بالكنوز الأثرية من الآثار التي تمثل بدايات الفن في العصور الحجرية القديمة بولاية سان فرانسيسكو وكاليفورنيا وأوتا و تكساس .. ألخ، ويمكن أن نتناول آثار ولاية تكساس على سبيل المثال فيما يلي:

وتعد مساحة تكساس الشاسعة غنية بالكنوز الأثرية من الآثار الإنسانية والأعمال الفنية، وجامعة تكساس بها مركز للبحوث الأثرية والإنسانية في هذه الولاية، وأهم الفنون هي الفخاريات، والأعمال النحتية الصخرية، أقذاح وقوارير من الفخار موجودة في أقلي "كادو" في مقاطعة "كامب" وفي ولاية تكساس، أما رسوم الكهوف الصخرية فنجدها في جميع أنحاء الولاية وبعض هذه الرسوم ذات مساحات ضخمة وملينة بالرسوم تحتوي هذه الرسوم أحياناً على رسم للحية للخرافية (اللتين الأسطوري)، والذي يلعب دوراً هاماً في أساطير القبائل البدائية في العديد من الولايات الأمريكية.

### **بدايات الفن بالمكسيك :**

تعد بدايات الفن بالمكسيك لها وضع متميز عن كافة المناطق الأمريكية، إذ أنها أصل الحضارات القديمة البدائية في أمريكا والتي ترجع تاريخها إلى عصور ما

قبل التاريخ، ولقد برزت على حضارتى "المايا والازتيك" بالمكسيك للقديمة وتميزتا بما تركتاه من آثار ثرية وأعمال فنية ذات قيمة جمالية متميزة ويمكن أن تستعرض أحدهما وهى حضارة المايا فيما يلى:

## حضارة المايا

وتعتبر منطقة (نيو نيهوا كان) المتميزة بالأهرامات المتدرجة والمعابد العديدة والآثار النحتية الضخمة من أقدم للحضارات المتميزة فى أمريكا اللاتينية ولقد أطلق على حضارة المكسيك القديمة أسم "حضارة المايا".

شعب المايا ترجع أصوله إلى الهنود الحمر الأمريكيين الذين ساهموا فى بناء حضارة فى المكسيك، ووصلت حضارة المايا أقصى مراحل تطورها للكبرى فى منتصف القرن الثالث الميلادى واستمرت فى الازدهار لأكثر من ستة قرون.

انتج شعب المايا نماذج مرموقة من فن العمارة والتصوير التشكيلي والخزف والنحت، وحققوا تقدماً كبيراً فى علم الفلك والرياضيات وطوروا تقويمًا سنويًا دقيقًا. وكانوا أحد الشعوب الأولى فى النصف الغربى للكرة الأرضية، حيث كان لديهم شكل منطور للكتابة. وعاش شعب المايا فى مساحة تقارب ٣١١ ألف كم<sup>٢</sup>، وقُسمت فى الوقت الحاضر لارض المايا بين عدة بلدان من أمريكا الوسطى. فهى تتكون من الولايات المكسيكية كامبشي، ويوكاتان، وكوينتانا رو وجزء من ولايتي تاباسكو، وتشياباس. كما تضم كذلك بليز ومعظم جواتيمالا، وأجزاء من إلسلفادور والهندوراس. ويوجد مركز حضارة المايا فى الغابة المدارية للأراضي المنخفضة فى جواتيمالا الشمالية. وتطور فى هذه للمنطقة عدد من مدن المايا المهمة، مثل: بيبدراس نيكراس، وتيكال و أوكساكتون.

تم اكتشاف أهرامات تابعة للمايا على طول المناطق الممتدة من أمريكا الوسطى إلى جزيرة 'جسوا' الأنثونيسية في المحيط الهادي فهرم سوكوه الموجود على سفوح جبل لاوو بالقرب من سوراكارنا في جاغا الوسطى هو عبارة عن معبد مذهل يحتوي على بلاطة منقوشة ولقفة في قمته درجات نازلة من جهاته الأربعة بحيث يشبه تماماً أي هرم موجود في غابات أمريكا الوسطى وهو متطابق تماماً مع الأهرامات الموجودة في موقع المايا الأثري المشهور في أوكزالكتون بالقرب من تيكال جواتيمالا.

فقد عثر في إحدى المعابد الهرمية في "بلانكو" بالمكسيك والذي شيد في عهد "المايا" منذ أكثر من ألفي عام علي تابوت حجري يحمل غطاؤه صور لشخص يشبه في هيئته صلاح فضاء علي وشك الإقلاع بصاروخ واضعاً إحدى قدميه علي دواء وتبجو إحدى يديه وكأنها تعمل علي لوحة القيادة، ويعتقد بعض خبراء الملاحة الفضائية في العصور القديمة أن هذا للنقش الذاتي يمثل جهازاً يشبه الصاروخ وحين تم فك رموز النقوش تبين أنها تمثل رموزاً كونية.

ومن الغريب أيضاً أن أحد هذه المعابد الهرمية بمنطقة كرافسي بالمكسيك احتوى علي أربعة جوانب من الملائم وكل جانب مكون من ٩١ ملماً وهذه الملائم جميعاً مع القاعدة عندها ٣٦٥ ملمة، وهو ما يمثل عدد أيام السنة وهو ما يتم عن معرفة هذه الحضارة القديمة بالحساب وعلوم الفلك.

فقد كان المايا القماء ضالعين جدا في علم الفلك كما أنهم رياضيون بارعون وكانت مدنهم القديمة تتناغم بيليا مع الأرض للزراعية المحيطة بها، فقد شيدوا القنولات ومدنا من الحقائق الهيدروبنية ( حقائق تنمو فيها النباتات بواسطة مواد عضوية وكيميائية غنية جدا بدلا من التربة العادية) على طول شبه جزيرة ليوكوتان .

بعض المكتابات الصورية هي ليست كتابة أكثر من كونها نقوشاً ورسومات ترسل ذبذبات لثورية خاصة لطرد الحشرات ، ويسود اعتقاد كبير بين الباحثين وعلماء الآثار بأن المكتبة الكونية السرية التي تكلمت عنها جميع المخطوطات القديمة، والتي تحتوي على أسرار الوجود هي موجودة في إحدى المواقع في بلاد المايا ربما تحت أحد الأهرامات أو وسط نظام معقد من شبكة أنفاق ومنايات تحت أرضية وبعض المصادر تقول أنها مخزنة في قطع كريستالية من الكوارتز والتي صنعت بطريقة خاصة تجعلها قادرة على تخزين كمية هائلة من المعلومات كما يفعل القرص المدمج العصري Cd.

وفي ١٩ إبريل، ٢٠٠٦ تم إكتشاف عالم بأكمله تحت الأرض أقامته حضارة المايا، فقد كان الإنسان في حضارة المايا القديمة يعتقد أن الفجوات الموجودة في صخور الغابات التي تحتوي على مياه شديدة النقاء، ما هي إلا بوابات للعالم السفلي وعرش إله المطر الذي يهدد الكون دائما والذي يتعين تهنتته بقرابين بشرية.

والآن فإن هذه الفجوات العميقة بالصخور الجيرية التي تحتوي على المياه في أمطها تخرج لكشافات علمية ربما يكون من بينها وسائل لعلاج مرض السرطان.

وفي ريفيرا مايا وهي شريط من المنتجعات السياحية في الكاريبي، بما في ذلك موقع تولوم الأثري الشهير، يوجد أكثر من ٥٠٠ فجوة صخرية بعضها ينفذ إلى الغابات في حين أن فجوات أخرى بها نقوب صغيرة للغاية مثل فتحة العين تسمح بدخول ضوء الشمس وجذور الأشجار.

ويقوم الغواصون بالنزول إلى تلك الفجوات التي ترخر بها شبه جزيرة يوكاتان لاكتشاف شبكة أنهار هائلة تحت الأرض.

ونتمكن للغواصون حتى الآن من رصد ٦٥٠ كلم من القنوات التي تشكل جزءاً من ذلكا نهر هائل تحت الأرض يصب في البحر الكاريبي وهو ما اعتبر مجرد بداية.

ويجري للعلماء دراسات حول شبكة من الكهوف والدهاليز التي شكلتها مياه الأمطار التي تمر عبر الحجر الجيري المسامي ووجدوا ثروة من الآثار وعظام حيوانات من فترة ما قبل للتاريخ.

ومن الاكتشافات الأخرى التي حققها الغواصون الذين يتجولون في تلك الممرات العميقة المظلمة عظام حيوانات عملاقة تشبه الأرانب وحتى العاموث وهي كائنات تعود لما قبل آخر عصر جليدي.

ويقول "سام موتشام" وهو من مكتنفي العالم الموجود تحت الأرض ومن المدافعين عن البيئة "عندما نقول للناس إن هناك أخيراً تحت الأرض يعتقدون أننا فقدنا صوابنا".

وقد تسربت المياه عبر الحجر الجيري الذي يشبه الإسفنج مما جعلها نقيّة وشفافة للغاية حتى أن الغواصين يقولون أنهم يشعرون وكأنهم يعمون في الفضاء. وتتلوح أعماق عيون للمياه من عدة أمتار إلى أعماق كبيرة لم تصل إليها بعد يد الاستكشاف متعدي مسافات يزيد عمقها على ١٥٠ متراً. وهذه البيئة الموجودة في الأسفل فريدة وهي تضم أشكال حياة لم يكن يتصور أحد على الإطلاق أنها موجودة.

### لماذا اختفت تلك الحضارة؟

للمعروف عن المايا أنهم كانوا من أكثر الشعوب إيماناً بضرورة تقنين الأضحيات البشرية خصوصاً للإله فينوس (كوكب الزهرة) و الذي كانوا يحضرون له عدداً من الفتيّة و الفتيات لقتلهم عند ظهور الإله فينوس في السماء في مناسبات كانت

تأتي كل عشرين عاماً، حسب اعتقادهم، كانت الأضحيان البشرية بمثابة الطناب من الآله بأن ينفذهم و ينفذ حضارتهم. لتجذب التهديدات التي كانت تحيط بعالمهم، إتجه للمايا إلى علم الفلك، الذي كانوا مستأذة فيه، و قاموا باستخدام معارفهم الفلكية في التنبؤ للذي آمنوا بقدرته على إزالة الأخطار المحدقة بحضارتهم أو للحد منها.

لهذا قاموا أيضا بوضع تقويمين؛ واحد للإستخدام المدني و الآخر للإستخدام للديني... و قاموا بحساب موقع الأجرام السماوية على امتداد مئات السنين لاعتقادهم بأن الأحداث الماضية يجب أن تتكرر في المستقبل.

الأبام و الأعوام كانت بمثابة كائنات حية بالنسبة لهم، و كل منها له قوة خاصة (إما إيجابية أو سلبية)، فقد كان فينوس الآله الأعظم من الناحية التدميرية؛ لهذا كان عليهم دائما إبقاءه هادئا بتقديم الأضحيان البشرية، فكل تلك الشعائر، القاسية جدا بطبيعتها، لم تقدم في شيء... فنهايتهم جاءت بكل الأحوال.

طور سكان المايا لغة خاصة بهم و تمكنوا من إنشاء أهرامات عظيمة الحجم و مباني متعددة للطوايق... و مما تم اكتشافه أيضا أنهم كانوا أول من لعب كرة القدم في التاريخ... المدن الرئيسية مثل كوبان، نيكال و كاراكول هُجرت بالكامل و ابتلعتهن الغابات المحيطة.

عندما تعزف الإسبان على تلك الحضارة في القرن السادس عشر، كان للمايا مجرد مجموعات صغيرة من البشر الذين كانوا دالهي الحديث عن حضارتهم التي ازدهرت بين الأعوام ٢٠٠ و ٨٠٠ ميلادية.



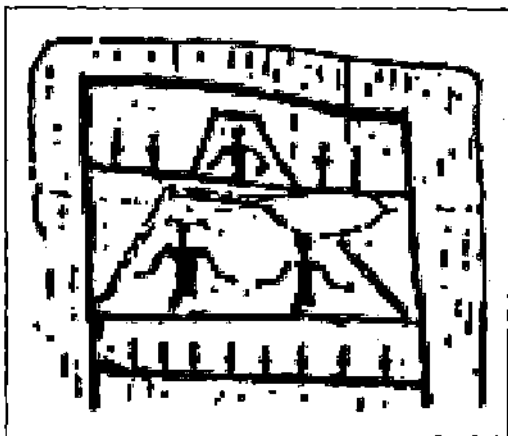
## ما الذي أوصلهم الى النهاية؟

كان المايا يعتبرون أنفسهم أسياد العالم (على الأقل، العالم المعروف لهم)... لهذا فقد استغلوا مواردهم الطبيعية دون حساب... احتفظ أفراد العائلة الحاكمة و الطبقة العليا من المجتمع بحاجز يفصلهم عن بقية أفراد الشعب الفقير بالاعتماد على أساليب مختلفة منها الدين... حتى أفراد تلك الطبقة العليا كانوا مفرقين فيما بينهم و في حالة عدااء دائم... كل هذا أدى الى إهمال المصلحة العامة.

للزراعة كانت من أسس اقتصاد المايا في بيئة كانت مناسبة في البداية، فقاموا بالقضاء على الغابات المحيطة بمنهم ليفسحوا المجال للزراعة... و تومعروا في زراعتهم باستمرار.

صعوبة المواصلات جعلت الوصول الى بعض المناطق لجمع المحاصيل أمرا في غاية للصعوبة؛ فهم لم يعرفوا الدواليب (أو العجلات) ولم يستعملوا الآلات في الشحن... ثم أنهم ركزوا في زراعتهم على محاصيل الذرة في اقتصاد معتمد على عامل واحد مشابه للاقتصاد المعتمد على النفط اليوم.

بسبب الاستخدام غير المتوازن للتربة و المياه... ظهرت مشاكل لم تتمكن الطبقة الحاكمة من إيجاد حلول عملية لها، فنجأت للحلول الدينية و الشعائرية كالأضحيات البشرية مما أدى الى تفاقم المشكلات و بمرور الوقت أصبح الجفاف و من ثم الأعاصير و تفشي الأمراض من الأمور دائمة الحدوث و معها انتهت ثقة المواطنين بالحكام مما أدى الى ثورتهم عليهم في مدن عديدة... و في النهاية، مجر المواطنون تلك المدن تماماً... و انتهت حضارة المايا... بفضل المنجمين.



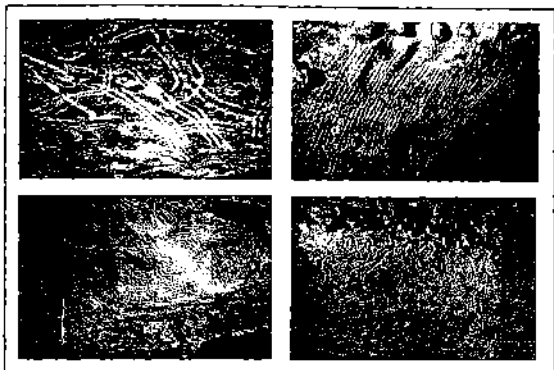
شكل (١٠٧) رسوم خطية توضيحية لأشكال ألمية وزخرفية تمثل بداية للفن بمنطقة الاسكا ويرجع تاريخها للعصر الحجري



شكل (١٠٨) رسم توضيحي يمثل شكل لحيوان اللب ويرجع للعصور البدائية بمنطقة كولومبيا بالأمريكا الجنوبية



شكل (١٠٩) رسم توضيحي لتمثال منحوت من الخشب يمثل شكل ضفدع مجوف طوله ٢٢ سم موجود بمتحف برلين ويرجع للعصور البدائية بمنطقة كولومبيا بالأمريكا الجنوبية



شكل (١١٠) رسوم صخرية مرسومة على جدران كهف جورج بـلولايات المتحدة الأمريكية يرجع تاريخها للعصر الحجري والتي تتميز بلخطوطها على قوع عديدة من الخلوط المجردة



شكل (١١١) رسوم جدارية للفنون البدائية والتي تعبر عن صيد الحيوانات ترجع للعصر الحجري عثر عليها بولاية تكساس الأمريكية



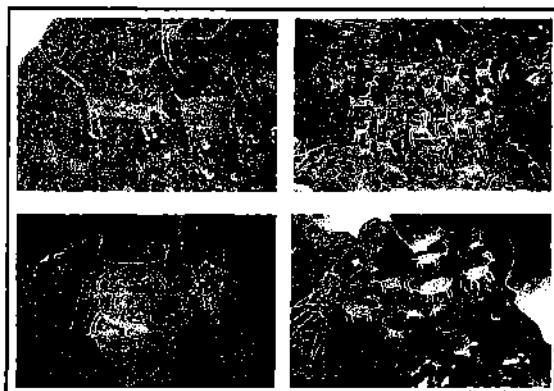
شكل (١١٢) رسوم جدارية للفنون البدائية والتي تصور عن اشكال آدمية ترجع للعصر الحجري عثر عليها بولاية تكساس الأمريكية



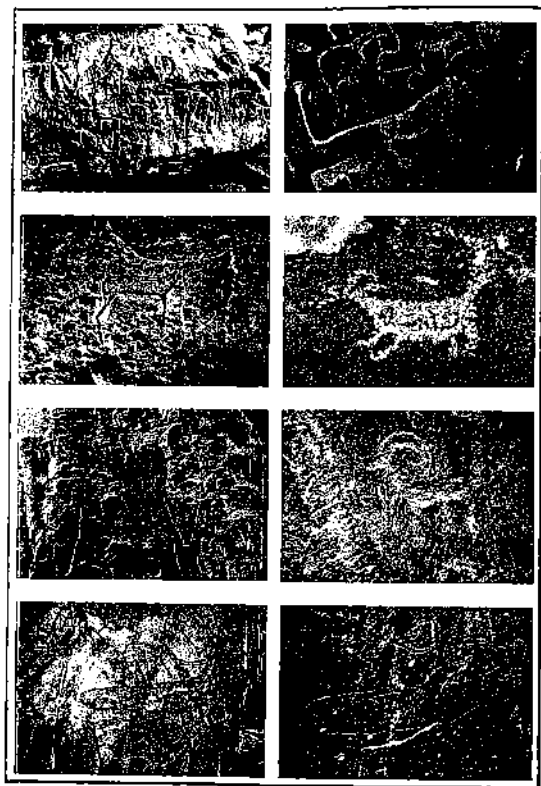
شكل (١١٣) حفر على الصخر يعبر عن مجموعات من الاشكال الآدمية والحيوانية والرموز المجردة على جدار سمى - بصخرة الجريدة newspaper-rock بمدينة كانيونلاند بولاية أوتاها بالولايات المتحدة الأمريكية



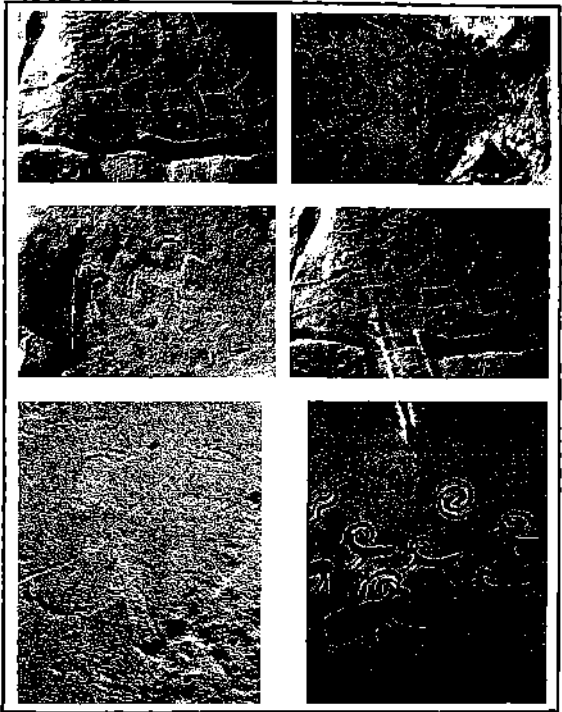
شكل (١١٤) حفر على الصخر يعبر عن مجموعات من الأشكال الأدمية والحيوانية والرموز المجردة على جدار مسمى - بصخرة الجريدة newspaper-rock بمدينة كاتيونلاند بولاية أوتاوا بالولايات المتحدة الأمريكية



شكل (١١٥)



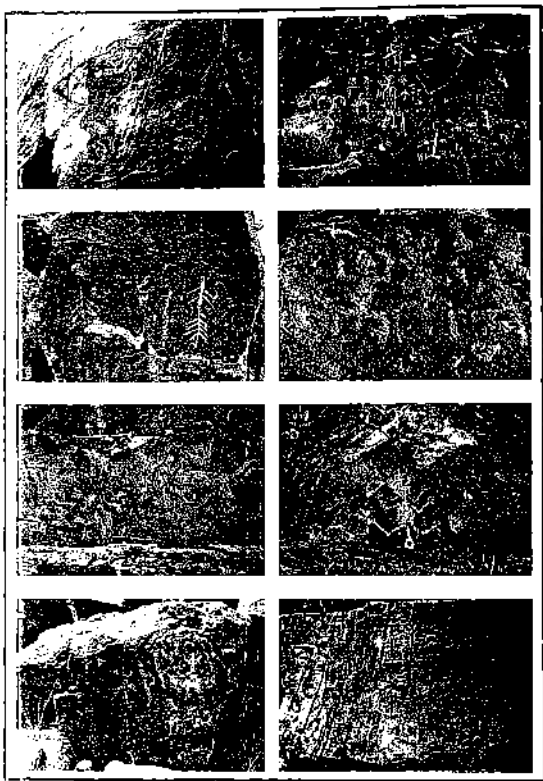
شکل (۱۱۶)



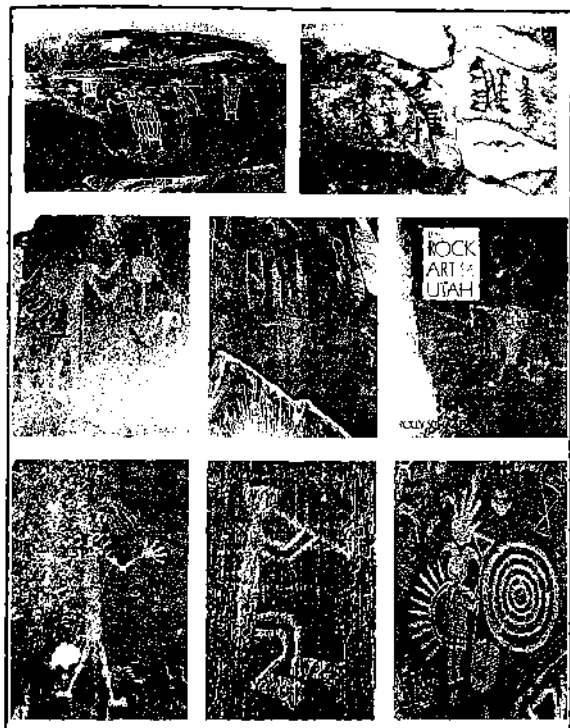
شكل (١١٧)

الشكل (١١٥ : ١١٧) رسوم صخرية لاشكال حيوانية عثر عليها بالولايات المتحدة  
الامريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجري



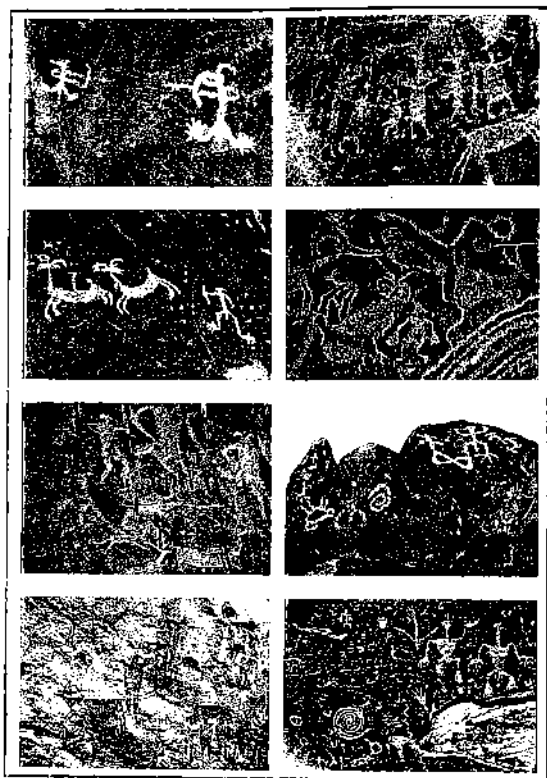


شکل (۱۱۸)

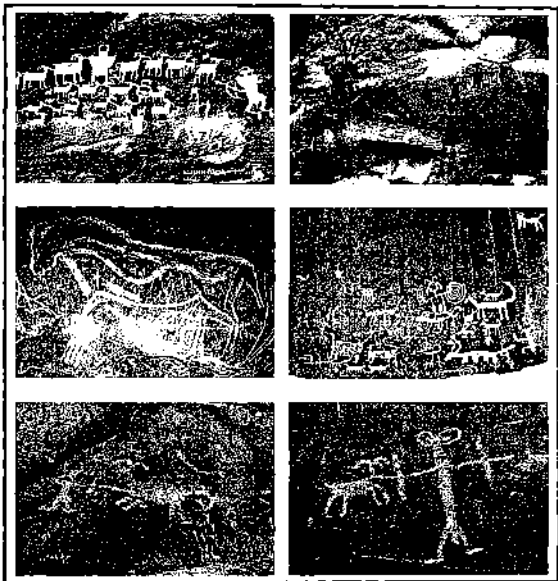


شكل (١١٩)

شكل (١١٨ : ١١٩) رسوم صخرية لاشكال آدمية عثر عليها بالولايات المتحدة الأمريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجري

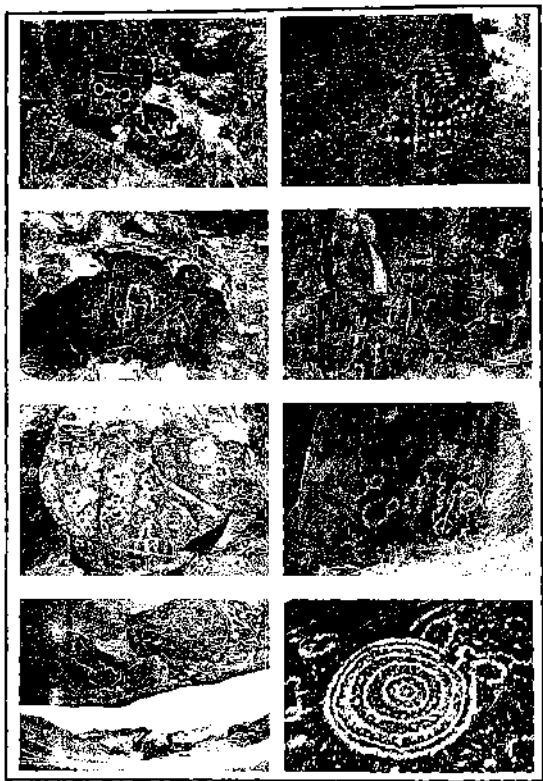


شکل (۱۲۰)

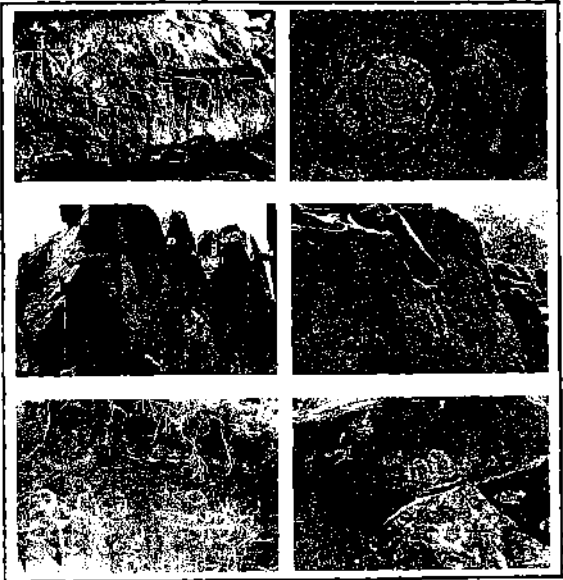


شكل (١٢١)

أشكال (١٢٠: ١٢١) رسوم صخرية تعبر عن الصيد عثر عليها بالولايات المتحدة الأمريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجري

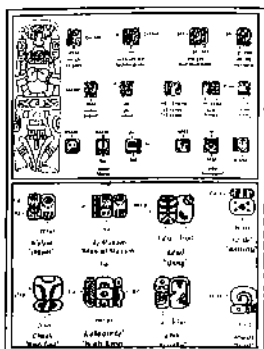


شكل (١٢٢)



شكل (١٢٣)

أشكال (١٢٢ : ١٢٣) رسوم صخرية تعبر عن أشكال رمزية وهندسية عليها بالولايات المتحدة الأمريكية ويرجع تاريخها للعصر الحجري



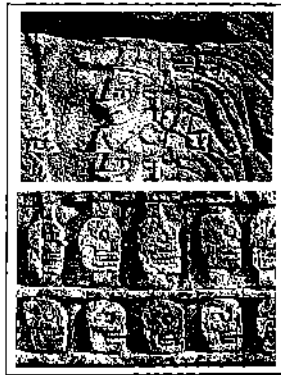
شكل (١٢٤) أمثلة للرموز والأرقام المميزة لحضارة المايا بالمكسيك

0	1	2	3	4
	•	••	•••	••••
5	6	7	8	9
10	11	12	13	14
15	16	17	18	19
20	21	22	23	24
•	•	•	•	•
	•	••	•••	••••
25	26	27	28	29
•	•	•	•	•

شكل (١٢٥) جدول الأرقام لدى شعب المايا



شكل (١٢٦) صورة أحد تماثيل شعب المايا



شكل (١٢٧) أمثلة لهدايا فن النحت الجداري البارز بالمكسيك والذي يرجع تاريخه لحضارة المايا





شكل (١٢٨) أمثلة لبدايات فن النحت الجداري البارز بالمكسيك والذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



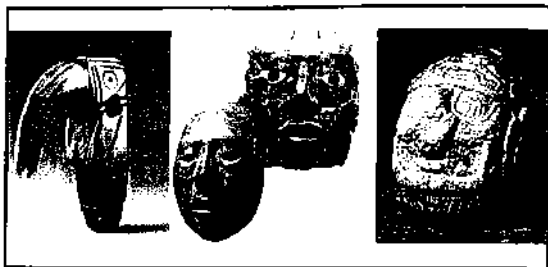
شكل (١٢٩) أمثلة لشذائيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



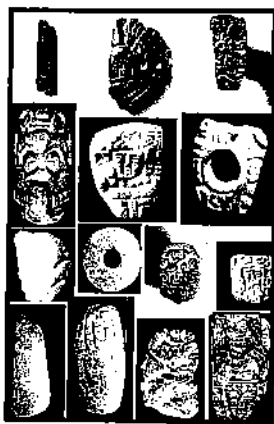
شكل (١٣٠) أمثلة لثمانين تمثل بدايات فن النحت بالمكسوك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



شكل (١٣١) أمثلة لثمانين تمثل بدايات فن النحت بالمكسوك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسوك



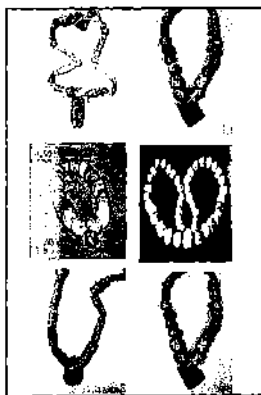
شكل (١٣٢) أمثلة لثمانيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



شكل (١٣٣) أمثلة لثمانيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



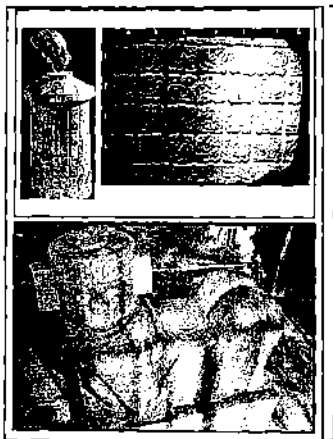
شكل (١٣٤) أمثلة لشعائيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



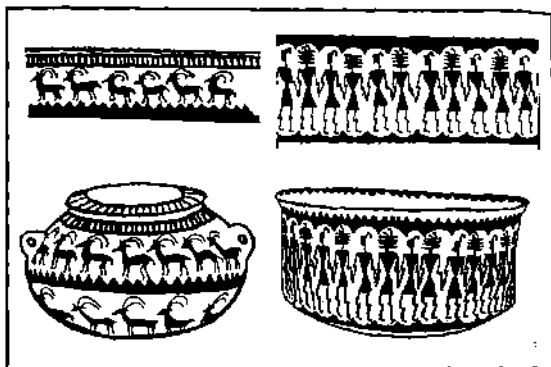
شكل (١٣٥) أمثلة لفن الحلي بالمكسيك الذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



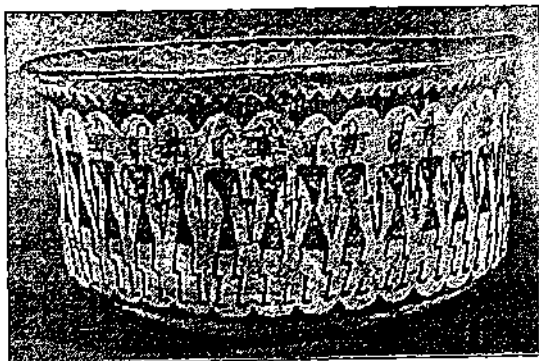
شكل (١٣٦) أمثلة للتماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا بالمكسيك



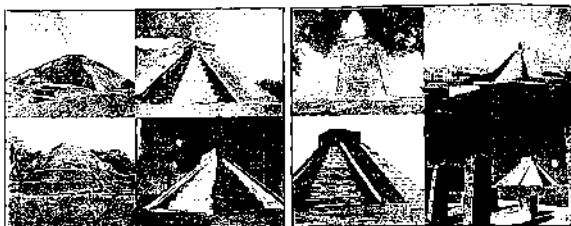
شكل (١٣٧) النماذج تمثل بدايات فن النحت بالمكسيك الذي يرجع تاريخه لعصر حضارة المايا



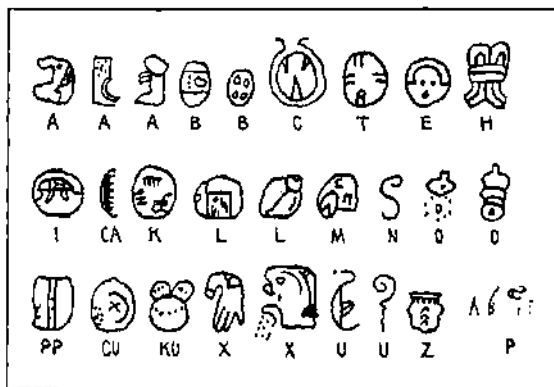
شكل (١٣٨) تكرارات لـزخارف آدمية وحيوانية على اواني فخارية - حضارة المايا بالمكسيك



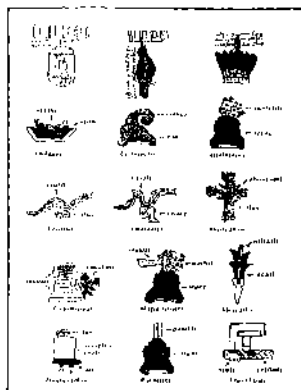
شكل (١٣٩) اناص فخاري به تكرارات لـزخارف آدمية - حضارة المايا بالمكسيك



شكل (١٤٠) أهرامات حضارة المايا بالمكسيك



شكل (١٤١) حروف الكتابة في عصر حضارة المايا بالمكسيك

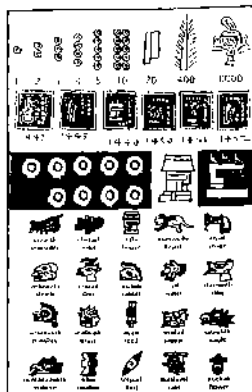


شكل (١٤٢) أمثلة للرموز بحضارة الأزتيك بالمكسيك

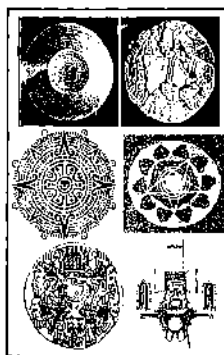


شكل (١٤٣) أمثلة للرموز والرسوم الخطية المميزة لحضارة الأزتيك بالمكسيك

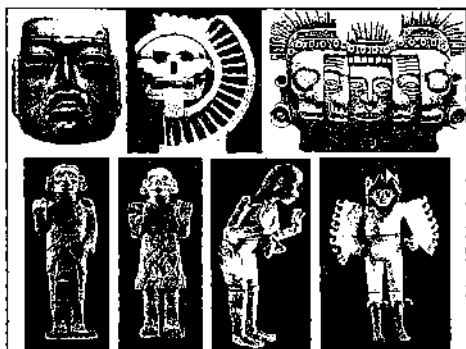




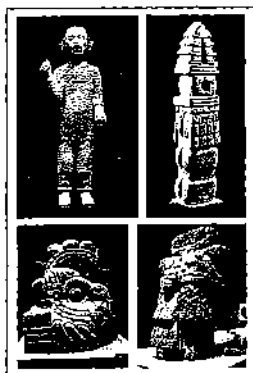
شكل (١٤٤) أمثلة للرموز والأرقام المميزة لحضارة الأزتيك بالمكسيك -



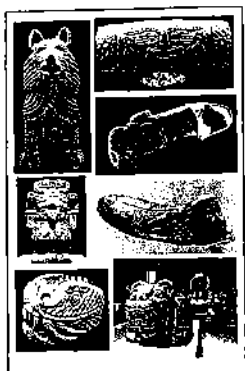
شكل (١٤٥) أمثلة للفنون الزخرفية بحضارة الأزتيك بالمكسيك



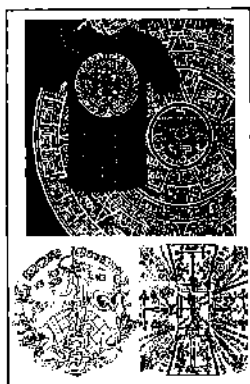
شكل (١٤٦) أمثلة لشماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمعسوك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة الإرتيك



شكل (١٤٧) أمثلة لشماثيل تمثل بدايات فن النحت بالمعسوك الذى يرجع تاريخه لعصر حضارة الإرتيك



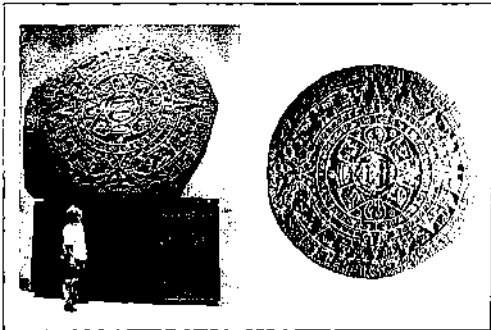
شكل (١٤٨) أمثلة للمناشير تمثل يدايات فن النحت بالمتسوك الذي يرجع تربيته لعصر حضارة الازتيك



شكل (١٤٩) أمثلة للمناشير والرموز الفلكية بحضارة الازتيك بالمكسيك



شكل (١٥٠) تمثال لحيوان خرافي - تينين يرجع لعصر حضارة الآريين



شكل (١٥١) مثل للنحور الفاني والبارز للمزخرف بالرموز الفلكية بحضارة الآريين بالمتحف

## بدايات الفن في أمريكا الجنوبية :

تعد منطقة كولومبيا أحد الأماكن العريقة التي أنتشر بها الفن البدائي القديم والتي تعتبر من أشهر أماكن إنتاج الذهب في العالم للقديم إلى جانب معدن للفضة وللحاسر وأنواع عديدة من السبائك وقد عثر على آثار عديدة من المنتجات الذهبية من التماثيل للبشرية والحيوانية وأواني ذهبية بالإضافة إلى أنواع عديدة من الحلي.

## بدايات الفن في "بيرو" (حضارة النازكا):

تشكل شبكات ماسعة من خطوط منقوشة في تربة نازكا بجنوب بيرو بأمريكا الجنوبية منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة تصميمات غريبة لم يزل معناها يحير الكثير من علماء الآثار، وللموقع مدون في قائمة التراث العالمي منذ عام ١٩٩٤.

وهذه للخطوط تشكل تصميمات هندسية أو موضوعات رمزية، تعكس نظاماً كونياً، بدءاً بالكاد نفهمه، فهذه للخطوط المرسومة منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة رسمها أهالي ثقافة نازكا، وكأنها مكتوبة على لوحة أردوازية هائلة، تغطي مساحة تبلغ حوالي ٥٠٠ متر مربع من أرض فاحلة محوطة بطبقات صخرية بارزة.

ولكي نستطيع مشاهدة هذه الرسوم تحتاج لمشاهدتها من خلال طائرة مرتفعة عن سطح الأرض لنرى جملة طولها ٢٨٥ متراً وجواناي (طائر أمريكي شبيه بالديك الرومي) طوله ٢٨٠ متراً وسحلية طولها ١٨٠ متراً، وهذه الرسوم للمحفورة لا تمتدح من سطح الأرض ولكن يمكن استيعابها بالكامل من الجو، وكان وجودها غير معروف على مدى قرون عديدة وإلى اليوم تبدو وكأنها لغز أثري.

فمن هم النازكا ذلك الشعب الذي ازدهرت حضارته في هذه المنطقة من العالم ذات الشمس اللاذعة والريح الذلرية ومما محي رسومهم؟ ففي هذه المنطقة

وصحراءها الفاحشة طور للنازكا ثقافة جادة معقدة ينعكس الكثير من تاريخها علي إنتاجها الحرفي اليدوي، من منسوجات ومصوغات ذهبية مطروقة والأواني الفخارية الجنائزية التي استعمل فيها حوالي مئعة ألوان، وفي ظلالها تباين عجيب مع أضواء الصحراء الكالحة المحيطة بها، وفي متحف "بيرو" للأثار القومية قرابة ٢٥٠٠ قطعة من هذه القطع الخزفية ذات اللامسات المنقطة، وهي في حالة جيدة من الحفظ بفضل جو هذه المنطقة الجاف.

وهذه الرسوم المدهشة تبدو وكأنها تطورت من موضوعات رمزية إلي أنماط هندسية ورمزية، وهناك نوعان من التصميم لهذه الرسوم يمكن تمييزها.

- **فالنوع الأول:** يتكون من رسومات للحيوانات والنباتات وإن كانت رسوم الحيوانات أغني وأكثر إثارة للإعجاب، فيوجد علي منحدرات وادي نهر "أحينيرو" مثلاً رسوم علي شكل قرد أو عنكبوتاً، وكلباً وعصفوراً وحوثاً، أما صور الأدميين القليلة مثل زافر الفضاء، ويبلغ طوله ٣٠مترأ والرجل اليومية المنقوش علي سفح تل بالقرب من جوماتا فهي صور مخلوقات خيالية.
- وكما توجد رسوماً أخرى تمثل أزهاراً ونباتات وأشجاراً مثنوية وأدوات من المستعملة كل يوم مثل نول النسيج.

- **النوع الثاني:** هذه الموضوعات الرمزية تنتقل إلي شكل رمزي أكثر اندماجاً، تنتج منه النوع الثاني وهي خطوط تبدو وكأنها رسمت بمسطرة وثقت عبر السهل، أحياناً لبضعة كيلومترات متصلة من أشكال هندسية كمثلثات ومستطيلات ولولبات وأشكال أخرى تمتد إلي الخارج من قلب الجبل أو يطوقه.

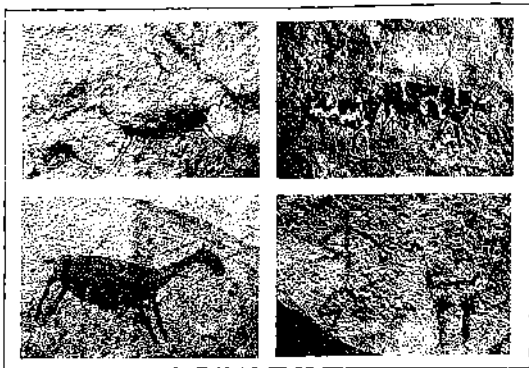
ومعظم الموضوعات سواء للرمزية والهندسية موجودة علي الأواني الخزفية  
والمنسوجات التي ترجع إلي نفس العصر.

والنقطة التي كان النازكا يستخدمونها لإنتاج هذه الرسومات كانت بسيطة  
وبارعة، وكان كل ما عليهم أن يعملوه هو أن يجرفوا سطح التربة لكشف طبقة  
الطين السفلي الافتح لوداً، ويكسوا الفضلات الناتجة علي ارتفاع ٣٠ سنتيمتراً في  
أحرام علي جانبي الخط، ومن شأن درجة الأكسدة العالية في التربة والرياح الندية  
التي تهب أحياناً فتغسل الأخاديد التي تنقلها بالرمال والرياح التي تهب نهراً، والتي  
حمت خطوط النازكا حتى وقتنا هذا.

وبالإضافة إلي هذه الرسومات التي علي شكل نقش غائر ونقوش بارزة  
ونقوش أخرى أكثر قدماً محفورة علي جوانب الجبال وتدل دقة المقاييس والزوايا  
ليذه الرسوم علي أنه كان عندهم تحكم هندسي دقيق، ويؤكد المؤرخ الأمريكي بول  
كوزول" أن الخطوط نازكا هي تقويم فلكي هائل يسجل تعاقب الفصول ويتبأ  
بكسوف الشمس وخسوف القمر وأن النازكا كانوا يعرفون حركات الأجرام السماوية  
ويحسبون متى يشرعون في الزراعة وبذر الحبوب ومتى يجتمعون للحصاد، ومن ثم  
نفي إمكانهم الإدعاء بأن لهم مكانة في تاريخ الفلك، فيري بعض المؤرخون أن  
النجوم هي القالب الذي يوجه خطوط النازكا فكان العنكبوت مثلاً وطوله ٤٦ متراً  
مرتبطاً ببرج أوريون، ولقرد الهائل وطوله ١٠٠ متراً مرتبطاً بكوكبه "الثور"، أما  
الكتاب المؤرخ للشهير "إريك فون دانيكن" فقد افترض أن الخطوط كانت بمثابة  
قطاعات طويلة من الأرض المقصود بها أن يراها من في السماء من مخلوقات  
ناشئة خارج الأرض، إلا أن معظم العلماء يتفقون الآن علي أن هذه الحليات  
المعمارية والرسوم الأرضية كانت تؤدي وظيفة شعائرية مقترنة بالفلك وأن الرسوم

علي الأرجح تصورات طوطمية مفترنة بالعشائر تعمل علي تعزيز السيطرة الاجتماعية والدينية للتنازكا علي مدى قرون وبعض علماء الآثار ينظرون إلي الرسومات علي أنها معابد خيالية في الهواء الطلق نتيج للناس أن يشاركوا قوة الروح الكونية التي رسموها، وللحقيقة أن معظم الرسومات لها مداخل واضحة مثال ذلك أن في الإمكان الانطلاق من ذيل القرد الملفف إلي أعلي، والذي يتكون مثل التصاوير الأخرى من خط واحد لا ينقطع، ومتابعة الصورة إلي أن يعود المرء إلي نقطة الانطلاق وفي الإمكان الحدس بأن مثل هذه الاستمرارية لابد أن يكون لها غرض مُعائري.

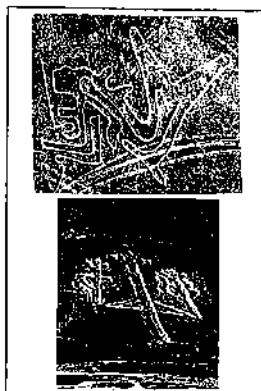




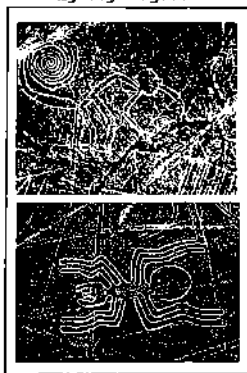
شكل (١٥٤) أمثلة لرسوم صخرية مرسومة بأسلوب المملوكيت على الصخر عثر عليها بالارجنتين يرجع تاريخها للعصر الحجري



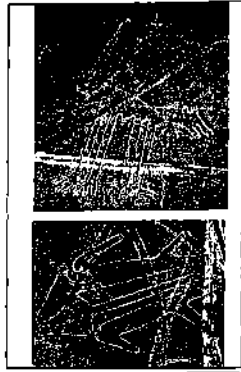
شكل (١٥٥) أمثلة لرسوم صخرية مطبوعة بأسلوب البيخ من خلال عزل مناطق الايدي على الصخر عثر عليها بالارجنتين يرجع تاريخها للعصر الحجري



شكل (١٥٦) منظرين من الجو على شكل رموز فلكية محفورة بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



شكل (١٥٧) منظرين من الجو احدهما للشكل قرد وطوله حوالي ١١٠ أمتار والاخر لشكل عنكبوت وطوله حوالي ٤٦ متراً بصحراء بيرو ويؤكد علماء الفلك انه يرتبط بكونية الثور ويرجع لعصر حضارة النازكا



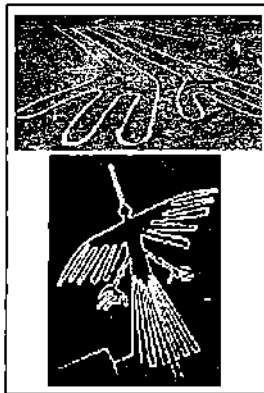
شكل (١٥٨) منظرين من الجو احدهما لطائر والاخر لشكل كلب بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



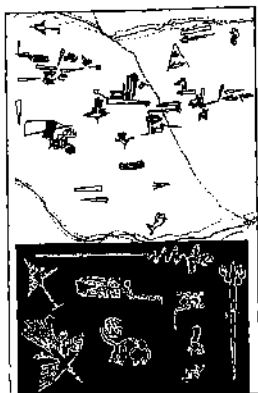
شكل (١٥٩) منظرين من الجو احدهما لطائر والاخر لشكل انسان يسمى بالاميمان اليومية بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



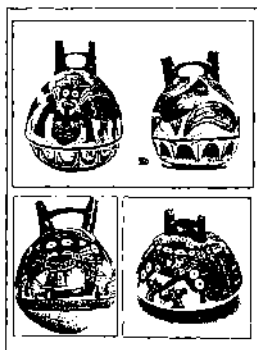
شكل (١٦٠) منظرين من الجو احدهما لشكل هنتسي والاخر لشكل وردة بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



شكل (١٦١) منظر من الجو لطائر الشيطان المحفور بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



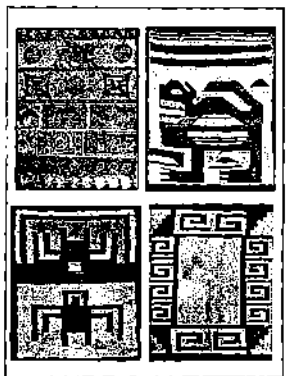
شكل (١٦٢) من الجو للانشكال المسحفورة بصحراء بيرو ويرجع لعصر حضارة النازكا



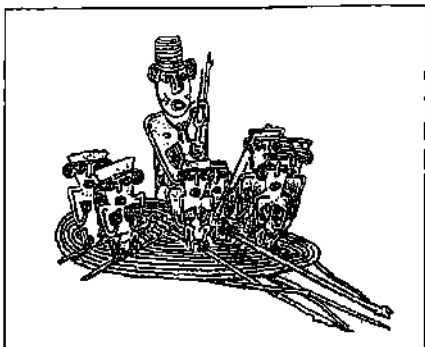
شكل (١٦٣) أمثلة للفن الخزف المتميز بحضارة النازكا



شكل (١٦٤) أمثلة لفن الخزف المتميز بحضارة النازكا-



شكل (١٦٥) أمثلة لفن النسيج المتميز بحضارة النازكا



شكل (١٦٦) عمل فني مصنوع من صفائح واسلاك ذهبية - جنوب امريكا



شكل (١٦٧) تمثال نحى من التماثيل الضخمة - بجنوب امريكا

## بدايات الفن في أفريقيا:

لقد وجد فن ما قبل التاريخ في الهضاب المرتفعة في القارة الأفريقية أما سلاسل الجبال والمنخفضات وأودية الأنهار والغابات المدارية، فكانت أفقر بكثير لهذه الفنون الأولى، فظهرت هذه الفنون بوفرة فوق الجروف والحافات الجبلية، وأهم منطقتين بالنسبة لهذا الفن هما الصحراء الكبرى وجنوب أفريقيا، ففي المنطقة التي يحدها من الشمال جبال أطلس ومن الشرق البحر الأحمر ومن الغرب المحيط الأطلسي توجد مئات من المواقع الأثرية وهي تحوى على عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من النقوش والصور.

### ١- بداية الفن بشمال أفريقيا:

ومن أمثلة هذه البدايات الفنية لعصر ما قبل التاريخ بالصحراء الكبرى الأفريقية ما وجد في هضبة ميساك الليبية وتاسيلي ناجر بالصحراء الليبية والجزائرية وجنوب المغرب، وفي "قران" بليبيا، وفي "أيزر" وتنتيرية" بالنيجر وفي "يتبستي" بتشاد وفي بلاد النوبة بمصر وفي مرتفعات أثيوبيا وفي "ضهار تشريت" بموريتانيا وفي "موزاميد" بأنجولا، وفي الساحل الشرقي للسوداني.

ولعل أبرز مثال من هذه البدايات الفنية بالصحراء الأفريقية كانت هضبة ميساك في الصحراء الوسطى الليبية والتي كانت آهلة بالسكان منذ العصر الحجري القديم ولكن علي الأرجح أنه فقط في أثناء المرحلة المطيرة من العصر الحجري الحديث قامت جماعات من القناصة ولرعاة بتزيين حوائط ولحائنها بنقوش جميلة وعلي خلاف منطقتي جبل اكاكوس وتاسيلي ناجر التريتين في فن الصخور، والموجودتين أيضاً في الصحراء الكبرى الأفريقية، والتي تميزت بالرسومات الزيتية



الملونة، ويمكن معرفة تاريخ النقوش التي وجدت في الصحراء الكبرى الأفريقية بالرجوع للاختلافات في طبيعة ولون غشاء القدم الذي تكون فون مسطح للصخر، وقد قام العلماء بتمييز حقبة آخر مرحلة زمنية بالعصر الحجري باسم حيوان احتدت عليه فنون الصخر بقرارة في هذه المرحلة وعلي هذا فتم تقسيم هذا العصر إلي أربعة أقسام وهي: النيتل - والثور - والحصان - والجمل.

وكان النيتل نوعاً من الجاموس الضخم والذي يرجعه العلماء والمؤرخون للعصور الحجرية إلي أقدم العصور الأفريقية وتمتاز هذه الفترة برسوم الفيلة وخرس النهر، ثم عصر الثور فيرجع إلي الثور الأيبرى (البري) ذو اللقرون القصيرة القوية أو الثور الاطلنطي ذو اللقرون الطويلة التي تشبه للقيثارة، ثم عصر الحصان وق رسم أحياناً يجر عربة أو يأخذ شكل الحصان للطائر وهو مصور بشكل طبيعي في الفنون الموجودة في منطقة غرب أفريقيا من المغرب إلي السودان وفي شرق أفريقيا في منطقة "قران" الليبية فقد رسم بشكل نمطي أما الجمل فهو يأتي في مؤخرة هذه للفترة التاريخية ويرجع أن الفرس قد أدخلوه لمصر أثناء غزوهم لها، ثم شاع رسمه في أوائل العصر للمسيحي.

وقد احتوت آثار للفنون البدائية الأولى الأفريقية بهذه المنطقة علي ثراء عجيب من حيث تمثيل الطبيعة بدقة وتفاصيل إلي جانب الرموز للخيالية الغامضة، ومن خلال هذا التصنيف للموضوعات الأفريقية في فنونها البدائية بالصحراء الكبرى بشمال أفريقيا يمكن أن نتناولها بالتفاصيل فيما يلي:

#### أ- رسوم محاكاة الطبيعة (الواقعية):

إن نقوش ورسوم الفنون البدائية الأفريقية الشمالية ملفته للنظر لما بها من تنوع وتعدد المناظر ومحتواها الثري وبالتقنيات المستخدمة في صنعها أن بعضها ذو

بروز قليل حيث الجزء الأمامي من الصور وخلفيتها مصورة بواقعية بالطرق الدقيق والصقل الجزئي. وتبرز تقنية خاصة للخط المزوج الانطباع بالعمق في بعض المناطق، مثل المخالب والأنف والفكين.

والحيوانات البرية والأليفة هي الموضوع الرئيسي. ولإعطاء انطباع بالعدد أو بالقطيع يتم رسم سلسلة من الرؤوس علي شكل مروحة بزوايا مختلفة، والتي تخف تدريجياً حتى الخلفية، وتبدأ بحيوان كامل مصور تفصيلياً في الجزء الأمامي من الصورة والتأثير الكلي مثير، ويدل علي درجة عالية من الموهبة في التكوين والأنواع المختلفة من القرون، والتي كثيراً ما تمثل في قطيع واحد صغير هي إشارة للتنوع وعلي الأقل هناك ثلاثة نقوش تمثل مناظر حلب اللبن. وعلي الأرجح أن اللبن كان يخزن في جلود معلقة بين أفرع شجيرة. وكانت الماشية تستخدم كحيوانات الحمل، وأحياناً للركوب، والمزوج المزخرفة بشدة، والقرون المزينة توشي بطقوس احتفالية.

وتصوير آدميين ليس قليل التكرار، ولكنه يبدو مرتبطاً بأحداث خاصة (الصيد، الطقوس، والمناظر الرمزية) أكثر منه بأنشطة روتينية. والأسلحة الأساسية للصيد تشمل الأقواس البسيطة المقوسة، والمطارق، وعصي للقفز ونوع من الخطاف أو الهوق لإيقاع النعام في الشراك من عنقه، وهو نوع من الأحجار (الموجودة بكثرة في شمال أفريقيا) يستخدم لشل حركة الحيوانات المتوحشة يبدو في كثير من النقوش التي تصور وحيد القرن والزراف والنعام والأسود والحمير والقنبل من الأشكال المصورة بالتفصيل تعطينا فكرة ما عن الملابس التي كان يرتديها هؤلاء الناس، وتشمل سروالاً قصيراً وقميصاً ذا أكمام قصيرة وبعض الشخصيات ترتدي

شرائط متوازية من القماش وهناك صور أيضا لسرات قصيرة منتفخة. ويظهر بعض الرجال وهم يرتدون جلد اللحوت.

وترتدى النساء عادة أردية كاملة تصل تقريبا إلى الكاحل، وشعرهن علي شكل قمع من الممكن أن يكون مصنوعا بصفائر أو عصابات وكثيرا ما تكون ملتحمين كبيرة، وأتوفهن بارزة، ولكن من الجائز لهن ترتدين لفحة علي وجوههم وهذه النساء للمقابلة تظهر في العادة مع حيوانات متوحشة أو مع بقار (مستأنسة).

### مجموعة ثرية من الحيوانات

وللقوش منفذة بدقة شديدة لدرجة أن بعض الحيوانات المصورة يمكن التعرف عليها بدرجة مقولة من التأكيد وينطبق هذا بشكل خاص علي الأبقار البرية والتي نفرض بعضها منذ ذلك الحين وهذه للحيوانات إما أن تقف بمفردها أو تكون محاطة بالقوامين الذين يكونون عادة صغيري الحجم وبالإضافة إلي عدة أنواع من لظباء، هناك ثلاث حيوانات ضخمة غير مدجنة هي الجاموس القديم، والجاموس الأفريقي. وتكرار تصوير الجاموس يشير إلي أهميتها في هذه المنطقة وللقوش التي تمثل الأراخص (الجاموس الوحشي) التي تم الإيقاع بها بأحجار معينة توحى بمحاولات تدجينها ونظرا إلي أن هذا الحيوان هو سلف للثور المدجن، فإن هذا الجزء الجبلي من الصحراء من الجائز أنه كان مركزا مبكرا لاستأناس للحيوانات.

والحيوانات البرية وفيرة ومصورة بدقة والأخيال والخرافيت مصورة كثيرا مع صفارها في عدد من الأوضاع للديناميكية الواقعية وتظهر أفراس النهر والتماسيح في عدد من الأماكن التي من المحتمل كان بها آبار مياه دائمة، أو بحيرات في مناخ رطب. واليوم لا يوجد سوى عدد قليل من العيون المائية التي لا تمتلئ كل عام، ولكن في بعض الأحيان قد تحتوي علي الماء لأكثر من ستة أشهر. والسماك

نادراً ما يصور. وهناك صور كثيرة للزراف الذي تصور مواكب عرسه بحساسية ورشاقة ويصور جلده في بعض الأحيان بواسطة علامات أكواب صغيرة، والتي تعطي تأثيراً جميلاً. ويظهر أيضاً النعام والحمر والفهود والأسود وابن آوى، وبعض الحيوانات الكلبة المتوحشة المشبهة بالثعالب. وبعض الخنازير الوحشية.

## ب- الرسوم والتساوير الخيالية الغامضة الخصبة:

بعض الحوائط من الحجر الرملي مزخرفة بحيوانات سيريالية مما يعكس خيالا جماعيا مبتكرا حيوانات مهجنة خيالية - نعامات ذات رؤوس غزلان وأفبال برؤوس خرافيت، وجسم قرد برأس أرنب بري - جنباً إلى جنب مع شطحات الخيال التي تجمع بذكاء بين خطوط زرافة، وجسم خرتيت ورأس ثور، وتظهر أيضاً طيور قليلة، أسطورية على الأرجح.

كما نجد نقوشاً ورسوماً خاصة في منطقة تاسيلي ناجر بصحراء ليبيا والجزائر لمخلوقات بشرية عجيبة تطير في السماء وترتدى أجهزة طيران ولعن فضاء ورواد فضاء، ورجال ونساء يرتدون ثياباً حديثة كالتي نرتديها في زماننا الحالي، ورجالاً يرتدون ملابس الضفادع البشرية، ورجالاً آخرين يجرون نحو أجسام أسطوانية غامضة، ومنذ إكتشاف هذه الكهوف في عام ١٩٣٨ واستقطب هذا الاكتشاف اهتمام علماء الآثار والإعلام كافة وجعلهم يدافعون لزيارة الحفود الجوفية الليبية لمعرفة المزيد عن تلك الرسوم والنقوش العجيبة، وأهم تلك الزيارات كانت في عام ١٩٥٦م عندما قام للرحالة الشهير (هنري لوت) برفقة مجموعة كبيرة من العلماء بزيارة لتلك الكهوف والتقطوا لها صوراً فوتوغرافية عديدة، وبعد للبحث والدراسة، واستخدام وسائل متطورة للغاية (للتحليل النري) لمعرفة عمر تلك النقوش.. جاءت النتيجة مذهلة بحق فلقد قدر جميع الخبراء عمر

تلك الرسوم والنقوش بأكثر من عشرين ألف سنة!! أي خيال محموم وق ف منذ  
مائتي قرن كي يسكب على جدران الكهوف أسرار له الخارقة!! أي عبقرية في فجر  
التاريخ أثرت أن تترك الرمح كي ترسم رسوما تسبق عصرها بعشرين ألف سنة!!  
ولأي غرض...؟

كما نجد نقوشا ورسوما وخاصة في منطقة ( تاسيلي ناجر ) لمخلفات  
بشرية عجيبة تطير في السماء.. وترتدي أجهزة طيران.. ولسفن فضاء.. ورواد  
فضاء.. ورجال ونساء يرتدون ثيابا حديثة كالتي نرتديها في زماننا الحالي.. ورجالا  
يرتدون لباس للصفادع البشرية.. ورجالا آخرين يجرون نحو أجسام لمطويات  
غامضة.. ومنذ اكتشاف في عام ١٩٣٨م واستقطب هذا الاكتشاف اهتمام علماء  
الأثار ووسائل الإعلام كافة.. وجعلهم يتدفقون لزيارة الحدود الجزائرية الليبية  
لمعرفة المزيد عن تلك الرسوم والنقوش العجيبة.. وأهم تلك الزيارات كانت في عام  
١٩٥٦م.. عندما قام الرحالة ( هنري لوت ) برفقة مجموعة كبيرة من العلماء بزيارة  
لتلك الكهوف.. والتقطوا لها صوراً فوتوغرافية عديدة.. وبعد البحث والدراسة..  
واستخدام وسائل متطورة للغاية ( كالتحليل الذري ) لمعرفة عمر تلك للنقوش..  
جاءت النتيجة.. وكانت مذهلة بحق.. لقد قدر جميع الخبراء عمر تلك الرسوم  
والنقوش بأكثر من عشرين ألف سنة!! أي خيال محموم وقف منذ مائتي قرن كي  
يسكب على جدران تلك الكهوف أسرار له الخارقة؟ أي عبقرية في فجر التاريخ  
أثرت أن تترك الرمح كي ترسم رسوما تسبق عصرها بعشرين ألف سنة؟ ولأي  
غرض؟ ومن أغرب الأمثلة التي عثر عليها بمنطقة تاسيلي ناجر بالجزائر  
بالصحراء الكبرى ، رسم اللوحة جدارية لأحد الكهوف التي اكتشفها العالم الفرنسي "  
هنري لوت " وأطلق عليه علي سبيل الهزل والفكاهة " آلة المريح " وبعد هذا الرسم

مثالاً لأعظم شطحات الفكر والخيال الذي يتقارب ويتشابه بشكل غريب بكثير من الرسوم التي تمثل سكان المريخ في مجالات الخيال العلمي المعاصرة ، كما عثر أيضاً علي رسوم جدران كهوف تاسيلي ناجر تمثل قبعات وأقنعة طقسية تتقارب بملامح الغواصين وملحي الفضاء للمعاصرين.

ومن أغرب الرسوم للحائطية للتاسيلية أيضاً رسماً جدارياً نري فيه نوعاً من شفرات المرواح تعلو بعض الأشخاص البشرية ، وتذكرنا بالمراوحة الكهربائية المدلاة لو يمروحة طائرة لهليكوبتر ، فماذا تمثل هاتان الآتان؟ وتقول أكثر الفرضيات شيوعاً انهما مركبتان من كوكب آخر زارنا المنطقة في الماضي البعيد ، ومن المحتمل والمرجح أن الإنسان الأول كان يرغب في أن يطلق في السماء ولن جميع هذه الرسوم المليئة بالرموز الفكرية تؤلف قصة مجازية عن تشكل الكون ، ومسفر الإنسان إلى عالم النجوم وهذا يعتبر قصص خيال علمي منقوش علي الحجر.

وهز اكتشاف هذه الكهوف الأوساط العلمية هزاً.. وتفتحت علامات استفهام ودهشة لا حصر لها.. وصنعت تلك الرسوم ما يعرفه علماء الآثار باسم : لغز كهوف تاسيلي.. وظهرت عدة نظريات لتفسير الأمر.. فالبعض قال إن هذه الكهوف تقع فوق القارة المفقودة (أتلانتس) وأن أحد سكان (أتلانتس) قد قام برسم كل تلك الرسوم المعجبية التي تمثل للتقدم العلمي الذي وصلت إليه تلك القارة آنذاك.. ولكن ظهر من يعارض هذه النظرية بحجة أن (أتلانتس) إن كانت موجودة بالفعل.. فمن المفترض أن تقع في تلك الفجوة ما بين المملكة المغربية.. وقارة أمريكا الشمالية..

فظهرت نظرية أخرى تقول إن مخلوقات من كوكب آخر قد زارت كوكبنا منذ قديم الزمان.. ورسمت تلك الرسوم لتكون دليلاً علي زيارتها للأرض.. أو أن الذي رسمها شخصاً أو مجموعة أشخاص ينتمون لإحدى الحضارات الأرض البالغة

القديم والتي كانت قد بلغت شأناً كبيراً من التقدم العلمي.. ولكنها اندثرت لسبب ما..  
وجميع تلك النظريات غريبة وتقلب جميع المفاهيم المتعارف عليها.. حتى وإن تم  
إثبات صحة أحدها يوماً من الأيام.

## ٢- بدايات الفن فى جنوب وشرق أفريقيا

وبهذه المنطقة تراث ضخم من الصخر الذى يسجل بدايات الفن والذى ساعد  
على حفظه ثلاث عوامل رئيسية تتمثل فى أنظمة المعتقدات - عدم إمكانية الوصول  
إليه - والسرية.

وتوجد مواقع هذا الفن بشكل عام فى المرتفعات وتتكون من مأوى صخرية  
ومن كهوف ومساحات صخرية مفتوحة مستوية. وأغلب المأوى للصخرية التى بها  
رسومات زيتية موجدة فى أماكن عالية على سفوح التلال المغطاة بالشجيرات، والتى  
تواجه أو تطل على السهول والوديان والأنهار.

ويبدو أن الرسامين قد فضلوا مثل هذه المواقع لأنها كانت تشرف على منظر  
واسع من السهول والأماكن المحيطة بها مباشرة مما مكنتهم من مراقبة الصيد، أو  
الشعوب المحاربة المعادية فى بعض الأحيان وكانت قسم التلال مناسبة أيضاً  
للعسكرة خاصة خلال المواسم الممطرة عندما تغمر الأمطار السهول المنخفضة.

وكانت أغلب المواقع يمكن دخولها فقط لمجموعات خاصة من الناس فى  
أوقات معينة، وكان هناك حظراً صارماً على الزيارة، وعلى قطع الأشجار والحرق،  
أو حتى جمع أخشاب الوقود منها وكنيجة لذلك ترك ما حولها بنون لزجاج وكان لا  
يسمح بالدخول فى أغلب المواقع للقرويين، والناس الذين استطاعوا الوصول إليها  
حال الحظر دون قيامهم بتخريب هذا الفن والأهم من ذلك كله أن بعض المواقع

كانت في العادة معروفة فقط لكبار السن، وممارسي الطفوس الذين حاولوا إبقاء مواقعهم مربية.

ويؤكد المؤرخون وعلماء الآثار أن رسم وحفر الحيوانات في جنوب أفريقيا كان المقصود به أغراضاً دينية، أما الأشكال المحفورة حراً دقيفاً فكان يقصد بها التعليم، وكانت هذه الأشكال المحفورة والمنحوتة يستعمل فيها الحفر ثم تشطيب بالخطوط وتعيمها من الداخل لكي تبين الظلال أو ملامس جلود الحيوان، وهذه التقنية تسبق عمليات الحفر والنحت المصرية القديمة بل هناك نوعاً آخر تم حفر الأرضية وترك للخطوط وأشكال الحيوانات بارزة على السطح الحجري، ولذا كانت الصخور الطبيعية التي يتم النقش عليها تختار بعناية واستخدام التقنية المناسبة لهذه الصخور، وعند مشاهدتنا لهذا الفن البدائي الأفريقي يجب ألا نفصل الرسم عن الحفر على الصخر ويدل حفر الشكل العام للحيوان على للصخر على أن الفنان بدأ أولاً بحفر هذا الشكل توطئة لتكوينه وإضافة التفاصيل بعد ذلك، مما يدل على أن العمل الفني لديه يصل إلى ذرة الإبداع ويتضمنه من مهارة فتقة وعمل فني متميز.

كما نلت الأماكن المرتفعة التي وجدت بها هذه الرسوم الصخرية على أن الفنان كان لديه احترام خاصاً لعمله الفني وأنه أراد أن يتحاشى المستويات الدنيا القريبة من الأرض والتي تتأثر بالعشاء وهذا احتاج بالتأكيد إلى استخدام ما يشبه السلالم أو السقالات، وكان التلوين أما بلون واحد أو بأكثر من لون.

وقد وجدت بجنوب أفريقيا بقايا الورش التي كانت تقدم بإعداد الأحجار والألوان فقد وجدت مثلاً بعض أحجار الرحي التي قطعت من الأحجار بالآت دقيقة لكي تطحن الصخر الذي تستخرج منه الألوان، كما وجدت بها بقايا الألوان، وقد استخرج الفنان الأفريقي الأول درجات الألوان بتدرج كبير من الأحمر والبني من



أكاسيد الحديد، بينما استخرج اللون الأبيض من الكولين أو أكسيد الزنك واللثي (عصارة ورقية) أما اللون الأسود فاستخرج من الفحم النباتي والعظام المحترقة أو الدخان والدهن المحروق... كما وجد اللون الأصفر والأخضر والبنفسجي وغيرها. وكانت حبيبات الصخر أو المعدن أو خام اللون تطحن في أهوان صغيرة، وتخلط ثم يضاف إليها سائل (لعله اللبن) أو سائل نباتي أو زلال البيض أو العسل أو نخاع العظام المطبوخة، أو أي مادة لزجة ماسكة أخرى وهو ما يفسر لمعان هذه الصور بعد هذه الآلاف من السنين.

وكانت الألوان تعالج بالأصابع أو بالقش أو الخشب المضغوط، أو فرش من شعر الحيوان أو الطيور، وكانت ترش بوضع المسائل في الفم ثم يخه وإطلاق رزازها، وقد وجدت طباعة للأصابع في الرسم كأنها توقيع للفنان، وأحيانا كان يجز في تصحيح في الرسم دون إزالة للخطوط الرئيسية الأولى، فيعطي للثلاث أربعة قرون والرجال ثلاثة أذرع وهكذا.

## **توزيع المواقع والموضوعات بجنوب وشرق أفريقيا**

### **القرن الأفريقي (أنثيوبيا، أريتريا، جيبوتي، الصومال):**

رسومات زيتية تصور لمسا مائية ذلت قرون طويلة بلا سنام (موجودة أيضا في كينيا في موقع حول جبل إلجون).

### **السودان:**

ماوى صخرية وكهوف مرسومة في تلال داجو جنوب دارفور صور لحيوانات برية وأحصنة راكبوها مسلحون بالدروع وجنود مشاة مسلحون بالدروع والحراپ.

## زامبيا، زيمبابوي، وجنوب أفريقيا:

رسومات زينتية لحيوانات وأدميين، ورسوم تخطيطية مثل الخطوط المتوازية، ودوائر ذات مركز واحد تخرج منه خطوط كالأشعة.

## شرق أفريقيا:

أكثر المناطق ثراء توجد في وسط تانزانيا (دوموا، وخاصة مقاطعة كوندوا، ومناطق سينجدا) تركيزات معزولة من المواقع في تانزانيا توجد في ماساسي، ومبولو، وموتزا، ويوكوبا، ولونيلمويزي، وسهل هايدا وتمتد مواقع موتزا ويوكوبا لتشمل مواقع علي الجانبين الكيني والأوغندي من جزيرة بحيرة فيكتوريا.

## شمال كينيا:

نقوش لحيوانات برية (ظباء وغزلان وفرسان البحر وزراف وخرافيت) حيوانات منجنة (مثل الجمال والحمير والماشية وأدميين بأسلوب رسم معين).

## ٢- بدايات الفن في وادي النيل:

من المتفق عليه إطلاق مسمى ولدي النيل على الأرض الواقعة على جانبي نهر النيل والممتدة من الدلتا في أقصى شمال مصر حتى ملتقى النيلين الأبيض والأزرق في الخرطوم بوسط السودان. وليس في هذا الوصف ما يمنع بطبيعة الحال من إضافة بقية أقاليم السودان جنوب للخرطوم ولادي النيل. تنقسم مصر في المصادر التاريخية عادة إلى إقليمين هما، مصر العليا (الوجه القبلي) ومصر السفلى (الوجه البحري). تمتد الأولى من الشلال الأول حتى الأطراف الجنوبية للدلتا، حيث يجري نهر النيل شالفاً أرضاً صحراوية مكوناً شريطاً ضيقاً من الأرض للزراعة. أما مصر السفلى فتشمل منطقة الدلتا حيث يتفرع للنهر إلى عدة أفرع تصب في البحر المتوسط وتكثر فيها البحيرات

والمستقعات، وعلى الرغم من التناوب الطبيعي بين هذين الإقليمين فإنهما أسهما في الحضارة المصرية بأدوار مختلفة تجمعت وتكاملت لتمنحها طابعها المتميز.

أما السودان فيقسم بدوره إلى قسمين، النوبة السفلى، وتمتد من الشلال الأول إلى الشلال الثاني، والنوبة العليا التي تمتد من الشلال الثاني حتى الخرطوم جنوباً مع أن كثيرين يحصرّون منطقة النوبة في الأرض الممتدة من الشلال الرابع شمالاً حتى الحدود المصرية السودانية. وفي بقية السودان من حدوده الجنوبية والشرقية حتى الخرطوم تجري الأنهر وأفرعها والمجاري والأودية الكبيرة، كما توجد بالسودان مساحات شاسعة بعيداً عن مجرى النهر صالحة للزراعة والرعي قديماً وحديثاً. لقد تلاحقت الظروف الطبيعية بيئات متنوعة للبشر على مرّ العصور كان لها عظيم الأثر في المنتج الحضاري كما كان لها أثرها في مستويات الاتصال بين أقاليم قطري ولدي النيل. وسوف يتضح كذلك لاحقاً عند وصفنا لتطور حضارات العصور الحجرية. ومن جهة أخرى لا يكتمل الوصف الجغرافي لوادي النيل نون الإشارة إلى الصحاري التي تحف بوادي النيل، فقد أوضحت الدراسات الجيولوجية والآثارية المتصلة أهمية الصحراء، وبخاصة الجزء المناخ من الصحراء الكبرى لنهر النيل، حيث تنتشر الآبار والعيون والمنخفضات والأودية الكبيرة التي تصب في النهر.

أما الصحراء نفسها فقد كانت هي أيضاً مأهولة بالسكان خلال معظم حقبة العصور الحجرية، وهناك من الأتلة الأثرية ما يؤكد الاتصال والتنقل بين الصحراء ووادي النيل خاصة خلال فترات التقلب المناخي مما نتج عنه امتزاج وتداخل بين الجماعات السكانية وثقافتها الشيء الذي لُحِم بدوره في إثراء المنجزات الثقافية في هذا الجزء من العالم القديم وعلى ضفتي النهر في مصر والسودان نشأت مدن من أعظم منبئات الشرق الأدنى القديم. فالمدنية المصرية القديمة معروفة على نطاق واسع بعظمة

منجزاتها في ميادين السنظم السياسية، والإدارية، والعمارة، والفنون، والآداب، والمعتقدات، واللغات. وقد وصل إشعاع هذه للمدنية العظيمة ليس فقط للأقاليم المجاورة وإنما امتد لأفلاق بعيدة في الشرق والغرب. كذلك عرف جنوب الوادي في السودان مدينة عريقة تبدأ بظهور دولة للمدينة في كرمه نحو ٢٠٠٠ ق. م. كأول مدينة في أفريقيا خارج مصر، وهي التي نلتها الجبضارة الكوشية بحصريها للنبتى والمسروى للذين امتزجت فيهما المؤثرات الحضارية المصرية مع للمنجزات المحلية المتميزة.

ومما لا شك فيه أن مدنات وادي النيل تلك قامت على تجارب حضارية تمتد لأعماق ما قبل التاريخ إذ لم تكن المنطقة بعيدة عن ما أنجزته مجموعات الصيادين الأوائل في أفريقيا والشرق الأكتى من ابتكارات وتحسين في صنع الأدوات والأسلحة ومختلف ضروب الفنون البدائية والتمكن من استغلال البيئة الطبيعية والتكيف للنجاح على الصعوبات الطبيعية. ويكتسب وادي النيل أهمية خاصة عند النظر في تطور أدوار العصور الحجرية وانتشار البشر من أفريقيا إلى خارجها. فأوائل البشر الذين انتقلوا من شرق أفريقيا منذ مئات الآلاف من السنين ومن بعدهم أقدم مدلالات الإنسان للحديث قد سلكوا مجاري المياه القديمة، ونهر النيل فيما بعد إلى شمال أفريقيا وشرق المتوسط. وعندما ظهرت أقدم المدنات والدولة المركزية كانت أصولها موجودة محلًا في مجتمعات العصر الحجري الحديث التي أنجزت مرحلة إنتاج القوت تمثلاً في الزراعة، وتربية للحيوان، وعمل لفخار، والصناعات الحرفية المختلفة، وبناء الإقامات المستقرة.

من هنا نكتسب دراسة العصور الحجرية في وادي النيل أهمية خاصة لمسيبين رئيسين: الأول هو موقعه في القارة الأفريقية ومطاً بين شرق أفريقيا أقدم مركز البشر الأوائل وآسيا في الشرق، وشمال أفريقيا ومن ثم أوروبا في جهة الغرب؛ والسبب الثاني

طبيعة التطور الثقافي خلال فترة ما قبل التاريخ في المنطقة نفسها الذي شكّل القاعدة التي قامت عليها أقم مدنيت الشرق الأدنى.

### أ- التاريخ الجيولوجي لنهر النيل والبيئة القديمة

يمثل نهر النيل أطول أنهار العالم، شريان الحياة وعصيتها في مصر والسودان، ليس في الوقت الحاضر فقط، وإنما على امتداد تاريخ استيطان البشر على ضفتيه. فالنيل هو مصدر المياه الدائم للإنسان والحيوان، وفيه بعض مصادر الغذاء كالأسماك وغيرها. وفي انحداره من الهضبة الإثيوبية يجلب النيل الأزرق الطمي المعدني، في حين يجلب النيل الأبيض الطمي النياتي مما يخصب الأرض على نهر النيل ويجعلها صالحة للزراعة مصدراً للاقتصاد المعيشي الأساس للسكان منذ آلاف السنين. كذلك ربط النهر بين الشمال والجنوب حيث كان الوسيلة الرئيسة للنقل وحوله تشكلت حياة الناس وقامت الفنون والعبادات والأساطير ولا يستطيع المرء استيعاب التاريخ الحضاري للمنطقة دون النظر في مزايا نهر النيل وعطاياه. ومتلما كان النيل ولا يزال حلقة الوصل بين السودان ومصر، فإنه كان أيضاً السبب في جذب الجماعات السكانية منذ أقدم العصور من شمال أفريقيا والصحراء الكبرى. لقد عاش الناس منذ عشرات آلاف السنين قبل ظهور المدنية المصرية القديمة فما هو تأثير النهر على إنسان ما قبل التاريخ؟ ومنى شق النيل مجراه الحالي؟ وكيف تتأثر وتيرة تدفق المياه فيه بالتحولات المناخية العالمية والإقليمية؟ تمثل تلك نوعاً من الأسئلة التي طرحها علماء الآثار والجيولوجيا منذ وقت بعيد عندما رصد بعضهم المصاطب ذات المستويات المختلفة على جانبي الوادي ووجدوا في طبقاتها الأدوات الحجرية وعظام الحيوانات من عصور مختلفة.

تختلف نتائج الدراسات الجيولوجية حول قضية قنم نهر النيل كمجرى مائي تأتية المياه من المنابع المعروفة اليوم في وسط وشرق أفريقيا وكذلك حول معاني الظواهر الطبيعية التي تعكسها التكوينات الرسوبية بالقرب من ضفتي النهر، فالبعض يرى أن نهر النيل بدأ بحفر مجراه الحالي منذ أكثر من ربع مليون سنة مضت حيث دلتوا على ذلك بوجود رسوبيات طميية من أصل إثيوبي في تكوين نندرة. وبعد ذلك تقطع النهر ولم يعد لحالته إلا خلال الفترة ١٠٠,٠٠٠-٦٠,٠٠٠ سنة ق.م. والرأي الآخر يقول بتاريخ حديث للنهر إذ كان في واديه عدد من الأنهر تأتيها للمياه من الأمطار المحلية ومنابع أخرى بعيدة ولكن امتد مجراه من الهضبة الإثيوبية حتى شمال مصر لأول مرة في التاريخ المذكور أعلاه. ويختلف العلماء أيضاً في تفسيرهم للعلاقة بين فيضانات النهر الكبرى وأحوال المناخ المحلية فالبعض يرى أن المصاطب الرسوبية تقابل فترات امتداد الجليد في شمال الكرة الأرضية. وعندما ينخفض مستوى مياه النهر لسنوات قد تطول أو تقصر فذلك يقابل الفترات الدافئة التي تقع ما بين كل عصر جليدي وآخر. وهناك رأي آخر يقول أن هذه المصاطب قد تكونت عندما كان النهر ضعيفاً بحيث لم يتمكن من إكمال جريانه حتى الدلتا وأن أولها تكون منذ أكثر من ٣٠,٠٠٠ سنة ق.م. ولم يتمكن النهر من حفر مجراه مرة أخرى إلا نحو ٢٠,٠٠٠ ق.م. وبحلول فترة العصر الحجري القديم المتأخر تكونت ما يسمى بمصاطب الصحابة، ثم زاد ارتفاع النهر نحو ١٠,٠٠٠ ق.م. وهي الفترة التي ظهرت بعدها مستوطنات العصر الحجري الحديث. واعتماداً على الدراسات الجيولوجية والآثرية لللاحقة اقترح بعض الباحثين تعديلاً لنموذج الفيضان الكبير الذي يعقبه انخفاض واضح في مستوى مياه النهر ثم فيضان كبير آخر، إلى افتراض ارتفاع هائل في مستوى مياه النهر الذي تتخلله انخفاضات بسيطة متتالية

ومما لا شك فيه أن نهر النيل يتأثر بالظروف المناخية المحلية والعالمية وهو مع الصحراء المجاورة بمناخاتها المتباينة عبر الزمن شكلاً عنصراً بيئياً مهماً تحدثت بموجبه لأماط استيطان السكان خلال حقبة العصور الحجرية.

فخلال الأزمان المطيرة نجد مواقع لمستوطنات الصيادين منتشرة في لودية وبحيرات شرق الصحراء الكبرى مثلما هي موجودة بالقرب من وادي النيل نفسه وذلك خلال فترتي العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط. وأوضحت الأبحاث التي أجريت مؤخراً في منطقة بئر صحراء وبئر طرفاوي (٣٠٠ كلم غرب أبو سمبل) تعاقب خمس نورات على الأقل من الأحوال المطيرة التي تخللتها فترتان جافتان وأخرى تنحصر فيها المياه في بقع مجزأة، ويقدر عمر أقدم الفترات المطيرة بنحو ٣٥٠,٠٠٠ ق.م. وخلال فترة العصر الحجري القديم الأوسط نجد أن الصيادين أقاموا معسكراتهم بالقرب من مصبات الأودية في النهر أو على حافة السهل الفيضي وكذلك في أطراف سهل السافانا القريب من وادي النيل. ويبدو أن عمليات التنقل بين هذه المواقع كانت تحكمها وفرة الموارد الطبيعية التي تحدثها الأمطار ومستوى فيضان النهر الذي يعيق الإقامة في السهل الفيضي بحلول الحقبة الأخيرة من عصر البلايوسين الجيولوجي (١٨٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ ق.م) بدأت تسود حالة جفاف شتدت بمرور الوقت لتبلغ ذروتها مدى لم نعرفه الأحوال المناخية في المنطقة من قبل. وتشير نتائج الأبحاث الجيولوجية والجيومورفولوجية في كل من السودان ومصر وشرق أفريقيا إلى حالة من الجفاف عكسها انخفاض مستويات البحيرات أو جفافها تماماً كما اختفت مياه السبخات والمنخفضات في الصحراء وتوقفت الأودية من الجريان نحو النهر. لما نهر النيل فقد بلغ لنى مستوى له خلال هذه الفترة. وفي السودان نجد أن النيل الأبيض قد تقطع تماماً لعدم وصول المياه من بحيرة فكتوريا بدرجة كافية، كما أن النيل الأزرق انخفض

مستوى للمياه فيه بدرجة ملحوظة. لقد زحفت كثبان الرمال بالقرب من النهر وتراجعت الأحزمة النباتية إلى جنوب من حدودها الحالية بما لا يقل عن ٥٠٠ كلم ولم تتحسن أوضاع المناخ إلا مع بداية عصر الهولوسين (١٠,٠٠٠ ق. م)، فقد كان أثر الجفاف واضحاً على استيطان الصحراء التي خلت من المواقع الأثرية الممتلئة لفترة العصر الحجري القديم الأعلى وقد هاجرت مجموعات من السكان إلى وادي النيل والأودية القريبة منه حيث اختلطت في المنطقة مجموعات ذات ثقافات متباينة تعكسها مجاميع الأكويت الحجرية مختلفة الأنواع كما سيرد ذكره فيما بعد.

وقد أوضحت أعمال وندروف وآخرون في وادي للكباتية غرب أسوان حجم لتأثيرات التي أحدثتها فترة الجفاف في حياة الناس وهي قد بلغت قمتها في ١٧,٥٠٠ - ١٥,٠٠٠ ق. م. فخلالها تجمعت مجموعات الصيادين قريباً من النهر حيث مارسوا الصيد المكثف للأسماك حيث وجدت مئات الآلاف من عظامها. ويعتقد أن الأسماك تجمع في أوقات الوفرة وتحتفظ لأيام الشدة. وعندما يأتي الفيضان ترحف المستوطنات قليلاً عن النهر. وقد أضاف السكان لغذائهم النباتات والجنوع حيث تم الكشف عن الكثير من أدوات الطحن أو الجرش ضمن للقي الحجرية. إن اعتماد مجموعات كبيرة من لصيادين على مولود للنيل المحدودة أدى لمنافسة متوقعة نتج عنها لقتال كان سبباً في موت البعض كما يدل عليه وجود شفرات في منطقة البطن من جسم أحد الهياكل المكتشفة في القبور التي نقيت والأدلة الأثرية الواضحة للموت نتيجة للعنف في هذه الفترة نجدها في جبانة جبل الصحابة بالقرب من وادي حلفا التي نقيت في الستينات من القرن الماضي إذ تبين أن ما يقرب من ٤٠ في المائة من الأفراد ماتوا نتيجة لممارسة العنف وقد وجدت مع الهياكل رؤوس الأسهم الحجرية في مواضع تدل على الإصابة.



وفي عصر الهولوسين الذي أعقب نهاية العصر الجليدي الأخير، بدأت تظهر في وادي النيل مثل غيره من مناطق الشرق الأدنى لعماط معيشية جديدة تقوم على الزراعة واستئناس الحيوان وصنع الفخار. سادت في هذه الفترة دورات مناخ جديدة إذ بعد آخر فيضان كبير للنهر الذي انتهى نحو ٦٠٠٠ ق.م. (تكوين غيبه) صارت لفيضانات على النمط السنوي المعروف الآن تقريباً. ويلاحظ من توزيع مواقع العصر الحجري الحديث أنها تتركز بالقرب من ضفتي النهر أو قريباً من الأودية التي تصب فيه. وفي السودان يتسع مثل هذا التوزيع لتشمل سهل البطانة ولسا نهري لقماش وعطبرة. ومثلما هو متوقع فإن أحوال البيئة تتنوع بتنوع الخصائص الجغرافية في هذه الأقاليم وأصبح المناخ المحلي يؤثر بدرجة كبيرة في عمليات الاستيطان.

شهد عصر الهولوسين فترتين مطيرتين رئيسيتين تتخللهما فترات جفاف تزيد أو تنخفض حثتها من مكان لآخر. وتشير مجمل أدلة الآثار إلى أن تجمعات الصيادين باتت منذ أول العصر الحجري القديم الأعلى تميل نحو الاستغلال المكثف للموارد الطبيعية المتوفرة وتبقى في مناطقها لفترات أطول مما كان معتاداً في السابق. وفي الصحراء الغربية المصرية نجد أن الأحوال المناخية الطبيعية تحسنت مرة أخرى بعد فترة الجفاف الحاد سابق الذكر فيطول الأمطار الغزيرة أدى إلى إحياء الغطاء النباتي حيث عادت الحيوانات إلى أماكنها الطبيعية. ففي واحات سيوة والقطارة والخارجة تحسنت الأحوال المناخية وتجمعت فيها مجاميع مكانية تدل للعناصر المادية المكتشفة على أنهم بنوا نبط حياة العصر الحجري الحديث. وقد وجدت مواقع هذه الفترة منتشرة على امتداد الصحراء الغربية في السبخات والأودية والمنخفضات حيث تمكنت بعض هذه الجماعات من استئناس الأبقار وصنع الفخار منذ الألف التاسع ق.م.

وهكذا استمرت تلك الأوضاع المناخية المواتية حتى نحو ٣٠٠٠ ق.م. عندما يحل الجفاف تدريجياً مرة أخرى في الصحراء مما دفع بمجموعات كبيرة من الناس نحو وادي النيل الذي تأثر هو الآخر بالتحولات الجديدة. تشكل هذه الملاحظات عن البيئة القديمة إطاراً وقاعدة نستند عليها للنظر في تسلسل الأدوات الحضارية لفترة ما قبل التاريخ في وادي النيل.

### ب- العصر الحجري القديم (الباليوليتي) بوادي النيل

استخدم الأثريون الذين درسوا المواد المكتشفة في المواقع التي تعود إلى هذه المرحلة الأولى من ما قبل التاريخ، المنهج المتبع في أوروبا والشرق الأدنى وبخاصة فيما يتعلق بتصنيف مجاميع الأدوات الحجرية التي تشكل المادة الأساسية التي تقوم عليها دراساتهم. وعندما تكون الأدوات المكتشفة مغايرة لما هو موجود من النواحي التقنية والشكلية فإنهم يبدون عليها ملاحظات ويعطونها اسماً مطبوعاً لتأكيد تميزها.

ويقسم العصر الحجري القديم عادة إلى ثلاث مراحل هي الأسفل والأوسط والأعلى، كل واحدة منها تتميز بأنواع من الأدوات وتقنيات متخصصة في تشكيلها إضافة إلى ابتكارات حضارية أخرى تتصل بحياة الناس المادية والروحية.

تبدأ المرحلة الأولى من العصر الحجري القديم في أفريقيا بتاريخ أقدم أدوات حجرية معروفة حتى الآن وذلك في حدود مليوني سنة ونصف وهي محصورة في جنوب أفريقيا وشرقها. وتضم صناعة الأدوات الحجرية في هذه المرحلة إلى نوعين:

النوع الأول: يسمى بالصناعة الأكدوازية (نسبة إلى خافي أولدواي في تنزانيا)

التي تشتهر بالأدوات الحصوية البسيطة مثل السواطير والمفارم والأدوات الكروية والمطارق إضافة إلى الشظايا غير المشدبة وتستمر هذه التقنية في تصنيع الأدوات

لأكثر من مليون سنة ونصف تقريباً. وقد وجدت خارج أفريقيا في مواقع قليلة في غرب آسيا وجنوب أوروبا وأكثر عدداً منها في شرق آسيا ولكن تاريخها أحدث نسبياً.

لم تعرف في وادي النيل مواقع من نوع الأثواب في وضع يمكن تأريخه بدقة، لكن هناك ملتقطات سطحية لأثواب شبيهة بها وجدت في أكثر من مكان. ومن أهم المكتشفات الحديثة في شمال السودان بجدر الإشارة إلى موقع "كنتارتي" بجزيرة بدين إلى الجنوب من مدينة نفقلا حيث عثر على كمية من الأثواب الأثوابية مثل السلطير والفلولع وغيرها من أثواب حصوية ومعها كمية من عظام الحيوانات لمختلفة قمتقرضة التي قدر عمرها بين ١,٦ مليون سنة ونصف لمليون سنة مما يجعل الأثواب الحجرية قريبة في عمرها من المرحلة لثانية من تطور للصناعة الأثوابية والمؤرخة لنفس هذه الفترة تقريباً في شرق أفريقيا. وهكذا فإن هذه المكتشفات تمثل حتى الآن أقدم أثواب من نوعها يعرف تاريخها على وجه التقريب في السودان. يعزز هذا الاكتشاف بوضوح وجود البشريات الأولى في وادي النيل، أما ندرة المواقع الأثوابية من هذا النوع فربما كان سببها التحولات التي حدثت في تكوينات الأرض، بالتالي، اختفاء الطبقات الرسوبية التي كانت تحوي مثل هذه اللقي

لما النوع لثاني من صناعات هذه المرحلة وهو ما يسمى بالصناعة الأثوابية التي تؤرخ لما بعد الأثوابية، وهي الأخرى عرفت لأول مرة في أفريقيا ولكنها واسعة الانتشار في العالم القديم بما في ذلك أوروبا، وتمتاز الأثوابية ضمن ما تمتاز به بالفؤوس اليدوية جيدة التشذيب من على وجهي الأداة، ولها رأس مديب ولطراف حادة. ويمكن تصنيعها في أشكال وأحجام مختلفة مما جعل البعض يضعها في مراحل تطورية متعاقبة. وتصحب هذه الفؤوس اليدوية ابتكارات أخرى مثل استخدام النار، والمستفاد لبنات طبيعية متباعدة مما يدل على قدرة الإنسان في ذلك الوقت على الحركة والتكيف

مع أوضاع مناخية مختلفة، لم يكتشف بعد من الصناعة الأسولية خارج أفريقيا ما هو في حدود تاريخها في أفريقيا. ففي شمال أفريقيا، بما فيها وادي النيل، نجد للمواقع الأسولية منتشرة في أكثر من مكان ولا يعرف تاريخها على وجه التحديد، لكنه يقدر في حدود نصف مليون سنة، وذلك من المعطيات الجيولوجية وخصائص الأدوات الحجرية. ويظن البعض أن احتمال وجود مواقع أسولية أقدم من ذلك في وادي النيل أمر متوقع لأنه يمثل أحد المعابر الطبيعية للإنسان في هجرته المبكرة إلى آسيا - توجد للمواقع الأسولية في مصر بكثرة في الصحراء الغربية والقرب من الواحات والأبار آفة للذكر، ولكن القليل منها وجد بالقرب من الزهر. ومثل ذلك ما اكتشف أوائل القرن الماضي في العباسية، وذلك التي وصفها عالمان الآثار "سانفورد وأركل" في صعيد مصر ومنطقة النوبة. وقد حاولا رصد تسلسل صناعة الأدوات الأسولية وربطها بالمصاطب القريبة من النيل، أما المسوحات الأثرية الحديثة فقد كشفت عن العديد من المواقع الأسولية في وسط مصر حيث أمكن ربطها بتاريخ نهر النيل، ومهما كانت معلوماتنا عن هذه الفترة شحيحة مقارنة بالمناطق المجاورة إلا أن ما هو معروف حتى الآن يشير بوضوح إلى انتشار صيادي العصر الحجري المبكر على طول النيل، والأبحاث الميدانية الجارية الآن في أكثر من مكان في مصر والسودان لا بد أن تمنحنا بمعلومات جديدة خاصة وقد توفر لها الإمكانيات العلمية الحديثة مما يوهلها لذلك.

### ج- العصر الحجري القديم الأوسط بوادي النيل

خطى البشر خلال الفترة الممتدة من ١٥٠,٠٠٠ قبل الحاضر خطوات مهمة في اتجاه تحسين مستوى تصنيع أدواته وتويعها وإضافة مواد أخرى في قاعدة غذائية باستكشافه لمناطق جديدة في العالم بما فيها الأقاليم الباردة من أوروبا. وفي هذا العصر أيضاً شاع استخدام النار بأكبر مما كان وبرزت بوادر الفنون البسيطة منمثلة في صنع

لحز و رسم للخريشات البسيطة على العظم أو الحجر كما بدأ الإنسان دفن الموتى ولو بطريقة بدائية. إن أهم ما يذكر عادة في مجال تصنيع الأدوات هو اعتماد تقنية جديدة تستخدم لتجهيز الفؤى بطريقتين متخصصتين بسميان الفايالوازية والموسيرية وتشتهران في مناطق في أوروبا وشمال أفريقيا وشرق المتوسط. وكانت معظم أدوات الإنسان في هذه المرحلة تشكل على الفخايا عوضاً عن كتل الحصى أو الفؤوس في العصر السابق كما أن تشنبيها بعكس قدرة وتحكماً تقنياً واضحاً. أشرنا آنفاً إلى أن بعض الباحثين ظنوا أن وادي النيل لم يسهم في تطورات هذه المرحلة مع غيره ولكن آراءهم تقيسرت بعد الاكتشافات الحديثة التي أوضحت بجلاء ثراء المنطقة الحضاري بل وتميزها بتقاليد في تشكيل الأدوات الحجرية بأسلوب غير معروف في الأقاليم المجاورة. ومهما يكن من أمر فإن مجمل الأكلة الأثرية فيها ما يكفي لجعل وادي النيل ضمن الدائرة للحضارية التي تشمل حوض المتوسط وغرب آسيا وأوروبا.

وخلال الفترة المشار إليها تمكن الإنسان من التكيف مع البيئة للنيلية التي أصبحت جزءاً من دورة الحياة والاقتصاد لمعيشي للصيادين إذ نجد مواقع صناعة خور مومسي في منطقة وادي حلفاء على سبيل المثال، قريبة من النهر على السهل الفيضي. وتدل عظام الحيوانات على أن أصحابها استغلوا بيئة السافانا مثلاً استفادوا من أسماك البرك والمستنقعات القريبة من النهر ومن جهة أخرى أوضحت الدراسات الحديثة أن بعض تقنيات صناعات العصر الحجري القديم الأوسط استمرت في وادي النيل لفترة طويلة بعد أن اختفت من أمكنة كثيرة في الشرق الأدنى. وكما سيأتي ذكره فإننا نجد أحياناً جنباً إلى جنب مع تقنيات العصر الحجري القديم الأعلى، أي، مع المرحلة التي نالها.

توجد معظم مواقع العصر الحجري القديم الأوسط في أواسط مصر وجنوبها وفي النوبة السودانية إضافة إلى الصحراء المصرية، كما ويُعرف القليل منها في بقية شمال السودان حيث تم تحديد بعض مواقعها في منطقة دنقلة.

وفي السودان إلى الجنوب من النوبة يقتصر وجودها على ملتقاطات سطحية وقليل من المواقع التي تحوى طبقات رسوبية. ومن الواضح أن شكل ومحتوى هذه المرحلة بنطوي على اختلافات حضارية وينتظر تحديد معالمها المسوحات الأثرية التي تفتقدها معظم أقاليم السودان إلى الجنوب من النوبة. لم يكن متاحاً تحديد عمر الصناعات المستيررية في النوبة السودانية سوى عن طريق المقارنات الشكلية والظواهر الجيومورفولوجية التي ترتبط بها تلك التي. ومن جهة أخرى كان من الممكن الحصول على توليخ راديوكربونية (للكربون المشع ١٤) لمواقع صناعة خور موسى التي تُعد الآن ضمن الصناعات الحجرية لهذه الفترة إذ لنصح أنها ترجع إلى فترة أقدم من ٣٥,٠٠٠ ق.م.

وفي أواسط مصر كشفت الأبحاث الحديثة عن عدد من مواقع الفترة حول لبيوس وسوهاج متصلة بنظام نهر النيل حيث وجدت الأدوات والمواد العظمية في أمكنتها الأصلية. ولا تختلف مجاميع الأدوات الحجرية عن مثيلاتها في المنطقة حيث توجد فيها لتقنية الليفالوزية بوضوح، وقد تمكن الذين نقبوا في هذه المواقع من توثيق تسلسل تطوري يربط بينها وبين صناعة المرحلة التالية من العصر الحجري القديم الذي ينسب إلى فترة انتشار الإنسان وفي الصحراء الغربية المصرية وامتدادها في شمال السودان كشفت المسوحات الأثرية عن العديد من المواقع التي تعود لهذه الفترة وهي قريبة من موارد المياه وما يكصل بها من عناصر طبيعية نباتية وحيوانية وفرت قاعدة غذاء كافية لمجموعات الصيادين. ومن أمثلة هذه المواقع المهمة ما اكتشف في بئر

طرفاوي وبئر صحراء حيث أمكن تحديد ثلاثة تقاليد في تشكيل الأدوات الحجرية تعكس تنوعاً في أسلوب تصنيع الأدوات وفي أشكالها، وهي المستيرية التي تغلب عليها الأدوات المسننة والمكاشط والرؤوس وتتميز بـكبر حجم الأدوات، ثم ثلثها أخرى تماثل، إضافة للأشكال السابقة، بوجود قليل من الأدوات ورقية للشكل وهي مشنبة الوجهين، أما الثالثة فتتميز ما تقطع الورقية المذكورة بأعداد أوفر إضافة إلى الرؤوس المجنحة ومشنبة الوجهين.

### د- العصر الحجري القديم الأعلى بوادي النيل

يعد هذا الدور من أهم مراحل فترة ما قبل التاريخ نسبة لما حدث خلالها من تطور في حياة الإنسان المادية والروحية كما تدل عليه المكتشفات الأثرية على مدى سنوات طويلة في أوروبا والشرق الأدنى. لقد حدثت في هاتين المنطقتين بصفة خاصة تحولات ثقافية مست كل أوجه حياة الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والفكرية خلال هذه الحقبة مما جعلها قاعدة انطلقت منها كل التطورات الثقافية العميقة التي أنجزتها البشرية في نهاية ما قبل التاريخ. تحوي المواقع الأثرية التي ترجع إلى هذه الفترة ثروة من الأدوات الحجرية المتميزة، وكذلك العظمية، وأدوات الزينة، والرسوم الجدارية الملونة، وأشغال النقش والنحت المختلفة. وقد تمكن الإنسان من استغلال مناطق جغرافية جديدة أتاحت له موارد غذائية متنوعة تكفي الأعداد المتزايدة نسبياً من البشر.

لقد كانت منطقة الشرق الأدنى أحد المراكز الأولى التي ظهرت فيها هذه السمات الثقافية الجديدة، بخاصة شرق المتوسط وشمال أفريقيا، وذلك نحو ٤٢٠٠٠ ق.م. تبدو أولى سمات التغير في تشكيل الأدوات الحجرية عندما حلت تقنية تصنيع الشفرات والتصال مكان تصنيع الشطاييا. وتبدأ هذه الخطوة بتجهيز نواة هرمية بطريقة غير مباشرة في اتجاه طولي لكرم النصل أو الشفرة، وفي أواخر الفترة ظهرت تقنية

أخرى تقوم على الضغط باستخدام قرون الحيوان مما أتاح قرناً كبيراً من التحكم في عمل الأدوات. وأضاف الإنسان لها أدوات جديدة شكلها من العظم والعاج والخشب.

لم يكن وادي النيل بطبيعة الحال بعيداً عن مجريات هذه التطورات فقد لمهم مع غيره من مناطق العالم القديم بقدر كبير في إثراء التجربة الإنسانية في تلك المرحلة من تطور الثقافة. أوضحت المكتشفات الأثرية الحديثة ظهور تقنيات صناعة أدوات العصر الحجري القديم الأعلى في أواسط مصر نحو ٣٧,٠٠٠ قبل الحاضر على غير ما كان متعارف عليه في السابق مما يضع هذا الجزء من وادي النيل في مصاف أوروبا الغربية وشمال أفريقيا. وأشار الذين نقبوا في هذه المواقع إلى عدم تمكنهم من الكشف عن أدلة تشير إلى تطوير هذه التقنيات الحديثة محلياً بل أنهم يعتقدون بأن ظهورها كان بفعل وصول تيارات ثقافية من خارج المنطقة من شرق المتوسط أو الداخل الأفريقي. وهناك موقع وجنت فيها كلتا تقنيتي العصر الحجري القديم الأوسط والأعلى معاً. طرحت في السنوات القليلة الماضية إشكالية انتشار الإنسان وكان محوراً نظرية المهد الأفريقي وانتشاره من هذه القارة إلى بقية أقاليم العالم القديم.

اللافت أن الاستيطان البشري اتجه نحو التركيز على السهل الفيضي كلما تقدم الزمن خلال هذا العصر، ربما كان ذلك بفعل الجفاف الشديد الذي حل بالمنطقة وأدى إلى نزوح الجماعات الصحراوية إلى منطقة وادي النيل كما أشير إليه سابقاً. فانسهول مثل كوم أمبو، ودشنا، وعند مداخل الأودية الكبيرة صارت مناطق كثافة سكانية. أما في شمال السودان فقد وجنت القليل من المواقع التي تحمل تقنية إنساج النصال والشفرات بل أنه لم يكتشف منها في أواسط السودان سوى ما كان في خشم القرية على نهر عطبرة حيث وجد عدد من المواقع المتأخرة زمنياً تعود لنحو ١٠,٠٠٠ ق.م. أي، ما يقابل نهاية العصر الحجري القديم.



إن الخلاصة البارزة لتقاليد صناعات الأدوات الحجرية في مصر العليا حتى النوبة السودانية هي الثنائية المتمثلة في استخدام تقنيتين مختلفتين لإنتاج الأدوات. استخدمت التقنية الأولى لعمل النصال، والشفرات الرفيعة، ولؤولت أخرى مثل الأزمليل، ولعكاشيط الطرفية، والمثاقب، وغيرها.

ونمئت للثانية في التقاليد التي لحفظت بالتقنية القديمة أو عدلت من شكلها مع مرور الوقت، لكن للتركيز يظل قائماً على استخدام الشظايا لعمل الأدوات المشخبة دون النصال. وكشفت أعمال المسوحات وللتقريب الأثاري في المنطقة الممتدة من أسوان شمالاً حتى موهاج عن العديد من الصناعات الحجرية التي نسبت لجماعات من الصيادين الذين عاشوا خلال الفترة الممتدة من ٢٠,٠٠٠ قبل الحاضر حتى نهاية العصر الحجري القديم.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يعيشون في بيئة نيولية واحدة فإن العناصر القاعدية لتقاليدهم كانت متباينة، لهذا أثر الذين درسوها إعطائها أسماء مختلفة مثل ثقافات الفاخوري، والسبيل، وأسنا، والسلسلة، وعافية، وللمنشية، والكبانية لقد استغلت هذه الجماعات الموارد المحلية بصورة جيدة وركزت على الحبوب للبرية وخنوع النباتات المفيدة غذائياً كما تشير إليه أدوات الطحن الحجرية ونتائج الفحص للمجهري الذي أجرى على الشفرات وللنصال.

ولصدق مثال لهذا الاستغلال المكثف للحبوب للبرية والأسماك نجده في ولدي للكبانية حيث أمكن تحديد نحو عشرين نوعاً من النباتات التي تمت الاستفادة منها في طعام، وكان أغلبها من الأنواع الدرنية المتوفرة محلياً. لقد تمكن الصيادون في هذه المواقع من إدارة الموارد الطبيعية المتاحة بطريقة تجعلهم مقيمين في المنطقة معظم

السنة. وتشير المعطيات الأثرية إلى أنهم، رغم ما توفر لهم من قدرات، لم يتمكنوا من الانتقال لمرحلة إنتاج الطعام عن طريق ممارسة الزراعة مباشرة

### هـ- العصر الحجري الحديث

أنجزت بعض المجتمعات في هذا العصر - بعد نهاية العصر الجليدي - ابتكارات مهمة كان لها الأثر البعيد في تشكيل مستقبل الثقافات الإنسانية. ويطلق عليها علماء الآثار "مرحلة إنتاج لطعام" أو "الثورة الزراعية" إشارة إلى تمكن الإنسان من الانتقال من التمسك معيشي لستحيادي يقوم على الصيد والجمع والالتقاط وحياة التنقل المستمر، إلى اقتصاد معيشي إنتاجي عماده الزراعة وتربية الحيوان.

وكان توفير الغذاء عاملاً حاسماً في استقرار مجاميع الصيادين في مستوطنات شبه دائمة أولاً، ثم تحولت إلى قرى دائمة تكونت عبرها أنظمة اجتماعية وثقافية واقتصادية جديدة. تطورت خلال ذلك الصناعات الحرفية بأنواعها لتواكب أنماط الاقتصاد المعيشي الجديد وصارت المجتمعات تتبادل المواد والسلع بطريقة غير معهودة مما أدى إلى نموها. من معدات الإنسان المستخدمة الأدوات الحجرية المصقولة وغيرها مما يناسب استقلال البيئة لتوفير الغذاء. كما تمكن الإنسان من صنع الأولي للفخارية للضرورة لحفظ الطعام أو إعداده. لم تظهر هذه السمات الثقافية كلها في وقت أو مكان واحد، إلا أن هناك مناطق من العالم القديم لها قصب الصيق.

ففي بعض أقاليم الشرق الأدنى تحقق معظم أو كل هذه الخطوات بحوالي الألفية الثامنة قبل الميلاد. وفي الوقت نفسه، على أقل تقدير صناعة الفخار في كل من لواسط السودان والصحراء الكبرى قبل أن يتمكن الإنسان من الزراعة أو استئناس الحيوان. أما في مصر وشمال السودان فلم تظهر ثقافات العصر الحجري

الحديث إلا ما بين الألفية السادسة والخامسة ق.م. تقريباً، خاصة إذا ما اعتمدنا وجود معظم خصائصها شرطاً لبداية المرحلة.

ففي ثقافة الخرطوم المبكرة تمت صناعة الفخار خلال الألفية الثامنة ق.م. على أقل تقدير، ولم يصحب ذلك إنتاج للطعام، كما أننا نجد في جنوب مصر مستوطنات شبه دائمة أقام أصحابها لأواخر العصر الحجري القديم مثل وادي الكباشية ومنخفض نبتة ولكنها لم تحقق الزراعة في ذلك الوقت.

يكتسب الحديث عن ثقافات العصر الحجري الحديث وتأسيس مرحلة إنتاج الطعام في مصر أهمية خاصة ذلك لأنها تمثل الطرف الثقافي الذي انبثق منه تقدم وأعظم نظام دولة مركزية في الشرق الأدنى في أواخر الألفية الرابعة ق.م. (مع ملاحظة وجود رأي يقول بأهمية لنبات قنولة في سومر بالجزيرة الفراتية - لوكاماني) كانت معلوماتنا عن فترة العصر الحجري الحديث في مصر شحيحة ومحصورة في نتائج أعمال أثرية أجريت في مواقع محدودة.

أما اليوم فقد توفرت معلومات غزيرة نتيجة لاهتمام العلماء بأهمية البحث الميداني في موضوع أصل الحضارة المصرية القديمة، وتنتشر للتقارير العلمية نبأاً عن الأعمال الميدانية التي تغطي مساحات واسعة من وادي النيل في مصر وفي صحراء مصر الغربية للشئ الذي أضاف بعداً جديداً في تناول قضية أصل الزراعة، ومن ثم قيام الدولة المركزية لاحقاً، ويتفق للكثيرون اليوم على أن لاصحراء لعبت دوراً مفصلياً في تطور حضارات وادي النيل مثما تلقت مصر مؤثرات أخرى من شرق المتوسط.

سبقت الإشارة إلى أن المكتشفات الأثرية الحديثة في الأودية والمنخفضات الواقعة في طرف الصحراء أوضحت بجلء وجود مجتمعات تعتمد على الحبوب البرية

في الغذاء والصيد المكثف الذي سمح لها بإنشاء مواقع إقامة شبه دائمة وقد كانت هذه التجارب مقدمة طبيعية لأحدثت النقلة في إنتاج الطعام.

ففي ولاي الكيانية وعلى بعد مائة كلم غرب أبي سمبل تم تأريخ بعض مواقع العصر الحجري الحديث المبكر بحوالي ٦٨٥٠ و ٦٥٥٠ ق.م.، وقد وجد لكثير من أربعين نوعاً من النباتات تمثلها حبوب مثل الذرة، والسخن، والبقوليات، والحبوب، وغيرها من الأنواع الدرنية. ويعتقد الذين نقبوا في هذه المواقع أن الغذاء النباتي قد طور محلياً بمعزل عن تجارب تنجين القمح والشعير في بلاد الشام.

في أحد هذه المواقع كُشف عن أساسات أكواخ وحفر لتخزين الحبوب ومواقد النار. وفي مكان آخر وجدت بقايا بيوت بيضاوية الشكل أو دائرية وبداخلها الحفر ومواقد النار. وتشير قرائن الأدلة إلى وجود مجتمعات شبه مستقرة حققت إنتاجاً زراعياً محلياً.

وتأتي أهمية للصحراء أيضاً في اكتشاف أدلة ثرية لاستئناس الأبقار في حدود الألفية السابعة ق.م. على أقل تقدير كما تمكنت بعض الجماعات من عمل فخار المزخرف جيد الصنع وهو أقدم من أي فخار آخر وجد في ولاي النيل ما عدا فخار الحروطم المبكرة. ويرى كثير من الباحثين في آثار المنطقة إلى أن مهمة إنتاج الطعام في الصحراء قد نُجزت بصورة مباشرة وربما سريعة ويعززون السبب المباشر للتغيرات البيئية وتوفر الموارد الطبيعية وكذلك التقنية المطلوبة.

ومن أمثلة مواقع إقامات العصر الحجري الحديث في أواسط مصر ما كشفت عنه تنقيبات كانون سطومسون وغاردنر في الثلاثينات من القرن الماضي في منخفض الفيوم. وقد تحلوا عن وجود مستويين من طبقات المواقع وصفت الأولى بأنها تعود

لعصر الهولوسين المبكر. ونسبة لما وجد فيها من فخار و مواد أخرى وصفت بأنها عصر حجري حديث مبكر.

لما المستوى التالي فيمثل ثقافة جماعات من الصيادين لم يتمكنوا من إنجاز الانتقال بعد إلى مرحلة إنتاج الطعام وصفوا بأنهم مجموعة معزولة على أن التقييانات الأثرية التي أجريت فيما بعد أوضحت أن خطأ قد جرى في تفسير طبقات ترسبات لبحيرة القديمة وبالتالي، يصبح الترتيب للزمني الذي افترضته كانتون - طومسون غير صحيح كذلك تبين أن إنتاج الطعام الكامل متملاً في الزراعة واستئناس الحيوان قد ظهر فجأة في الفيوم وليضاً في موقع مرميدة، ذلك نحو نهاية الألفية السادسة وبدلية الألفية الخامسة ق.م. وهذه الفترة نفسها شهدت لصحراء الشرقية موجة جفاف شديدة يعتقد أنها كانت السبب المباشر في نزوح جماعات على دراية بإنتاج لقطعان من الصحراء في اتجاه وادي النيل.

## ١- حضارة الفيوم:

ومنطقة الفيوم وهي تقع على الضفة الغربية للنيل شمال القاهرة وتُرجع إلى عام ٤٤٠٠ ق.م وقد استمرت ١٠٠٠ عام ومن بقايا الفخار الذي وجد لم يعثر الباحثون في مركز حضارتها على آثار للموتى والغالب أنهم قد دفنوا في مكان بعيد .

نجد أنه لقيمت بالقرب من شواطئ لبحيرة حيث، بنى سكانها أكواخاً من القصب وحضروا المخازن تحت الأرض في الأجزاء المرتفعة. وقد وجد في تلك المخازن بقايا القمح والشعير والحنطة المدججة، ومن عظام للحيوانات المستأنسة عرفت الأغنام والماعز إضافة إلى بعض الأنواع البرية مثل الفيل، والتمساح، وفرس البحر.

كذلك أضافوا إلى قائمة مواد الغذاء الأسماك المتوفرة بالبحيرة، ومع غيرها من مواد نباتية طبيعية، وفرت قاعدة غذاء متنوعة. وتشمل الأدوات المكتشفة للرؤوس،

والسهم، والخطاطيف العظمية، وشكلوا من الحجر المناجل والأدوات ورقية الشكل، والفؤوس، والرؤوس المدببة، وغيرها من الأدوات المصقولة. ومن مصنوعاتهم أيضاً السلال التي غطوا بها حفر تخزين الحبوب. أما فخار الفيوم فقد صنع من الصلصال الخشن وفيه من الأواني المصقولة أشكالاً متنوعة ذات قواعد مسطحة أو دائرية. ويعكس الفخار تقنية متطورة يعتقد أركل أنها وصلت إلى مصر من خارجها، ربما فلسطين، ويدعم رأيهِ بالإشارة إلى وجود الفؤوس المجوفة وأخرى مصقولة ضمن الأدوات المكتشفة. كذلك أشار البعض إلى أن لفروق قنوعية والتقنية بين المخلفات التي تعود إلى نهاية العصر الحجري القديم الأعلى (الفيوم ب) وبين مخلفات (الفيوم أ) كبيرة جداً مما يجعل احتمال التطور المحلي أمراً غير ممكن.

ويمكن تناول بعض لوليات هذا الفن فيما يلي :

### السلال والحصير والنسيج :

فقد عرفت حضارة الفيوم صناعة السلال Basketry، حيث عثر على سلال على شكل أطباق كبيرة وسعة، أو على شكل قوارب، كذلك عرفت صناعة نسيج الحصير الذي استخدم بكثرة في فرش وتبطين المقابر وحفرات تخزين الحبوب، وكانت الحصر تصنع عادة من القش أو من نبات الأسل أو السمار، وهو نبات له أوراق أسطوانية طويلة كانت تصلح لهذا الغرض بعد تجهيزها.

وعثر ضمن آثار حضارة الفيوم أيضاً على نوع بدائي خشن من نسيج الكتان، مما يفهم معه أن زراعة الكتان وعمليات تجهيزه للنسيج كانت معروفة أيضاً في ذلك الزمن المبكر. وهذا يؤدي إلى افتراض وجود المغازل Spindles أو الأنوال Looms بالرغم من عدم العثور على منها ضمن آثار تلك الحضارة.

وطوال تلك الفترة التي استغرقتها الحضارة القديمة تطورت عمليات نسج الكتان وتحسنت كثيراً ، نظراً لاستخدامه في صناعة الأردية والملابس ، وقد استخدمت جلود الحيوانات أيضاً في تلك الصناعة ، حيث تحسنت مهارة الفلاحين في تدعيم ودباغة الجلود زخايطها مع بعضها باستخدام إير مصنوعة من العظام ، ويدل ذلك على ما عثر عليه من آثار تلك الحضارة في منطقتي الفيوم والبدارى .

### أدوات الزينة :

عثر على أدوات مصنوعة من الأحجار الملونة المثقوبة وأنواع من الخرز الدائري المسطح المصنوع من الأصناف في آثار حضارة الفيوم والذي يدل على ما حدث من تطور وتحسين بصناعة أدوات الزينة والترف والعقود والأحزمة والمآزر المزينة بالخرز ، كما عثر على كثير من الصقون التي كانت تستخدم في طحن وسحق مواد التجميل التي كانت لا تخلو منها مقابر نوى الشان من القوم ، وقد استخدم مسحوق معدن " الملكيت الأخضر " ( أى كبرونات النحاس القاعدية ) لتجميل العيون وتلوين الاواني وقد شاع استخدام هذه الطريقة في الزينة والتجميل في جميع عصور ما قبل الأسرات بشكل عام .

### الأسلحة :

كانت الأسلحة والأدوات تصنع جميعها من الأحجار، وكان للحرايب تصنع من شظايا العظام أو حجر للصوان، كما ابتكروا شكلاً لعصا كانت تستخدم في صيد الطيور. وقد ظل استخدام هذه العصا ثابتاً طوال العصور المصرية القديمة التالية.

## الطعام والأواني الحجرية والفخارية

وكان الطعام متوفراً بكثرة في جميع فترات ومواقع تلك الحضارة، كما نـم استئناس الكلاب والماعز والأغنام والثيران والأوز في مناطق الجنوب اشمال، كما استؤنسـت الخنازير في المناطق الشمالية ، كما كذلك فقد كثرت عمليات صيد وقصص الحيوانات والأسماك والطيور، وأغلب الظن أن الحبوب كانت تغلى وتطهى في القدور كما كانت تطحن وتستخدم في صناعة الخبز.

وكانت أواني طبخ وتناول الطعام تصنع من الفخار ، وقد دلت الشواهد الأثرية على أن صناعة الأواني للفخارية كانت تتطور وتتحسن باطراد ، بأـ من الأواني والأوعية التي كانت تصنع من الطين والزهريرات التي كانت تصنع من الصلصال والتي عثر عليها ضمن آثار حضارة الفيوم .

إن عدم وجود مبان معمارية في الفيوم يعطي لتطباعاً بأن الإقامة الدائمة لم تكتمل بعد بالرغم من وجود المطاعمير التي تحفظ فيها للحبوب مع غيرها من شواهد أثرية دالة على حجم الإقامة وتراكم للقي فيه.

## ٢- مرمدة بني سلامة:

وهي تقع في نلتا نهر النيل و كانوا أهالى هذه المرمدة يقيمون مجتمعاتهم بالقرب من حواف وشطآن المستنقعات، وتحت حماية النباتات للكثيفة التي كانت تعمل كمصدات للهواء. كما عثر أيضا على مجموعة كبيرة من الاكواخ الواطئة للبيضاوية الشكل والتي بنيت من كتل الطين الجاف وفي كل منها كان يوجد اناء واسع الفم مثبت في الارض حيث كان يستخدم لتجميع مياه الامطار التي تتسلل خلال المقف المصنوع من القش. وكانوا ينفردون بطريقة فريدة للدفن حيث كانوا يدفنون موتاهم على الجانب الأيسر تحت أرضيات المساكن .



يُعد موقع مرميدة بنى ملامة دليلاً مبكراً على حياة الاستقرار للكامل في القرى على ضفاف وادي النيل. وهو موقع إقامة كبيرة مساحته ١٨,٠٠٠ متر مربع تقريباً وفيه رديم طبقات سكنية يبلغ سمكها نحو المترين، ويؤرخ الموقع للفترة ما بين ٥٢٠٠ و ٣٥٠٠ ق.م. ولوحظ أن فخار مرميدة ولوانها الحجرية تشبه إلى حد كبير ما وجد منها في الفيوم. يمكن الفرق في أن فخار مرميدة فيه زخارف أكثر تقاناً وجمالاً.

بدأت الإقامة في القرية بتشييد الأكواخ المتفرقة ثم ازدادت الكثافة السكانية في الطبقات العليا حيث نجد بناء الأكواخ ذات الجدران على ارتفاع مناسب فوق سطح الأرض. تبدو هذه الوحدات المعمارية صغيرة الحجم تكفي ربما لشخص واحد وهي تبنى على مجموعات وتلحق بها مخازن للحبوب عيارة عن جدران كبيرة أو سلال مدفونة تحت السطح. دفن سكان مرميدة موتاهم داخل موقع الإقامة التي قدر عدد أفرادها بالآلاف. ومن مواقع الإقامة الجديرة بالذكر ما نصب لثقافة العمري من عدد من المواقع والمقابر المنتشرة بين القاهرة وحلوان. وتعكس المباني المشيدة، وكمية النقي التي تحويها طبقات الرديم إقامة لفترة طويلة قتر زمنها بين ٤٢٠٠ و ٤١٠٠ ق.م.

أما إلى الجنوب من اللخا وأوسط مصر فقد وصف الأثريون عدداً من ثقافات المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث أطلقوا عليها مصطلح ثقافات ما قبل الأسر' ومن أشهرها البداري، وتاسا، ونقادة الأولى، ونقادة الثانية.

### ٣- حضارة البداري:

وهي قرية في الصعيد على الضفة الشرقية لنهر النيل وأهم ما يميز البداريون أنهم كانوا يؤمنون بالبعث (الحياة الثانية بعد الموت) وكانوا يلغون موتاهم بالحصير ويدفنونهم مع حيواناتهم المحببة أو بعض للتمثيل للحيوانات أو النعام أو الطيور.

كما عثر ضمن آثار حضارة البدارى على أدوات زينة واسلور مصنوعة من العاج ومن الأصداف، والتي تدل على أنها استخدمت بشكل شائع في هذا العصر ، كذلك فقد عُرف في هذا العصر كيفية استخراج الزيوت من النباتات العطرية البرية واستخدامها في تنظيف البشرة وتنعيمها، كما عرفوا لمشاط تسريح الشعر وصنعوها من العظام أو من العاج، وزينوها وزخرفوها بأشكال من أنواع الطيور والحيوانات.

وقد عثر على بعض هذه الأمشاط ضمن آثار حضارة البدارى، كما عثر على ألوانى خزفية زهرية ذات الجدران الرقيقة المتميزة والتي تتميز بأسطحها للخارجة المصقولة وذات الأسطح الحمراء التي انتشرت في حضارتى العمرة والبدارى، التي كان صانعوها يميلون إلى زخرفتها وتجميلها بزخارف مختلفة أغلبها خطوط أو لشكال هندسية بيضاء ينفثونها على أسطحها الخارجية السوداء أو المرفشة بألوان متعددة .

#### ٤- حضارة ناسا:

وهي في الصعيد على الضفة الشرقية لنهر النيل شمال قرية بداري وتعود إلى حوالي عام ٤٢٠٠ ق.م عثر فيها على الفؤوس والحداح وكؤوس على هيئة الزهر وأدوات زينة تكاد تقتصر على خرزات من صدف أو عظم أو عاج . وقد عثر بها أيضاً على ألوانى خزفية غير محروقة جيداً والتي عثر عليها ضمن آثار "دير ناسا".

#### ٥- حضارة نقادة الأولى (حضارة العمري):

وتقع في الصعيد على الشاطئ الغربي لنهر النيل ويرجع تاريخها إلى عام ٣٦٠٠ ق.م وكان سكان هذه الحضارة عرفوا اللين فيؤيدعون به جذران للقبور وكانوا يدعون مع الميت في قبره للطعم والشراب والمتاع وكانت هذه الحضارة الممهدة لوحدة الحضارة المصرية التي ظهرت على وجه الأرض .

تمكن أصحاب هذه الثقافات من استغلال المعادن لأول مرة، ومن ثم صنفت ثقافتهم في الطور الثقافي المسمى بالحصر الحجري الحديث (المعدني) كما تطورت مجتمعاتها إلى مستويات اقتصادية واجتماعية وفنية غير معهودة. وهي من ناحية أخرى تمثل المقدمة المنطقية لبزوغ الدولة المصرية القديمة، مع أن كثيرين يقولون بتسرب أفواج من سكان الصحراء أدى لامتزاجهم مع سكان النيل إلى تفاعلات ثقافية أثمرت عن قيام الدولة القديمة. ومهما يكن من أمر فإن أهل البدائي تركبوا تراثاً مادياً يعكس ثراء مستواهم الفني والاقتصادي. فالأواني الفخارية المصقولة تعد من أجمل ما عرف في مصر وفيه من الأنواع الرفيعة المزخرفة بأشكال نباتية رائعة. وتشمل الأواني الصحنون والأكواب الرفيعة والقنور وغيرها. دفن سكان البدائي للموتى في قبور خصصت لها مساحات خارج موقع الإقامة ووضعوا مع الميت بعض الأكلت والقطع الفنية. كذلك خصصوا القبور لدفن الحيوانات التي عاملوها بطريقة توحى بمعتقدات روحية محددة.

ومن مصنوعاتهم الحرفية اكتشفت الأواني الجميلة، والأدوات الحجرية، والسلال، والحصائر، والملابس الجلدية، والأغطية مما يشير إلى شيوع تقنية النسيج. ومن العناصر اللافتة للانتباه في ثقافتهم الإمكانات الفنية التي عكستها التماثيل الأدمية للصغيرة، والمصنوعات الحرفية الجميلة مثل الأمشاط، والملاعق المزخرفة بأشكال الحيوانات المنحوتة، إضافة للخرز، والأساور النحاسية، ومشغولات العاج.

لقد تركز وصفاً لثقافات ما قبل التاريخ في وادي النيل على أنماط الإقامة، وأحوال المناخ، واستغلال المولود الطبيعية، وما أنتجه الناس من أدوات حجرية، وفخار وغيرها من مصنوعات تعينهم في حياتهم اليومية. وفي مناطق أخرى من العالم القديم مثل أوروبا، أو الصحراء الكبرى، أو جنوب أفريقيا، على سبيل المثال، بشكل الفن

اليدائي بتعبيراته المختلفة جزءاً مهماً من التراث المادي الذي يضيف معلومات مهمة عن حياة مجتمعات ما قبل التاريخ. وبالتسعة لوادي النيل لم تترك القصور الصحيرية المنتشرة على طول الوادي حظها من الدراسة المفصلة، وربما يعود ذلك لأنفس من سبب أولها حداثة النسيبة إذ لم يكتشف شئ منها في مستوى قديم القرون الأوروبية لو الصحراء الكبرى. يضاف إلى ذلك صعوبة تأريخ ما وجد منها وربطه بالمواقع الأثرية في المنطقة.

## ٦- حضارة نقادة الثانية (حضارة حرزة):

عثر على العديد من الآثار التي تنتمي لهذه الفترة بمنطقة الجيزة وبعض مناطق الفيوم والتي من خلالها نستطيع استنباط مميزات وخصائص حضارة الجيزة التي تقع في الوجه للبحر، وبدراسة هذه الآثار ومخلفات أخرى لها نفس الخصائص والمميزات في بعض مناطق الوجه للقبلي، خصوصاً في مناطق الجبانة الواسعة في نقادة والبلاص بالقرب من قفط.

وتعتبر هذه الآثار الأخيرة تطوراً لآثار ومخلفات حضارة العمرة التي كانت سابقة من قبل في تلك المناطق ، وقد ظهر في عصر حضارة الحرزة أهم مميزات وخصائص الحضارة المصرية في عصر ما قبل الأمرات المبكر والتي أخذت تتطور بدورها حتى دخلت مصر في عصورها التاريخية بعصر الأسرات .

فقد تميزت الأولى الفخارية التي يرجع تاريخها إلى عصر تلك الحضارة بأن سبأ أيادي لحملها وتم زخرفتها بخطوط متموجة ، وهي مماثلة تماماً للأواني الفخارية التي عثر عليها في فلسطين، والتي يرجع تاريخها لنفس العصر تقريباً كما أن هذه الأولى الفخارية كانت ملونة باللون خزفية خفيفة يغلب عليها اللون الأحمر للقرنفل أو اللون الأصفر البرتقالي، ومزخرفة بخطوط حمراء.

أما لوحات الزخرفية التي كانت تنقش عادة على تلك الأواني فكانت تتضمن تلاماً مثلثة الشكل وطاقير الفلامنجو أو البشروش أو النحام (وهو طائر مائي طويل العنق والرجلين) ولوعول، والاشكال الأنمية، وكانت بعض تلك الأواني مزخرفة بتصميمات وأشكال برجح أنها تمثل أضرحة أو عروشاً أو شعاعات أو رموزاً خاصة ببعض الآلهة.

وقد عثر في منطقة الجبلين (وتقع على الشاطئ الغربي للذيل جنوب أرميت) على بقايا قطعة من القماش رسمت عليها مراكب توضح لنا نموذجاً لما كانت عليه طريقة تصميم وبناء السفن في تلك الفترة من عصر ما قبل التاريخ، حيث رسمت المراكب ومجاديفها ورجال النفة، كما رسمت أيضاً أشكال تمثل كبائن تعلو أسطح تلك المراكب.

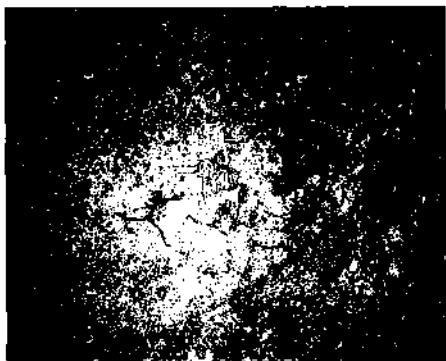
وقد تم اكتشاف الكثير من الأواني والزهرات الحجرية التي يرجع تاريخها إلى عصر حضارة الجزرة وربما يرجع ذلك لإختراعهم للمقاييس والذي جعل من عملية تعب وتجويف وتريغ الحجر عملية أقل صعوبة مما كان عليه من قبل.

كما وصلت عملية صقل وتنذيب حجر للصوان في هذا العصر لمستوى رفيع من النقة وهو ما يؤكد ما عثر عليه من نصال السكاكين ذات الحواف الرقيقة الحادة، والمحفورة بأشكال وخطوط متموجة. أما تقنية الطلاء الزجاجي للأواني فقد بدلت في عصر حضارة البداري بتزجيج بعض المصنوعات الصغيرة كحبات الخز، لما بعصر حضارة الجزرة فأصبحت طريقة التزجيج ذات طابع وتقنية فريدة، والتي احتلت مكانة مرموقة في الصناعة المصرية والمسمى بالخزف المصري ذو اليريق وقد زاد تتطور هذه التقنية طوال عصور التاريخ المصري القديم وحتى العصور الإسلامية.

ومن المرجح أن المواد التي كانت تستخدم في صناعة هذا الخزف قد ظهرت وتطورت صناعتها على أيدي الأهالي الذين كانوا يعيشون في مناطق الحدود الغربية للذيل. (بمدينة القسطاط لاحقاً)



شكل (١٦٨) جمال عربية وحيدة السنم وماشية رست على حائط صخري في السهل  
الصحراوي المرتفع في جبل إجون - كينيا



شكل (١٦٩) رسم بالالوان الزيتية على الصخر في تلال ماتويو - بزمبابوي



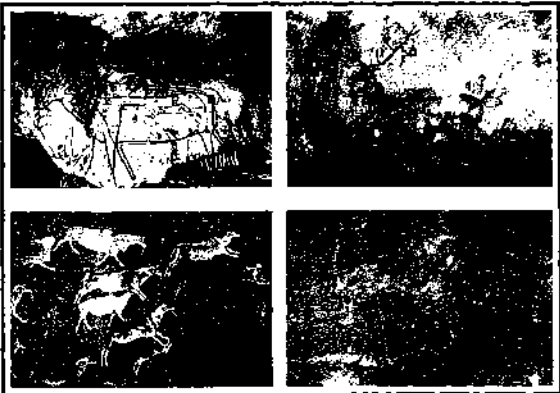
شكل (١٧٠) رسم صخري لشكل حصان في حالة حركة - وقد عثر عليه بكهف انيري  
بلاك بالنيجر



شكل (١٧١) نحت على الصخر في موقع في الهاوااء الطلق في نويفلوتتين بناميبيا

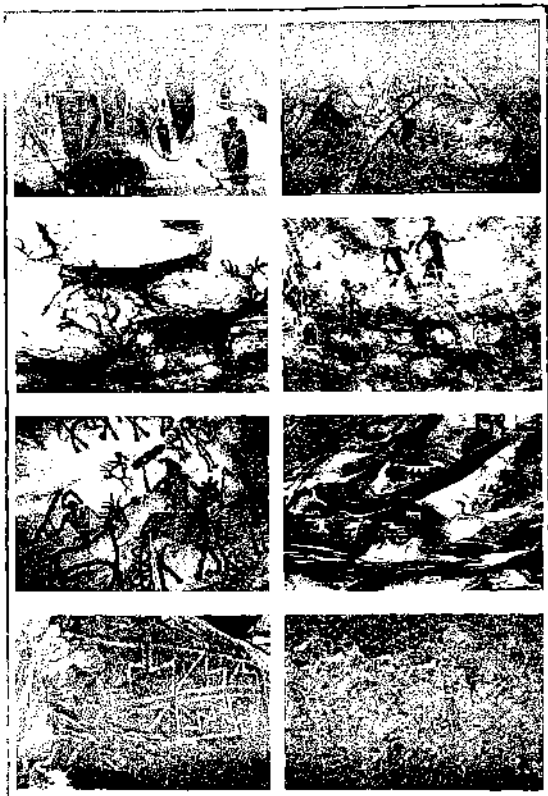


شكل (١٧٢) رسوم زيتية صخرية - ملي



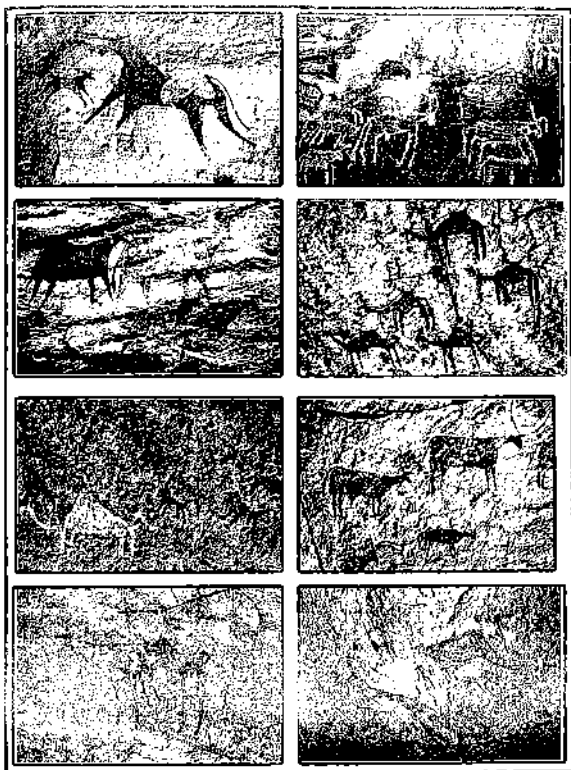
شكل (١٧٣)



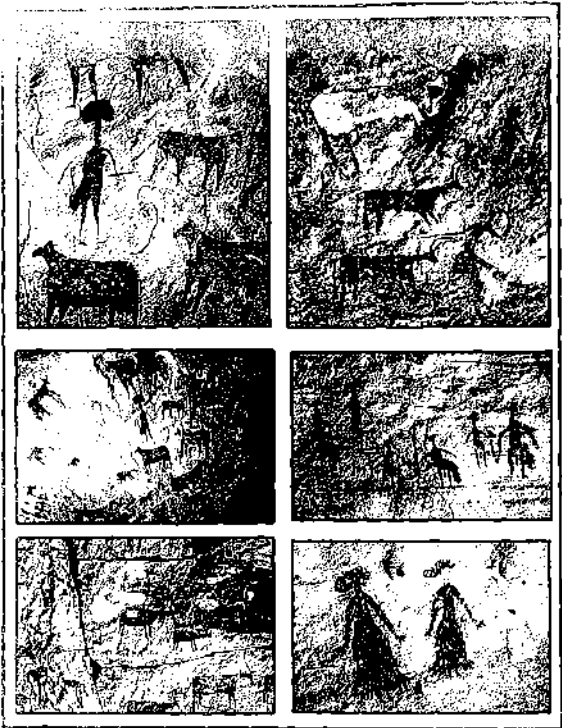


شكل (١٧١)

إنشكال (١٧٣ : ١٧٤) لمثلة من رسوم صخرية بأماكن أفريقية متفرقة



شکل (۱۷۵)



شكل (١٧٦)

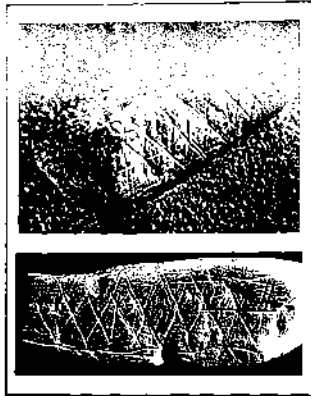
تشكال (١٧٥: ١٧٦) أمثلة للرسوم الصخرية التشادية التي تعبر عن الحيوانات المتعددة



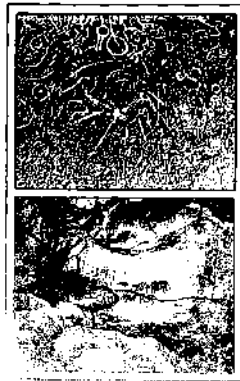
شكل (١٧٧) رسوم صخرية حيوانية وأدمية -جنوب إفريقيا



شكل (١٧٨) رسم بالألوان لرجال وحيوانات على قصير - بجبال دوكسنبيرج - نقاتل -جنوب إفريقيا



شكل (١٧٩) قطعتين من الصخر تم اكتشافهما بكهف Blombos بالقرب من الرأس الجنوبي من شاطئ المحيط الهندي ، ما يقرب من ٧٠٠ ميلا من مدينة كيب تاون ، جنوب أفريقيا. ويرجع تاريخهما لحوالي ٧٠٠٠ عام ق م.



شكل (١٨٠) مثلثين لرسم صخرية احدهما محفور والآخر ملون بالالوان الزيتية -جنوب افريقيا



شكل (١٨١) أ- صورة زيتية لأشكال حيوانية المصانية أنتجها قناصوا للعصر الحجري الحديث - منذ لأكثر من ١٠٠٠ علفى أوان ميلين فى تاسيلى ناچر



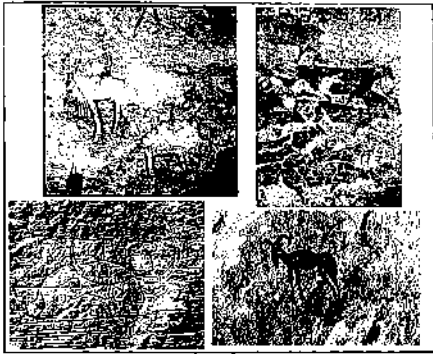
شكل (١٨٢) ب- تصوير زيتى على الصخر من إنتاج مجتمع من الجامعين الأوائل من تاسيلى ناچر - الجزائرو هو يبين شخصين يرتدى كل منهما قناعا على شكل عيش الغراب يخرج من أيدهما خط من النقاط يصل الى الرأس



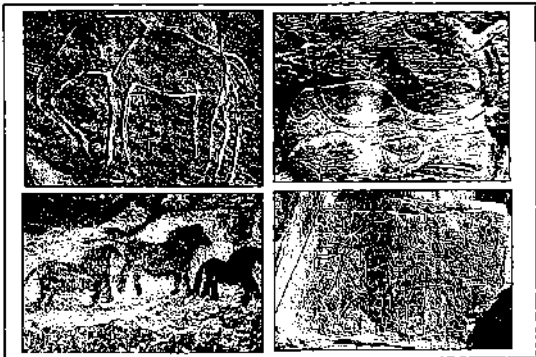
شكل (١٨٣) ج-رجل برأس ابن رسم صخري يمثل أوى أو كلب سيد يعود من رحلة صيد  
وحيد القرن على ظهر قمل - وادى ايمراوين فى هضبة ميساك بلبيبا



شكل (١٨٤) د- رسم توضيحي لرسوم صخرية خطية تعبر عن مشاهد لأسناناس  
الحيوانات - كهوف تاسيلي- لبيبا



شكل (١٨٥) أشكال لحيوانات مختلفة رسمت على جدران كهوف تاسيلي بالصحراء الكبرى



شكل (١٨٦) أشكال لحيوانات مختلفة رسمت على جدران كهوف تاسيلي بالصحراء الكبرى  
الكبرى النيبية





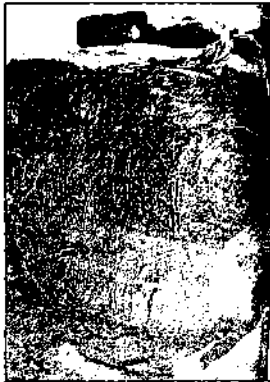
شكل (١٨٧) أمثلة للرسوم الخطية والملوئيت المرسومة بكهوف تاسيلي - بليبيبا



شكل (١٨٨) أمثلة للرسوم المرسومة القريبة بأسلوب السلويت بكهوف تاسيلي - بليبيبا



شكل (١٨٩) أمثلة للرسم المرسومة بأسلوب الملويت بكهوف تاسيلي - ليبيا



شكل (١٩٠) رسم صخري لقطيع من الزراف المتحرك على نتوء من موقع فن الصخر الثرى فى وادى ايساتفتن - بهضبة الميساك - ليبيا



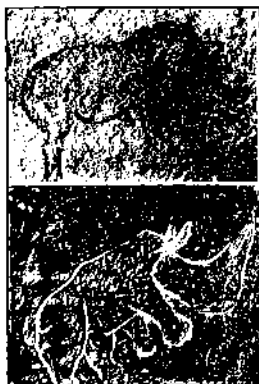
شكل (١٩١) رسم صخري لكيش لو قرون طويلة وقوية محاط باشكال غريبة مثل مخلوقات السمك الهلالي وحيوان غريب له أنف انسان على اليسار - كهف نى انزوميتك - الجزائر



شكل (١٩٢) رسم صخري محفور لرأس غزال مرسومة باسلوب واقعي وهو يدير رأسه للخلف عشر علوية بولاي بديس - بهضبة الميساك الليبية



شكل (١٩٣) رسم صخري محفور لشكل صغير رفيع الغزلة عثر عليه بوادي ايمرلويين  
- هضبة الميسك الليبية



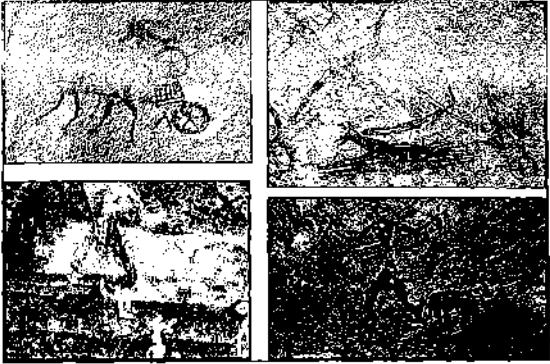
شكل (١٩٤) رسم صخري يظهر عن حيوان الخرتيت - تاسيلي - ليبيا



شكل (١٩٥) رسم على صخور جبل أكانوس بالصحراء الليبية



شكل (١٩٦) رسوم صخرية يكهوف ناسيلي ناجر بالصحراء الكبرى تجمع بين أشخاص وحيوانات رسمت بأسلوب السلويت والرسم الخطي



شكل (١٩٧) رسوم صخرية بكهوف تاسيلي تاجر بالصحراء الكبرى تجمع بين اشخاص وحيوانات رسمت بالملويث وفي حالة حركة متميزة



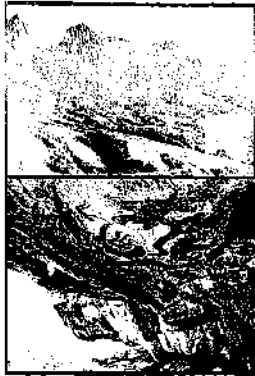
شكل (١٩٨) رسوم صخرية لاشكال بشرية ترتدى ملابس واقعة غريبة رسمت على جدران كهوف تاسيلي بالصحراء الكبرى



شكل (١٩٩) رسوم صخرية لأشكال بشرية ترتدى ملابس واقعة غريبة رسمت على جدران كهوف تامبيلي بالصحراء الكبرى



شكل (٢٠٠) رسوم صخرية لأشكال بشرية ترتدى ملابس واقعة غريبة رسمت على جدران كهوف تامبيلي بالصحراء الكبرى

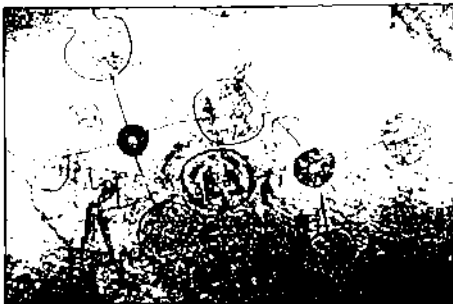


شكل (٢٠١) صور لمنطقة تاسيلي ناجر بالصحراء الكبرى والثرية بكهوف صخرية مزينة بأفضل رسوم الفنان البدائي بالعصر الحجري



شكل (٢٠٢) مجموعة من الكيول المرسومة فوق للصخر بجدران كهوف تاسيلي ناجر بالجزائر والتي تبدو كمثال رائع لوعي الفنان البدائي بجماليات الحركة وعلاقة الشكل بالارضية

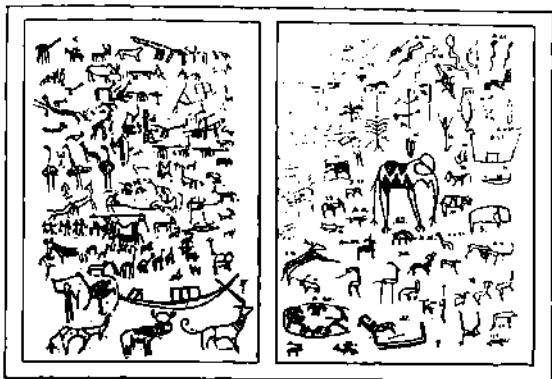




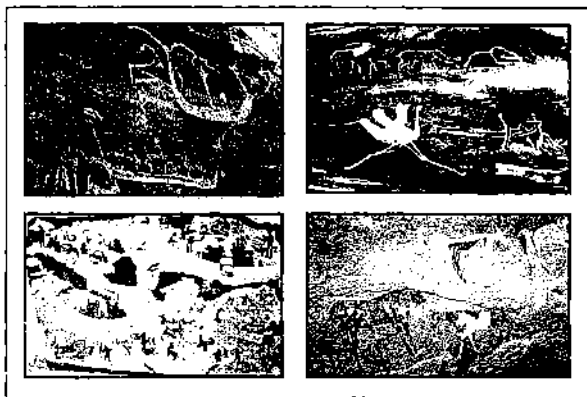
شكل (٢٠٣) مقطع من رسوم صخرية تعود إلى العصر الحجري وعثر عليها في تامبيلي تاجر بالجزائر بالصحراء الكبرى، ولوى بها نوعاً من شفرات المراوح تحلّق فوق رؤوس بشرية تنكرنا بالمراوح الكهربائية للدلالة لو يدوار طائرة الهليكوبتر



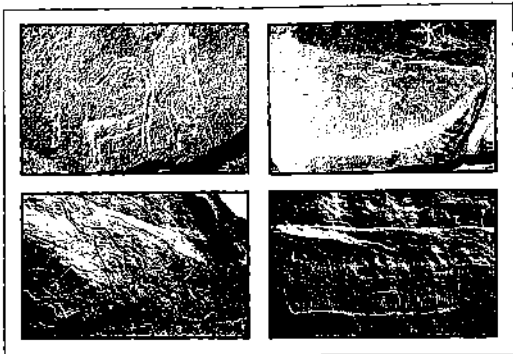
شكل (٢٠٤) نموذج للرسوم الصخرية التي عثر عليها بمنطقة تامبيلي تاجر" بليبيا وترجع للعصر الحجري، وقد أدرجت في قائمة اليونسكو للتراث العالمي الثقافي والطبيعي، ويلاحظ وجود شبه غريب بينها وبين الرسوم التي تمثل سكان المريخ في فنون الخيال العلمي للمعاصر ولذا أطلق الباحثون وعلماء الآثار عليها اسم "آلة المريخ"



شكل (٢٠٥) رسوم صخرية بصحراء الصعيد والنوبة



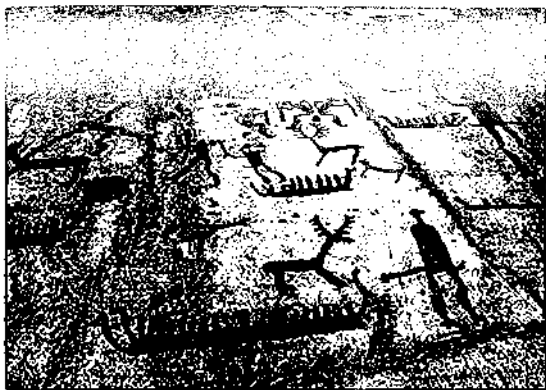
شكل (٢٠٦) أمثلة لرسوم صخرية لاشكال حيوانية وأمنية محفور على الصخور عثر عليها بصحراء صعيد مصر يرجع تاريخها للعصر الحجري



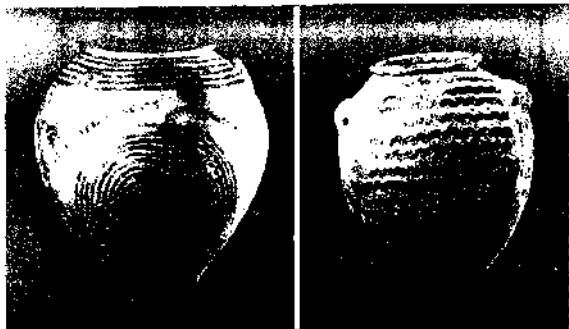
شكل (٢٠٧) أمثلة لرسوم صخرية محفور على الصخور بصعيد مصر يرجع تاريخها  
للعصر الحجري



شكل (٢٠٨) صور لجدار صخري مرسوم بحفر غائر بصحراء صعيد مصر يرجع تاريخه  
للعصر الحجري



شكل (٢٠٩) مثلون لرسم صخرية احدهما مجفور والآخر ملون بالالوان الزيتية - السودان



شکل (۲۱۰)

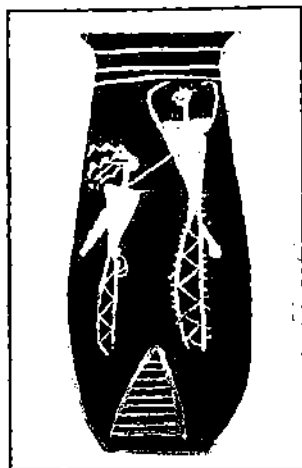


شکل (۲۱۱)

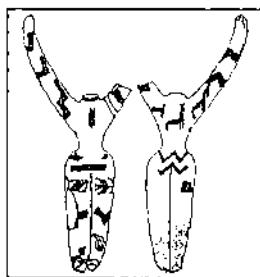


شكل (٢١٢)

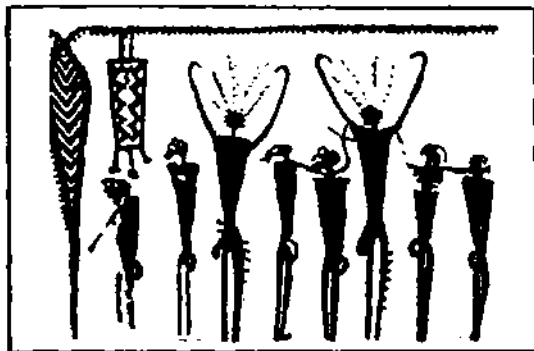
أشكال (٢٠٨ : ٢١٠) أواني خزفية فخارية - حضارة العمرة و جرزة



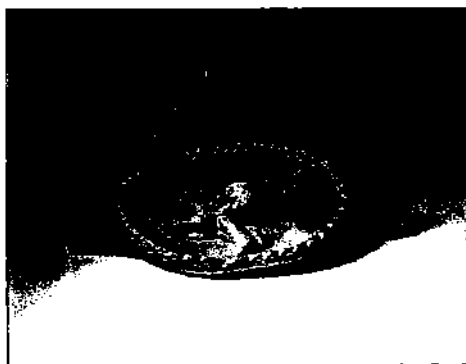
شكل (٢١٣) اثناء خزفي مزخرف بالمشكال آدمية - يرجع تاريخه لحضارة نقادة الاولى



شكل (٢١٤) رسم توضيحي لتعتال نحى من الصلصال على شكل امراة ومزخرف بزخارف هندسية يرجع تاريخه لحضارة نقادة الاولى

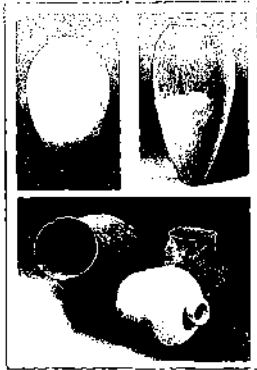


شكل (٢١٥) رسوم لأشخاص تظهر أسلوب الرسم المتميز بحضارة نقادة الأولى

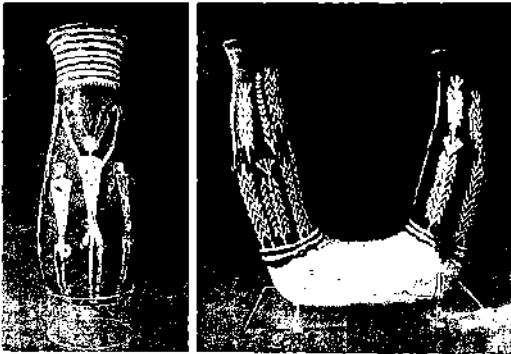


شكل (٢١٦) نحت خزفي من الفخار على شكل إناء يحتوى شكل أنمي يرجع تاريخه لحضارة نقادة الأولى بمصر





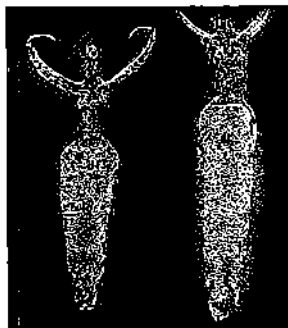
شكل (٢١٧) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الاولى



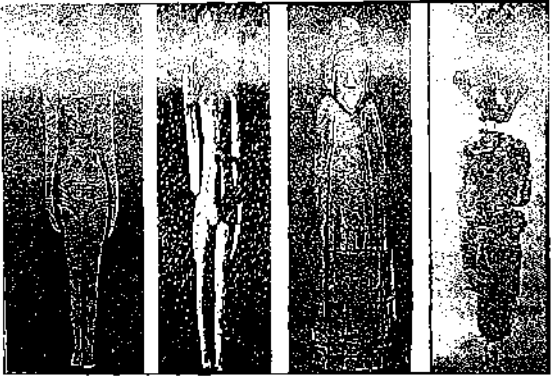
شكل (٢١٨) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الاولى



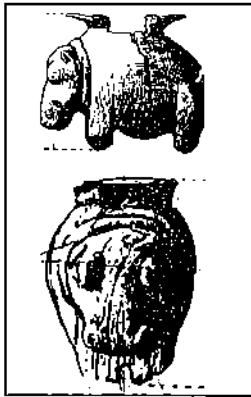
شكل (٢١٩) نماذج من اعمال خزفية فخارية مزخرفى بخطوط واشكال هندسية - عصر حضارة نقادة الاولى



شكل (٢٢٠) نماذج من اعمال نحتية - عصر حضارة نقادة الاولى



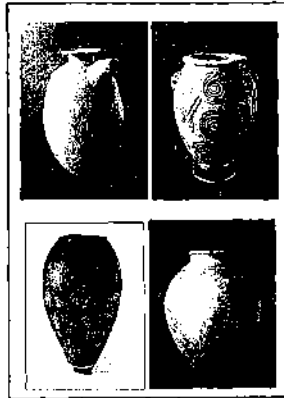
شكل (٢٢١) نماذج من اعمال نحتية - عصر حضارة نقادة الاولى



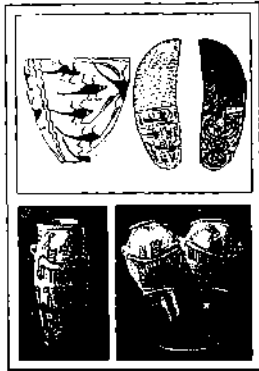
شكل (٢٢٢) نموذج لاجزاء منحوت من العاج على شكل حيوان - فرس النهر عصر حضارة نقادة الاولى



شكل (٢٢٣) تمثال لامرأة يرجع تاريخه لعصر حضارة نقادة الثانية



شكل (٢٢٤) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الثانية



شكل (٢٢٥) نماذج من اعمال خزفية فخارية - عصر حضارة نقادة الثانية



شكل (٢٢٦) نماذج من اعمال خزفية فخارية مزخرفي بخطوط وأشكال هندسية - عصر حضارة نقادة الثانية

## بدايات الفن بأسيا

تعتبر قارة آسيا مبعث الحضارات القديمة حيث شهدت عدة حضارات عبر تاريخها الموعغل في القدم، وكلها مستقلة عن بعضها. فلفد أظهرت الحفريات أن الإنسان Homo sapiens عاش بأسيا منذ آلاف السنين. وهذا ما تشير إليه حفرياتجمجمة إنسان بكين التي وجدت قرب منطقة "بيجنج" بالصين وحفرياتجمجمة إنسان جاوة بجزيرة "جاوة" في إندونيسيا وعمرهما يرجع إلي ٥٠٠ ألف سنة.

أقدم حضارة عرفت قامت في الوديان الكري حول أنهار في جنوب غرب آسيا وشمال غرب الهند وشمال للصين ورغم تعدد هذه الحضارات لكن سماتها الحضارية واحدة، فكلها كانت مجتمعات زراعية قامت بتنظيم نظم الري وترويض الفيضانات وغازات البدو جعلت هذه المجتمعات تعيش في مدن مبنورة للدفاع وتوفر الحماية للقواد الإورستقراطيين. وكان لإختراع المحراث سنة ٣٠٠٠ق.م. ضاعف محصولية الزراعة وقلل الحاجة للأيدي العاملة وجعلت العمال إلي عمال مهنيين. ولوفرة الإنتاج في الزراعة وللصناعة جعلت هذه المجتمعات تلجأ لتبادل السلع مع الثقافات الأخرى.

ظهرت حضارة متطورة بالهند منذ ٢٣٠٠ق.م. بوادي الهندوس ( السند ) في شمال غرب لهند وجنوب باكستان. فكما حدث في بلاد ما بين النهرين شق الهنود القنوات للري وتضاعفت المحاصيل وتكونت النظم السياسية والإجتماعية، وظهرت المدن وأهمها مدينتا موهنجو دالرو وهرابا وكانتا شوارعهما مستقيمة وبها مياه للشرب بالصنابير. وكان شعب

وادي السند يستخدمون العربات المزودة بالمجلات ويتجسسون المجوهرات والشمي وكان لهم لغتهم المكتوبة. وكانت الهند تتبادل القطن والمنسوجات مع بلاد ما بين النهرين. وخلال عامي ١٥٠٠ ق.م. و ١٢٠٠ ق.م. داهتموجات من وسط آسيا منطقة السند ومعهم عرباتهم التي كان بجرها الخيول وخربوا المدن هناك واستقروا أخيرا بوادي نهر الجانجيز بشمال شرق الهند. وكانوا يتكلمون لغة هندو إيرانية قديمة Old Indo-Aryan وهي أقدم لغائهم الموجودة (المسكريتية). ومنذ ٩٠٠ ق.م. وحتى ٥٠٠ ق.م. قام هؤلاء المستوطنون بإنشاء المدن المستقلة مدن ولايات city-states ( وكانت كل ولاية تحكم حكما مطلقا. وكانت للقبول للري للزراعة قد شقوها وزرعوا الأرض الذي جلبوه من جنوب شرق آسيا.

في الصين قامت حضارة حوض نهر (هوانج هي) الذي يعرف بالنهر الأصفر ما بين سنتي ٣٠٠٠ ق.م. و ٦٠٠ ق.م. وكان يضم مجتمعات زراعية كبيرة وكان أهلها يربون دود القز (الحرير) ويغزلون خيوطه وينسجونها . وكانوا يتاجرون في الحرير بواسطة قوافل الجمال عبر وسط آسيا. ورغم أن المجتمع الصيني كان متقما ام يترك الصينيون سجلات مكتوبة حتى القرن ١٦ ق. م.وفي عهد مملكة زو Zhou الإقطاعي بالقرن ١١ ق.م. بسطت نفوذها علي مناطق بشمال شرق الصين حاليا وعلي حوض نهر يانجزي Yangtze والذي به أكبر كثافة سكانية بالعالم حاليا . وكانت زهو تستعمل الأسلحة الحديدية وشفا لطرق وتوسعت في نظم الري. وظهرت القوانين والفلسفة الكونفوشية Confucianism في هذا العهد. وبدأت الحضارات المبكرة تنمو وتتفاعل لمدة ١١ قرت ما بين عامي

٥٠٠ ق.م. وحتى ٦٠٠ م. حيث اخذت الدول تتوسع لتبسط نفوذها وتوسع دائرتها كما فعل الفرس والإغريق. وخلال هذه الحقبة للإنصال والهجرة بين الشعوب إنتشرت الديانات الكبرى والفلسفات خارج منابها.

في سنة ٣٠٠ ق.م. هزم الإسكندر الأكبر الفرس وكون إمبراطورية إغريقية إمتدت من اليونان حتي الهند وبعد وفاته بسالحي عام ٣٢٣ ق.م. قسمت إمبراطوريته لثلاث ممالك وقام ملوكها الإغريق بإدخال الثقافة الإغريقية. وكانت المملكة الآسيوية الإغريقية قد إنقسمت لعدة ولايات . من بينها ولاية بكتريا التي سيطرت علي التجارة وطرقها من الشرق للغرب ومن الشمال للجنوب حيث كان تبادل السلع بينهم. فكان للحريز الصيني والقطن الهندي يرسل لليونان و روما ومنهما كان يرسل لآسيا لزجاج والذهب والمصنوعات الأخرى. وكانت الثقافة الإغريقية قد وصلت لبكتريا أولا ورغم غزو البدو الكوشيين لها تكن الثقافة الهيلينية ظلت باقية . وكانت اللغة الهيلينية في القرن الأول م. لغة المال والتجارة والديبلوماسية .بعد ذلك دخلت الثقافة الإغريقية والرومانية غرب آسيا ولاسيما في القرن الرابع م. حيث قامت الإمبراطورية البيزنطية.

شمال الهند غزاها الفرس والإسكندر وهاجمه الزعاة من آسيا الوسطى تأثرت الثقافة الهندية بتقافات الغزاة. ونجد أن البوذية والهندوسية قد أثرتا في الفلسفة الإغريقية. وفي شمال غرب الهند ظهر نموذج للنحت الإغريقي البوذي. وكان شائعا في القرن الثاني الميلادي. ولتبنى شمال الهند للبوذية استطاعت نشرها في آسيا الوسطى والصين. وفي سنة ٣٢٠ م ظهرت العمارة الهندية أيام حكم إمبراطورية جويتا في وادي الجنجيز ورغم سقوطها



في القرن الرابع م. إلا أنها خلفت حضارتها حيث بلغت أوجها في العمارة والفن.

منذ سنة ٢٠٦ ق.م. وحتى ٢٠٠م، كان أباطرة عهد هان بالصين لديهم طموحاتهم، فقد بنوا نقاط مراقبة حصينة بالشمال فوق سور الصين العظيم وحواف الصحراء لحماية طرق للقوافل التجارية الطويلة من غارات البدو. كان التجار العرب والفرس والهنود انوا يزورون عاصمة الهان بالصين. وفي عام ١٩٥ ق.م. اجتثت دولة هان أجزاء من شمال كوريا وأدخلت بها الثقافة الصينية. وبالجانب دخلت ثقافة الصين فيتنام التي كان قد إحتلها الصينيون لمدة ١٠٠٠ عام. وكانت حضارة هان قد شهدت تطورا في صناعة الفخار والتمائيل والرسم والموسيقى و الأدب للصيني ولاسيما بعد إختراع الصينيين .

أما بلاد ما بين النهرين(نهر دجلة والفرات ) بالعراق وشرق سورياوإثني يطلق عليها مهد الحضارة بآسيا حيث كانت سومر لها ثقافتها منذ أكثر من ٣٠٠٠ ق.م. فلقد قام السومريون بالري عن طريق القنوات واستعملوا البرونز وصنعوا آلاتهم من الحجر المصقول والفخار المشوي المصنوع بالعجلة والمنسوجات وبنوا المعابد والقصور ورحلوا على عربات لها عجل وأبحروا بالمراكب. وكان لهم تقويمهم الدقيق حيث عرفوا من خلاله الفصول واخترعوا الكتابة المسمارية التي أصبحت كتابة عالمية. وعبدوا الشمس وكان لهم قانونهم المكتوب. وظلت بلاد ما بين النهرين موئلا للحضارة حتى القرن السادس ق.م. وهناك كانت بابل التي حكمها الكلدان من القرن السابع ق.م. وحتى القرن السادس ق.م. وقد إستولي عليها الآشوريون

الذين كانوا جيران بالشمال، منذ القرن التاسع حتي القرن السابع ق.م. وفي القرن السادس أصبحت هذه البلدان تخضع للفرس والذين كانوا لهم حضارة عرفت بحضارة الفرس بإيران ولاهمية هتين الحضارتان وتُميَّز فنزهما يمكن ان نتاولهما بالتفصيل فيما يلي :

## بدايات الفن في العراق

بدأ فجر الحضارة في العراق بحود سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد وانتهى بالحقبة الزمنية التي ابتدع فيها الإنسان العراقي الكتابة لأول مرة في تاريخ الإنسانية في الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد. وإن نشوء الحضارة الناضجة في بلاد الرافدين قد سار بخطوات ثابتة وعلى مراحل وبأطوار متعاقبة. عرفت تلك الأطوار في العراق للمختصين المحدثين بأسماء المدن والقرى والمواقع التي ظهرت فيها لأول مرة، ومدن الطور الأقدم هي: (حسونة) ثم (سامراء) و (حلف) و (العبيد) و (الوركاء) و أخيراً (جمدة نصر).

لقد شهد العراق خلال هذه الأطوار لتساع الزراعة و بداية الحياة الحضارية و نشوء أولى المدن، وعرف بناء الحضارة أيضا فن التعدين وابتدعوا دولا ب الخزاف وصنعوا الأجر الفخار والعربة ذات العجلة وكذلك المحراث فضلا عن السفن الشراعية. وعرف في أوائل تلك الأطوار أيضا فن النحت، وظهرت كذلك المبانى العامة كالمعابد حيث كثرت وازدادت أهميتها منذ طور (العبيد). وعرف طور الوركاء (٣٥٠٠ ق.م.) بالعهد

الشبيه بالكتابي، ومن المعروف أن الكتابة قد أرسيت قواعدها تماما خلال  
الطور الذي أعقبه وهو (جمدة نصر) في حدود سنة ٣٠٠٠ ق.م.

### أ - عصر فجر السلالات :

ثم بدأ عصر فجر السلالات في العراق في حوالي سنة ٥٠٠٠ ق  
م. واستمر لمدة ستة قرون والذي يعرف أيضا بالعصر السومري القديم أو  
بعصر دويلات المدن حيث لم تتوحد البلاد بعد تحت مظلة كبيرة واحدة،  
ويقسم العلماء هذه الحقبة الزمنية من تاريخ العراق إلى ثلاثة عصور هي  
على التوالي :

- فجر السلالات الأول.

- فجر السلالات الثاني.

- فجر السلالات الثالث.

من الأمور المتفق عليها بين غالبية العلماء المختصين في العصر  
الحاضر أن السومريين هم سكان العراق الأصليين، وأنهم الذين كانوا  
يعرفون بأصحاب حضارة العبيد في وسط وجنوب العراق وكانت أراضيهم  
تعتد جنوبا إلى جزيرة نلمون (البحرين) في العصر الحاضر قبل أن ترتفع  
مناصب للخليج العربي ليصل إلى حدوده الحالية. ولغة السومريين، وهم  
أصحاب أقدم حضارة أصيلة متطورة في العالم، من اللغات التي تعرف  
بالملتصقة Agglutinative. من خصائص الإصااق فيها أنه كثيرا ما يدمج  
مفردتين لتصبحا كلمة واحدة يستند معناها إلى معاني الكلمات الداخلة في  
تركيبها، مثل (لوكال) أي الملك المكونة من (لو) أي ارجل و (كال) أي  
العظيم، و (إي-كال) تعني القصر أو الهيكل مكونة من كلمة (إي) وهي

البيت و(كال) العظيم. ثم أن للجمل فيها تتألف أيضا بطريقة إلصاق الضعائير والأدوات إلى جذر الفعل بحيث يصير الجميع كلمة واحدة. لقد قسم علماء الآثار عصر فجر السلالات إلى ثلاثة أطوار و لكل من هذه الأطوار الثلاثة خصائصها المميزة. ومع ذلك يمكن القول عموما بأن فن العمارة قد قطع شأوا بعيدا في هذا العصر وبخاصة في بناء القصور والمعابد فظهرت للعيون لأول مرة في البناء وكذلك القبوات كوميثلة في التسقيف. وتقدم فن التعدين وسبك المعادن، وقطع فن النحت شأوا بعيدا من التقدم. لقد نضجت الكتابة وانتشر استعمالها في العصر السومري فنوت بها في عصر فجر السلالات السجلات الرسمية وأعمال الملوك والأمراء وعلاقاتهم بغيرهم من الحكام. وكذلك شؤون الناس العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير فضلا عن الشؤون الدينية والعبادات.

## ب - الحكم الأكدي :

انتهى عهد فجر السلالات بقيام سرجون الأكدي (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م.) بتوحيد العراق في مملكة واحدة. كان سرجون من الأكديين وهم فرع من الأقوام التي نزلت من الوطن الأم شبه جزيرة العرب إلى العراق ربما في لوفل الألف الثالث قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل. وليس من المستبعد أن الأكديين قد عاشوا جنبا إلى جنب مع السومريين منذ أقدم العصور وعرف القسم الأوسط والجنوبي من العراق منذ ذلك الزمن باسم بلاد (سومر وأكد). حكم مؤسس السلالة الأكدي سرجون خمسة وخمسين عاما أدخل خلالها الكثير من الإصلاحات على نظام الحكم والجيش بما في ذلك تطوير

لصالح الحرب والسلاح، وكذلك حصل تقدم عظيم في العمارة والفنون  
بعمامة التي تميزت في العصر الأكدي بالقوة والحيوية والحركة. ويعد (نرام  
- سين) أقوى ملوك السلالة الأكديّة الذي حكم زهاء أربعين عاما.

عم الاضطراب في المملكة أواخر العهد الأكدي، فقد حكم بعد نرام  
- سين ملوك ضعاف مما شجع الأقوام الجبلية وهم الكوتيون، الذين عرفوا  
في النصوص المسمارية القديمة بأعداء الآلهة، على غزو بلاد (سومر  
وأكد)، إن حكمهم الذي دام حوالي مائة سنة كان عهدا مظلما كانت أن  
تقطع فيه عنا أخبار العراق القديم، وقد عوض عن ذلك ازدهار الحضارة  
في جنوبي العراق وبخاصة في مدينة (لكش) وما يجاورها. وقد اشتهر من  
بين الأمراء السومريين في أواخر هذا العهد أمير أو ملك اسمه (جوبية)  
الذي عرف بتمثيله الكثيرة التي وصلتنا والذي عمل على إحياء الأدب  
السومرية وتشيد الحديد من المعابد الفخمة.

### ج - الحكم السومري :

نارت على الكوتيين مدينة (الوركاء) بقيادة أميرها السومري (لوتو  
- حيكال) الذي لقّب نفسه بملك (سومر وأكد) وأهاب بأهل البلاد لحرب  
للطغاة الأجانب، فالتفت حوله المدن وتمكن من القضاء على جموع الكوتيين  
الكبيرة وخلص البلاد منهم.

انتقل الحكم السومري بعد ذلك إلى مدينة (أور) وتكونت فيها سلالة  
عرفت بسلالة (أور الثالثة) أسسها الملك (أور - نمو) الذي تعد أيامه من  
عهود للعراق المجيدة وآخر عهد في حياة السومريين السياسية لقد استطاع  
ملوك هذه السلالة الخمسة أن يعيدوا إنشاء إمبراطورية واسعة على غرار

الإمبراطورية الأكديّة شملت جزءاً كبيراً من أقاليم الشرق الأدنى. وانتشرت مع التجارة والفتوح حضارة العراق القديم تماماً كما كان عليه الحال في العصر الأكدي. لقد اشتهر ملوك هذه السلالة بأعمالهم العمرانيّة الفدّة وامتازت دولتهم بالتنظيم وحسن الإدارة في الداخل والخارج وأصبحت العاصمة (أور) في زمنهم قبلة الشرق للقديم ليس من النواحي العمرانيّة والفنية والاقتصاديّة فحسب بل إنهم سنّوا الشرائع بحسب العرف الاجتماعي وخذوا الشؤون القضائيّة في البلاد.

#### د - العصر البابلي القديم :

وفي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد قامت في العراق أسرة حاكمة جديدة عرفت بسلالة بابل الأولى والتي اشتهرت بملكها السادس حمورابي (٢١٢٣ - ٢٠٨١ ق.م) الذي جمعت في شخصه خصالاً فدّة جعلت منه القائد السياسي والمصلح والمشرع فاستطاع بهذه الخصال أن يوحّد البلاد. ثم وقعت حرب ضروس بينه وبين الدخلاء الهلاميين أظهر خلالها حمورابي من حسن التدبير والحزم ما مكّنه من تمزيق جموعهم شر ممزق. ومدّ فتوحه بعد ذلك إلى شمالي بلاد الرافدين وإلى جهات الهلال الخصيب الأخرى. ومن أعماله المهمة سنّ شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء المملكة عرفت بقانون حمورابي لاني تعد من أولى الشرائع المتكاملة في العالم حيث تجمع بين للقانونيين للمدني والعقوبات فضلاً عن الأحوال للشخصيّة.

ويعتبر حمورابي (٢١٢٣ - ٢٠٨١ ق.م) الفاتح للمشرع الذي دام حكمه ثلاثاً و أربعين سنة. ومن خلال الأختام والنقوش البدائيّة وبعض

التصاوير، فمستطيع في ضوءها أن نتخيله شاباً يفيض حماسة وعبقرية، ذو عاصفة هرجاء في الحرب، بقلم أطافر الفن ويقطع أوصل الأعداء، ويسير في شعاب الجبال الوعرة، ولا يخسر في حياته واقعة؛ وحشد المدويلات المتحاربة المنتشرة في الوادي الأدنى، ونشر لواء السلام على ربوعها وأقام فيها منار الأمن والنظام بفضل كتاب قوانينه للتاريخي العظيم.

وقد كُشف فنون حمورابي في أنقاض مدينة السوس في عام ١٩٠٢م. ووجد هنا القانون منقوشاً نقشاً جميلاً على اسطوانة من حجر الديوريت نقلت من بابل إلى عيلام (حوالي عام ١١٠٠ ق.م) فيما نقل من مغانم الحرب، وقيل عن هذه الشرائع أنها منزلة من السماء.

القوانين التي تعهد لها استمدت أصولها من قوانين سومرية مضى عليها ستة آلاف عام. وهذا الأصل القديم مضافاً إلى الظروف التي كانت تسود بابل وقتئذ هي التي جعلت قانون حمورابي شريعة مركبة غير متجانسة. فهي تفتتح بحية الآلهة، ولكنها لا تحفل بها بعدئذ في ذلك التشريع الدستوري البعيد كل البعد عن الصبغة الدينية. وهي تمزج أرقى القوانين وأعظمها استتارة بأقصى العقوبات وأشدّها وحشية، وتضع قانون النفس بالنفس وللتحكيم الإلهي إلى جانب الإجراءات القضائية المحكمة والعمل للحصيف على الحد من استبداد الأزواج بزوجاتهم. على أن هذه القوانين البالغة عددها ٢٨٥ قانوناً، والتي رتبها بكد يكون هو الترتيب العلمي للحديث، فقسمت إلى قوانين خاصة بالأحكام المنقولة، وبالأحكام العقارية، وبالتجارة، والصناعة، والأسرة، وبالأضرار الجسمية، وبالعمل؛ نقول إن هذه القوانين تكون في مجموعها شريعة أكثر رقياً وأكثر تمدناً من شريعة آشور التي وضعت بعد أكثر من ألف عام من ذلك الوقت، وهي من وجوه عدة " لا تقل رقياً عن شريعة أية دولة أوربية حديثة "

وقالَ أن يجد الإنسان في تاريخ الشرائع كلها ألفاظاً أرق وأجمل من  
الألفاظ التي يختصم بها البابلي العظيم شريعته:

"إن الشرائع العادلة التي رفع منارها الملك الحكيم حمورابي والتي  
أقام بها في الأرض دعائم ثابتة وحكومة طاهرة صالحة... أنا الحاكم الحفيظ  
الأمين عليها، في قلبي حملت أهل أرض سومر وأكد... وبحكمتي فيسندتهم،  
حتى لا يظلم الأقياء الضعفاء، وحتى ينال العدالة اليتيم والأرملة... فليأت  
أي إنسان مظلوم له قضية أمام صورتي أنا ملك العدالة، ليقرأ النقش الذي  
على أنثري، وليلق باله إلى كلماتي الخطيرة! ولعل أنثري هذا يكون هادياً له  
في قضيته، ولعله يفهم منه حالته! ولعله يريح قلبه (فينادي): "حقاً إن  
حمورابي حاكم كالوالد الحق لشعبه... لقد جاء بالرخاء إلى شعبه مدى  
الدهر كله، وأقام في الأرض حكومة طاهرة صالحة... ولعل الملك الذي  
يكون في الأرض فيما بعد وفي المستقبل يرعى ألفاظ العدالة التي نقشتها  
على أنثري!"

ولم يكن هذا التشريع الجامع إلا عملاً واحداً من أعمال حمورابي  
الكثيرة، فلقد أمر بحفر قناة كبيرة بين كش والخليج الفارسي أرونت مساحات  
واسعة من الأراضي، ووكّفت المدن الجنوبية ما كان ينتابها بسبب فيضانات  
نهر دجلة المخربة، ولقد وصل إلينا من عهده نقش آخر يفخر فيه بأنه  
أجرى في البلاد للماء (تلك المادة القيمة التي لا نقدرها اليوم والتي كانت في  
الأيام الماضية إحدى مواد الترف)، ونشر الأمن والحكم الصالح بين كثير  
من القبائل. وأنا لستمع من ثانيا هذا النقش ومن بين عبارات الفخر (وهو  
خلة شريفة من خلال الشرقيين) صوت الحاكم الماهر والسياسي الفدير.



لما وهب لي أنو وتليل (إلهما أرك ونبور) بلاد سومر وأكد لأحكامها، ووضعها في يدي هذا الصولجان، حفرت قناة حمورابي- نخوش- ميشي (حمورابي المفيض- على- الشعب) التي تحمل الماء للفيير لأرض سومر وأكد. وحولت شاطئها الممتدين على كلا الجانبين إلى أراضي زراعية؛ وجمعت كداساً من الحب، وسيرت الماء الذي لا ينضب إلى الأرضين، وجمعت الأهلين المشتتين، وهأت لهم المرعى والماء وأسكنتهم بالمراعي للموفرة وأسكنتهم مساكن آمنة

وبلغ من حنق حمورابي أن خلع على سلطانه خلعة من رضاء الآلهة بالرغم من أن قوانينها كانت تمتاز بصيغتها الدينية غير الدينية. من ذلك أنه شاد المعابد كما شاد القلاع، واسترضى الكهنة بأن أقام لمربوك وزوجته ( إلهي البلاد القوميين) في مدينة بابل هيكلاً ضخماً ومخزناً واسعاً ليوخزن فيه القمح للإلهين والكهنة. وكانت هاتان الهيئتان وأمثالهما في واقع الأمر بمثابة مال يستثمر أبرع استثمار، جنى منه ربحاً وفيراً هو الطاعة الممتزجة بالرهية التي يقدمها إليه للشعب.

واستخدم ما حصل عليه من الضرائب في تدعيم سلطان القانون والنظام، واستخدم ما تبقى بعد ذلك في تجميل عاصمة ملكه، فأنشأت القصور والهيكل في جميع نواحيها، وأقيم جسر على نهر الفرات حتى تمتد المدينة على كلتا ضفتيه، وأخذت السفن التي لا يقل بحارتها عن تسعين رجلاً تمخر عباب النهر صاعدة فيه ونازلة، وأضحت بابل قبل ميلاد المسيح بألفي عام من أغنى البلاد التي شهدتها تاريخ العالم قديمه وحديثه.

وكان البابليون ساميين في مظهرهم سود الشعر سمر البشرة، رجالهم ملتحمون، ويضعون على رؤوسهم أحياناً شعراً مستعاراً وكانوا رجالاً ونساء على السواء يطيلون شعر رؤوسهم، وحتى الرجال كانوا أحياناً يرسلون شعرهم في صفاثر تنوس على أكتافهم، وكثيراً ما كان رجالهم ونساءهم يتعطرون. وكان ثياب الجنسيتين المألوف مثزراً من نسيج الكتان الأبيض يغطي للجسم حتى القدمين، ويترك إحدى كتفي المرأة عارياً، ويزيد عليه الرجال دثاراً وعباءة، ولما زادت ثروة السكان تنشقوا حب الأسوان، فصبغوا أثوابهم باللون الأزرق فوق الأحمر أو بالأحمر فوق الأزرق، في صورة خطوط أو دوائر أو مربعات أو نقط.

ولم يكونوا كالمومريين حفاة الأقدام بل اتخذوا لهم أخفافاً ذات أشكال حسنة، وكان الذكور في عصر حمورابي يتعممون، وكان النساء يتزين بالقلائد والأساور والتعائم، ويحطين شعرهن المصفف بعقود من الخرز. وكان الرجال يمسكون في أيديهم عصياً نوات رؤوس منحوتة منقوشة، ويحملون في مناطقهم الأختام الجميلة الشكل التي كانوا ييصمون بها رسائلهم ووثائقهم. وكان كهنتهم يلبسون فوق رؤوسهم قلانس طويلة مخروطية الشكل ليخفوا بها صفتهم الألفية وزادت الثروة فأنجبت في بابل ما تنتج في سائر بلاد العالم. ذلك أن من السنن التاريخية التي تكاد تطبق على جميع العصور أن الثراء الذي يخلق المدنية هو نفسه الذي ينذر بانحلالها وسقوطها. فالثراء يبعث الفن كما يبعث الخمول؛ وهو يرقق أجسام الناس وطباعهم، ويمهد لهم طريق الدعة والنعيم والترف، ويغري أصحاب السواعد القوية والبطون الجائعة بغزو البلاد ذات الثراء.

## هـ - العصر البابلي الوسيط :

وكان على الحدود الشرقية لهذه الدولة الجديدة قبيلة قوية من أهل الجبال هي قبيلة الكاشيين تحسد للبابليين على ما أوتوا من ثروة ونعيم. فلم يمتص على موت حمورابي إلا ثمان سنين حتى اجتاحت رجالها دولته، وعاثوا في أرضها فساداً يسليون وينهبون، ثم ارتكوا عنها، ثم شنوا عليها الغارة تلو الغارة، واستقروا آخر الأمر فيها فاتحين حاكمين، وهذه هي الطريقة التي تنشأ بها عادة طبقة السراة في البلاد. ولم يكن هؤلاء الفاتحون من نسل الساميين ولعلمهم كانوا من نسل جماعة المهاجرين الأوربيين جاؤوا إلى موطنهم الأول في العصر الحجري الحديث، ولم تكن غلبتهم على أهل بابل الساميين إلا حركة أخرى من حركات الهجوم والارتداد التي طالما حدثت في غرب آسيا. وظلت بلاد بابل بعد هذا الغزو عدة قرون مسرحاً للاضطراب العنصري والفوضى السياسية اللذين وقفا في سبيل كل تقدم في العلوم والفنون

ولدينا صورة واضحة من هذا الاضطراب الخائف في رسائل تل العمارنة التي يمتدّ فيها شعوب بابل وسوريا بمصر التي كانوا يؤذون إليها خراجاً متواضعاً بعد انتصارات تحتمس الثالث، ويتوسلون إليها أن تمد إليهم يدها لتعينهم على الثوار والغزاة. وفيها أيضاً يتجادلون في قيمة مسا يتبادلونه من الهدايا مع أمنحتب الثالث الذي يترفع عليهم، ومع إخناتون الذي أمهلهم وانهك في غير شؤون الحكم .

وأخرج الكاشيون من أرض بابل بعد أن حكموها ما يقرب من ستة قرون اضطربت فيها أحوال البلاد وتمزقت، كما اضطربت أحوال مصر

وتمزقت في عهد الهكسوس. ودام الاضطراب بعد خروجهم أربعمئة عام أخرى حكم بابل في أثنائها حكام خاملون ليس في أسمائهم الطويلة اسم واحد جدير بالذكر الآشوريون وصانف قيام السلالة الكشيّة نمو المملكة الآشورية في القسم الشمالي من العراق. فبنّوا ينازعون الكشيين زعامة البلاد السياسية. والآشوريون فرع من الأقوام الجزرية التي هاجرت في الأصل من شبه جزيرة العرب. وهناك نظرية أخرى مفادها أنهم جاؤا من جنوب العراق من أرض بابل وحلّوا في شمالي بلاد الرافدين في زمن لعله في العهد الأكدي ومما يدعم ذلك أنهم يتكلمون بلهجة من اللهجات البابلية. ويرى غالبية المختصين أن اسمهم مشتق من اسم معبودهم الإله (آشور).

يمكن وضع تاريخ الآشوريين في ثلاثة عهود: القديم والوسط والحديث.

### و - العهد الآشوري القديم :

وتدخل فيه حقبة طويلة لاسيما إذا أئجنا فيه عصور ما قبل التاريخ. لقد بدأ الآشوريون في هذا العهد ببناء مملكة قوية موحدة مستقلة، ظهر منهم ملوك أقوياء مثل (إيلو - شوما) الذي عاصر مؤسس سلالة بابل الأولى وكذلك شمشي أدد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢ ق.م.) الذي بلغت المملكة في زمنه من القوة ما مكّنها من فرض سلطانها على القسم الشمالي من بلاد بابل.

ودأب الآشوريون على تنمية كيانهم السياسي، تعرضوا فيه إلى سلسلة من الامتحانات والصعاب بسبب ضغط الدول والأقوام التي كانت تجاورهم، خرجوا من كل ذلك أشداء أقوياء إذ خلقت منهم قوة عسكرية

رهيبة فرضت سلطانها على شعوب العالم القديم لعدة قرون تلت. ويعد شلمنصر الأول (١٢٦٦ - ١٢٤٣ ق.م.) من أعظم ملوك هذا العهد سيما في حقل التوسع والفتوح الخارجية بعد أن توطدت شؤون المملكة الداخلية في عهده.

ولقد تدهورت الأوضاع الآشورية في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد انتهت بثورة قامت بها مدينة (كالح) الآشورية على الملك (أشور - نراري) الخامس، فقتل وتولى زمام الأمور تيجلاتبليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م.) الذي بدأ عهدا جديدا في تاريخ الآشوريين تكونت فيه آخر وأعظم إمبراطورية آشورية حيث صارت فيه مجددا سيدة للشرق القديم، وكان من أعظم إنجازاتها توحيد بلاد بابل وآشور في مملكة واحدة.

### الملك سرجون الثاني :

يعد الملك سرجون الثاني (٧٢٧ - ٧٠٥ ق.م.) واحدا من أعظم ملوك هذه الحقبة ليس فقط بسبب إنجازاته الفنية والمعمارية العظيمة والتي كان منها تشييد عاصمة جديدة قرب نينوى أطلق عليها اسم (نور شروكين) أي مدينة سرجون والتي تعرف خرائبها بـ (خرساباد) في الوقت الحاضر. كما عرف بفتوحاته الخارجية العظيمة منها القضاء على المملكة اليهودية الشمالية (السامرة) سنة ٧٢١ قبل الميلاد وترحيل الكثير من سكانها إلى أماكن أخرى داخل حدود الإمبراطورية الآشورية. وكذلك قضائه على التحالف بين الفراعنة والدويلات الصغيرة في فلسطين وسوريا، وكان المصريون قد أرسلوا جيشا قويا لمساعدة قوات التحالف، فتصادم الجيشان قرب مدينة رفح تمخضت عن اندحار قوات التحالف وفرار القائد الفرعوني.

## آشوريانيبال (٦٦٨-٦٢٦ق.م) :

فبعد من أكثر ملوك هذا العهد ثقافة فقد أغرم بالأدب والمعرفة فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب وطنية خاصة شيدّها في عاصمته نينوى جمع فيها مختلف أصناف العلوم والمعارف التي بلغتها حضارة العراق والتي عرّفنا بنواحي الحضارة العراقية القديمة المختلفة.

## ز - العهد البابلي الحديث :

آخر العهود العراقية الزاهرة في العصور القديمة (٦٢٦-٥٣٩ق.م). وبعد حكم نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م). بحق من العهود المجيدة في التاريخ البشري عموماً وفترة انتعاش قوية عاشتها الحضارة البابلية، فلم تسجل الكتابات التي خلفها هذا الملك إلا أخبار البناء والتعمير في جميع مدن العراق المهمة

وعاش الملك نبوخذ نصر الثاني حتى كاد يبلغ السن التي يطمع فيها؛ وكان أقوى ملوك الشرق الأدنى في زمانه وأعظم المحاربين والبنائين والحكام السياسيين من ملوك بابل كلهم لا نستثني منهم إلا حمورابي نفسه. هذا مع أنه كان أمياً، ومع أن عقله لم يكن يخلو من خبال. ولما تأمرت مصر مع آشور لكي تخضع الثانية بابل إلى حكمها مرة أخرى، التقى نبوخذ نصر بالحيوش المصرية عند قرقيش (على نهر الفرات الأعلى) وكاد يبيدها عن آخرها. وسرعان ما وقعت فلسطين وسوريا في قبضته، وسيطر التجار البابليون على جميع ممالك التجارة التي كانت تعبر غرب آسيا من الخليج الفارسي إلى البحر الأبيض المتوسط.

وأفق نبوخذ نصر ما كان يفرضه على هذه التجارة من مكوس وما كان يجبيه من خراج للبلاد الخاضعة لحكمه، وما كان يدخل خزائنه من الضرائب المفروضة على شعبه - أفق هذا كله في تجميل عاصمته وفي تخفيف نهم الكهنة : "أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها؟" وقارم ما كان عساه أن تزرع إليه نفسه من أن يكون فاتحاً عظيماً فحصب. نعم إنه كان يخرج بين الفينة والفينة ليلقي على رعاياه درساً في فضائل الطاعة والخضوع، ولكنه كان يصرف جل وقته في قصبة ملكه حتى جعل بابل عاصمة الشرق الأدنى كله بلا منازع، وأكبر عواصم العالم القديم وأعظمها أهبة وفخامة .

وكان "نيوبولصر" قد وضع للخطط لإعادة بناء المدينة، فلما جاء نبوخذ نصر - صرف سني حكمه الطويل التي بلغت ثلاثاً وأربعين في إتمام ما شرع فيه سلفه . وقد وصف "هيرودوت" بابل، وكان قد زارها بعد قرن ونصف من ذلك الوقت، بأنها 'مقامة في سهل فسيح، يحيط بها سور طوله ستة وخمسون ميلاً، ويبلغ عرضه حداً تستطيع معه عربة تجرها أربعة جياد أن تجري في أعلاه، ويضم مساحة تقرب من مائتي ميل مربع' . وكان يجري في وسط المدينة نهر الفرات بحف بشاطئيه للخيل وتنتقل فيه المناجر راتحة غادية بلا انقطاع، ويصل شطريها جسر جميل .

وكانت المباني الكبيرة كلها تقريباً من الحجر، وذلك لندرة الحجر في أرض الجزيرة، ولكن هذا الحجر كان يغطي في كثير من الأحيان بالقرميد المنقوش البراق ذي اللون الأزرق أو الأصفر أو الأبيض المزين بصور الحيوان أو غيره من الصور البارزة المصقولة اللامعة، ولا تزال تلك

الصور حتى هذه الأيام من أحسن ما أخرجته الصناعة من نوعها. وكل  
أجرة من الأجر الذي استخرج من موقع بابل القديم تحمل هذا النقش الذي  
ينباهى به الملك الفخور: "لنا نبوخذ نصر ملك بابل"

وكان أول ما يشاهده القاصم إلى المدينة- صرح شامخ كالجبل يعلوه  
برج عظيم مدرج من سبع طبقات، جدرانه من القرميد المنقوش للبرلق، يبلغ  
ارتفاعه ٦٥٠ قدماً، فوق ضريح يحتوي على مائدة كبيرة من الذهب  
للمصمت وأكبر الفن أن هذا الصرح الشامخ الذي كان أعلى من أهرام  
مصر، وأعلى من جميع مباني العالم في كل العصور إلا أحدثها عهداً، هو  
"برج بابل" الذي ورد ذكره في القصص العبري، والذي أراد به أهل  
الأرض أن يظهروا به كبرياءهم، فبذل رب الجيوش السنهم .

وكان في أسفل الصرح هيكل عظيم لمردك رب بابل وحاميتها. ومن  
أسفل هذا المعبد تمتد المدينة نفسها من حوله بخرقها عدد قليل من الطرق  
الواسعة النيرة، وكثير من القنوات والموارع الضيقة الملتوية التي كانت بلا  
ريب تعج بالأسواق والحركة التجارية وبالغادين والرائحين. وكان يمتد بين  
الهياكل القائمة في المدينة طريق واسع مرصوف بالأجر المغطى بالأسفلت  
يعلوه بلاط من حجر الجير ومجمعات من الحجارة الحمراء تستطيع الآلهة  
أن تسير فيه دون أن تتلوث أقدامها.

وكان على جانبي هذا للطريق للواسع جدران من القرميد الملون  
تبرز منها تماثيل لمائة وعشرين أسداً مطلية بالألوان الزاهية تزجر لترهب  
الكفرة فلا يقتربوا من هذا الطريق. وكان في أحد طرفيه مدخل فخم هو باب  
إستير، ذو فتحتين من القرميد الزاهي المتألق، وتزيينه نقوش تمثل أزهاراً  
وحبوانات جميلة الشكل زاهية اللون، يخيّل إلى الناظر أنها تسري فيها  
للحياة .



وكان على بعد ستمائة ياردة من برج بابل وإلى شماله ربوة تسمى القصر شاد عليها نبوخذ نصر أروع بيت من بيوته. ويقوم في وسط هذا البناء مسكنه الرئيسي ذو الجدران الجميلة المثبدة من الأجر الأصفر، والأرض المفروشة بالخرمن الأبيض والمبرقش، تزين مسطوحها نقوش بارزة واضحة زرقاء اللون، مصقولة براقعة، وتحرس منخله آساد ضخمة من حجر اللبازلت. وكان بالقرب من هذه الربوة حدائق بابل المعلقة الذائعة الصيت التي كان يعبدها اليونان إحدى عجائب العالم السبع، مقامة على أساطين مستديرة متتالية كل طبقة منها فوق طبقة.

وكان سبب إنشائها أن نبوخذ نصر تزوج بابة سياخر (سيكسارس) ملك الميديين، ولم تكن هذه الأميرة قد اعتادت على شمس بابل الحارة وثرها، فعابدها الحنين إلى خضرة بلادها الجبلية، ودفعت الفسامة والمرورة نبوخذ نصر فلتشأ لها هذه الحدائق العجيبة، وغطى سطحها الأعلى بطبقة من الطمي الخصيب يبلغ سمكها جملة لأقدام، لا تتسع للأزهار والنباتات المختلفة ولا تسمح بتغذيتها فحسب، بل تتسع أيضاً لأكبر الأشجار وأطولها جذوراً وتكفي تربتها لغذائها.

وكانت المياه ترفع من نهر الفرات إلى أعلى طبقة في الحديقة بآلات مائية مخبأة في الأساطين تتناوب إدارتها طوائف من الرقيق. وفوق هذا السطح الأعلى الذي يرتفع عن الأرض خمسا وسبعين قدماً كان نساء القصر يمشين آمنات تحيط بهن النباتات الغريبة والأزهار العطرة، ومن تحتهن في السهول وفي الشوارع كان السوق من رجال ونساء يحرثون وينسجون، وبينون، ويحملون الأثقال، ويلبسون أبناء وبنات يخلعونهم في عملهم بعدم موتهم.

## ح - إنجازات العراق القديمة :

إذا انتقلنا إلى نشوء أولى الحضارات في العراق القديم يمكن القول إنها كانت بجهود العراقيين الأوائل في تفاعلهم مع البيئة الطبيعية في وسط وجنوبي العراق. فمن المعروف أن الزراعة تعتمد في هذا الإقليم دوماً على الإرواء الصناعي الذي كان لا يتم إلا بالسيطرة على الأنهار وإقامة السدود وتجفيف الأهوار.

إن المزي - كما هو معروف - كان الدعامات الأساس في الحياة الاقتصادية لهذا الإقليم وعلى ذلك فقد تجلّت عبقرية الإنعسان هنا بأجلى مظاهرها في الإرواء الصناعي وإن نشوء أول حضارة في بلاد الرافدين قد تحقق بلا أدنى ريب بعد أن سيطر سكان هذا الإقليم على الأنهار فيها وذلك عن طريق إقامة السدود وحفر الأنهار والجداول وتجفيف الأهوار، فخلّوا البيئة الطبيعية واستغلوا إمكاناتها العظمى.

ليس هذا فقط بل استغل العراقيون الأقدمون ارتفاع مناسيب نهر الفرات قياساً إلى دجلة فشقوا أنهاراً عظيمة من الفرات إلى دجلة لتروى أراضي واسعة كانت بأحوج ما تكون إلى الماء. لقد طغى أخبار شق الأنهار والجداول على غيرها من أخبار الملوك وأعمالهم. إن حفر أو شق نهر جديد كان يعد بحادثاً هاماً يؤرخ به الكتبة الرسميون للدولة الأحداث الجسام.

نتيجة لكل هذا نلاحظ أن أول شيء يلفت للنظر في العراق شهرة البلاد الزراعية إلى الأزمان المتأخرة، حتى أن الكتاب اليونان - مثل هيرودوتس - قد تحدثوا عن وفرة المحاصيل الزراعية في هذا الإقليم، وهو

ما يذكرنا بتسمية المؤرخين والبلدانيين العرب لأرض العراق بـ (السواد) لكثرة زرعها وخضرتها. ومن الأمور المتفق عليها إن فن زراعة البساتين نشأ في العراق مما ساعد الإنسان كثيراً على الاستقرار ومن ثم نشوء الحضارات المتقدمة وتطورها.

والنخلة -على ما يرجح- كانت أقدم وأهم شجرة في تاريخ العراق الزراعي القديم حيث اقتص العراق بزراعة النخيل منذ فجر التاريخ. وكانت العادة أن تزرع الفراغات بين النخيل بالأشجار المثمرة الأخرى مثل التين والرمان والتفاح والكرام وغير ذلك. وما يزال يعد أعظم وأوسع مركز لزراعة النخيل في العالم لاسيما المنطقتين الوسطى والجنوبية منه.

وفي سبيل تحقيق الاستقرار والأمن في البلاد، وللحفاظ على هذه المنجزات وللمكاسب العظيمة كان من الضروري وجود حكومات قوية مستقرة. وكان الملك في العراق القديم على رأس السلطة حيث عدت سلطته للتنفيذ والتشريعية مستمدة بشكل مباشر من الآلهة لحكم البلاد، فهو الذي كان يتولى قيادة الجيش وقت الحرب حيث أن من لولى واجباته المحافظة على حدود الوطن، وكذلك توفير الوسائل للكفيلة التي تساعد للبلاد على الرخاء الاقتصادي عن طريق تنفيذ المشاريع الحيوية العامة مثل حفر القنوات والأنهار وبناء المعابد تقرباً إلى الآلهة.

لقد خلف الكثير من الملوك العراقيين للقدماء مآثر كتابية أكتروا فيها ما ذكرناه حتى أن بعضهم قد صور نفسه وهو يحمل سلال التراب والاجر رمز قيامه بتنفيذ المشاريع العمرانية الكبرى وبخاصة بناء المعابد تقرباً

للآلهة، والكثير منهم قنّوا الشرائع والقوانين في سبيل تنظيم الحياة العامة ونشر العدل بين الرعية.

ومن الأمور المعروفة للجميع أن أولى الشرائع المتونة في العالم قد ظهرت في العراق القديم، وهناك من الإشارات ما يدل بشكل قاطع على ظهور القوانين المدونة في عصور فجر السلالات. إن الشرائع في العراق القديم لم تكن أولى الجهود البشرية في تنظيم الحياة الاجتماعية فحسب بل إنها دوتت بأسلوب علمي وبلغة قانونية دقيقة. إنها قوانين بهيئة مواد متسلسلة مقتصرة على للشؤون المدنية لا تتعرض للعبادات في شيء.

وكان من تمسك سكان العراق الأقدمين باحترام القانون والنظام أن تصوروا التكون كله على هيئة مملكة تحكمها الآلهة يتجلى فيها مبدأ الطاعة وبخاصة طاعة القوانين والسير بموجب أنظمة المجتمع وأعرافه الشفهية والمدونة. وبلغ من تقديرهم لفضيلة الطاعة أنهم تخيلوا ظهور عهد ذهبي بين البشر في يوم ما تعود فيه الطاعة والنظام وسيادة القانون.

ومن ثمرات الحضارة الناضجة نشوء للصناعات الأولى وكذلك التجارة وبخاصة التجارة الخارجية لجلب المواد الخام التي اعتمدت عليها تلك الصناعات. ومن البديهي أن يصاحب كل ذلك تقدم العلوم والآداب والفلسفة. وفي العراق القديم بدأت أولى المحاولات الفلسفية الجريئة الخاصة بأصل للكون والوجود والأساس في مكونات المادة. ومن المؤكد أن السومريين قد سبقوا الفلاسفة الإغريق بقولهم بمبدأ العناصر الأربعة الأولية التي عدت أصل جميع الأشياء.

ومن البديهي أن يولي العراقيون القدماء أيضا الأكلب الكثير ممن اهتمامهم. لقد كان شأنه شأن الأكلب للعالمية القديمة الأخرى يشترك الآلهة في الملاحم والقصاص أو الأساطير. أما الشعر السومري والبابلي فقد كان يخضع لفن خاص من النظم والتأليف فهو موزون ولكنه غير مقفى. إنه من النواع المعروف في الوقت الحاضر بالشعر المرسل. وما خلفه لنا العراقيون القدماء من الروائع الأدبية أكثر من أن تحصى، ربما أهمها (ملحمة جلجامش) و (قصة الخليقة) و (قصة الطوفان) وعند كبير جداً من الأساطير.

وفي باب العلوم الصرفة كالرياضيات مثلاً عرف البابليون لمساً مهمة في خولص الأعداد وكذلك في العمليات والطرق والمعادلات الجبرية الأساسية. من ذلك مثلاً معادلات الدرجة الأولى بأنواعها لمختلفة فضلاً عن معادلات الدرجة الثانية والثالثة. لقد اتبعوا في طرق حلها عمليات مذهنة لا تكاد تصدق لتطابقها مع الطرق العلمية الحديثة. ومما يقال ليوم بوجه عام إن الفضل في تقدم الجبر الحديث يعود إلى البابليين والعرب أكثر مما يعود إلى اليونان.

ومن الأمور المتفق عليها أيضاً في تاريخ المعارف البشرية أن البابليين هم الذين أسسوا علم الفلك الرياضي، وبدؤوا يدونون ملاحظاتهم وإرصاداتهم أو حساباتهم الفلكية منذ العهد الأكدي، وتقدم هذا العلم إلى درجة كبيرة مذهلة في العهد البابلي القديم. أما معرفتهم بالعلوم الطبيعية مثل علم الكيمياء، على سبيل المثال وبخاصة ما يتعلق منها بخواص المواد وتأثير الحرارة فيها أو العوامل الطبيعية الأخرى فقد بدأت عندهم في وقت مبكر جداً والتي لا سبيل في هذا الملخص من الدخول في تفاصيلها الدقيقة.

## بدايات الفن في إيران

يعود تاريخ الحضارة الإيرانية وثقافتها، إلى أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وفي الحقبة الزمنية التي دخلت فيها جماعات مختلفة من الأصل الآري \_ مثل الماديين (للميديين)، والبارسيين (الفرس)، والفريتيين (الاشكانيين) \_ الأرض التي عرفت في ما بعد بإسم إيران.

ونلاحظ أن الحكومات التي كانت قبل البارسيين، لم تعرف للوحدة المتكاملة والاستقرار، بل كانت مستغرقة في حروب قبلية، إذ يمكننا أن نعد قيام الدولة الاخمينية (حكم قورش) ٥٠٠ قبل الميلاد، بداية لتاريخ الحكم الإمبراطوري، الذي يقوم على تولوث الحكم في الأسرة الملكية.

وإن هذا النوع من الحكم الذي يقوم على التسلط والاستبداد، يستمر في السلالات الملكية التي تلت السلالة الاخمينية مثل الأشكانية والساسانية. أما عقيدة الشعب في تلك الحقبة فكانت غالباً للزرشتية.

- حضارات قبل عيلامية (٣٢٠٠-٢٧٠٠ BC) .

- حضارة جيروفت (٣٠٠٠-٢٥٠٠ th c. BC) .

- حضارة عيلام (٢٧٠٠-٥٣٩ BC) .

هي حضارات من اقدم الحضارات البشرية ، و هي تمتد من منطقة خرم آباد و نهر سيمره إلى منطقة عيلام في إيران إلى مناطق الكويت و بغداد و خانيقن و كركوك و بابل في العراق، و هم اصل السومريين نسبة إلى نهر سيمرة، وهم السكان الاصليون في إيران وفي العراق الحالي

- مملكة ماني (٦٠٠-٧th c. BC) (th

- الإمبراطورية الميديّة (٧٢٨-٥٥٠ BC)
- الإمبراطورية الأخمينيّة (٦٤٨-٣٣٠ BC)
- الإمبراطورية السلوقيّة (٣٣٠-١٥٠ BC)
- الإمبراطورية القرشيّة (الفارسيّة) (٢٥٠ AD - ٢٢٦ BC)
- الإمبراطورية الساسانيّة (٢٢٦-٦٥٠)

وجنت آثار نكل على وجود إنسان ما قبل التاريخ يرجع تاريخه لخمسة آلاف سنة ق.م. كما عثر على حضارة متقدمة من بينها القطع للفخارية المزخرفة برسوم موداء أو نبتة على أرضية بيضاء وفتى عثر على العديد منها في "سوسا Susa" الواقعة جنوب شرق بلاد النهرين والتي تتميز بزخارف الحيوانات والطيور والأعنية أحياناً والتي يغلب عليها التلخيص الهندسي، وتدل صناعة هذه الأولي بالإضافة إلى ما عثر عليه من دبابيس وأختام على حضارة مبكرة في إيران حيث عثر على آثار منطورة منها في 'سيلاك' قرب 'كاشان' في فترة ما قبل مجيء قبائل الفرس إلى إيران. ثم ظهر الفرس الأوائل في حضبة إيران الوسطى في مطلع لقرن السادس ق.م. وبعد سقوط 'نينوى' عاصمة الإمبراطورية الآشورية عام ٦١٢ ق.م. قلم قورش بتأسيس الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م. وضم لميديين والليديين والكلدانيين في بلاد ما بين النهرين له بما فيها مدينة بابل.

ومات 'قورش' عام ٥٣٠ ق.م. وتولي ابنه قعبيز الثاني الذي إستولي علي مصر عام ٥٢٥ ق.م. وأصبحت إمبراطوريته تمتد من نهر السند حتي نهر النيل وفي أوروبا حتي مقدونيا التي كانت تعترف بالسيادة

الفارسية. وبعد إنتحاره عام ٥٣٣ ق.م. تولى ابنه داريوس (دارا) الأول (الأكبر) وأخذ الحروب وحكم الإمبراطورية الفارسية حكماً مطلقاً لأنه يتمتع بالحق الإلهي وكانت البلدان التابعة له تتمتع بحكم ذاتي وكان الحكم بها أقوىاء يتجسمون لحسابه . وكان متسامحاً مع هذه البلدان ولم يخضع شعوبها لعقيدته أو للثقافة الفارسية. وأنشأت هذه الإمبراطورية الطرق للمتفرعة والتي كانت توصل مدينة " سوسا " العاصمة بالخليج جنوباً وبالبحر الأبيض المتوسط وبحر إيجة. وأقيم نظام البريد . وظل داريوس في حرب مع الإغريق حتي وفاته عام ٤٨٦ ق.م. وكان قد أخضع المدن الإغريقية في آسيا الصغرى.

وبعده تولى ابنه " إجزركسيس " الذي أخذ ثورة للمصريين علي حكم الفرس. وأراد أن ينتقم من أثينا واليونانيين بعد تمرد الأيونيين ليأم أبيه. فتواصلت مسيرة جيشه حتي بلغت الأكروبول علي مشارف أثينا. لكنه إنهزم أمام صمود الأثينيين عام ٤٩٧ ق.م. وأغرقوا الأسطول الفارسي في مياه ميكال. وفي القرن الرابع ق.م. ضعفت دولة الفرس . وكانت فرصة سهلة " للإسكندر الأكبر " ودارت بينه وبينها حروب إستمرت منذ عام ٣٣٤ ق.م. وحتى ٣٣٠ ق.م. وظلت تحت حكم ملوك الإغريق حتي إستولي عليها الرومان ما بين القرنين الثاني والأول ق.م. حتي قام " أرتشير " عام ٢٢٧ م. بتأسيس الإمبراطورية الساسانية الفارسية التي ظلت قائمة حتي إسقطها المسلمون في فتوحاتهم الكبرى بالقرن السابع. أصل كلمة إيران كلمة آري (أريون) وتعني " الطاهر " والإيرانيون لا ترجع أصولهم لقبائل شمال وشرق الهند كما يقال وإنما كانت تلك المنطقة تتبع لبلاد فارس.



وقد نزحوا إلى غرب فارس عام ٢٠٠ ق.م. أيام حكم الآشوريين. وأقاموا لهم إمبراطوريتهم الفارسية التي بلغت أوجها أيام الملك قورش عام ٥٥٠ ق.م. والإمبراطور دارا وخلفه زيركس حيث كانت تضم مصر السفلى (الدلتا) واليونان وآسيا الصغرى و أجزاء مما يعرف حالياً بباكستان وتركستان. أقاموا خدمة بريدية، ومهدوا الطرق ، وشجعوا للتجارة وفنون الكتابة. وحاولوا دمج الحضارات البابلية مع الفرعونية والآشورية .

إلا أن الإسكندر الأكبر لم يقطع هذه الإمبراطورية في القرن الرابع ق.م. لكنهم استطاعوا التخلص من حكم الإغريق لبلدان للشرق الأدنى إبان القرن الثالث ق.م. واستعلنوا قوتهم. لكن الساسانيين استغلوا النزاعات الداخلية ووحنوا فارس. وقاموا بنهضة . لكنهم دخلوا في حروب مستمرة مع البيزنطيين طوال أربعة قرون حتى جاء الإسلام في القرن السابع الميلادي .

### الفنون الإيرانية الفارسية:

تقدم أرض فارس الأنواع الكثيرة من الأحجار بينما تندر فيها الأخشاب، ولكن ملوكها أخذوا بتقاليد آشور في تفضيل الحجر على الحجر لأغراض البناء، فشيّدوا قصورهم وفلاعهم وأضرحتهم فيه، واستوردوا الأخشاب لإنشاء سقوفها وصنع أعمدتها.

ولقد انتشر أغلب التراث المعماري الفارسي نتيجة للبناء بالأجر واستعمال الخشب في السقوف والأعمدة، على أن هياكل العبادة التي بقيت آثارها حتى الآن قد مكنت من الوقوف على أنماطها، وقد دل ما تخلف منها على أنها كانت على شكل حجرة شيدت فوق مصطبة - تلافياً لرشح الماء - وأن الأكتاف المنقوشة بالزخارف كانت تبرز على جوانبها، بينما تحلى

جدارنها كرائش جميلة القطع، وكانت النار - التي لا تنطفئ أبداً - تظهر من نوافذ الهيكل لتكون على مرأى من الفائمين بالطقوس العبادية.

ولقد أدى إيثار رقعة الأرض المستديرة أو المثلثة لبناء الهيكل إلى ظهور لأنماط متنوعة من العقود والأقباء.

ويتكون القصر الفارسي من بهو دى أعمدة تفصله عن جناح السكن الحدائق القصية التي تنتشر على سطحها القنوات المائية والمرتفعات المعروسة بالأشجار، وقد دعت حرارة الجو إلى الاستكثار من غرس النباتات وخلق القنوات ونحت النوافير، فأسفر ذلك عن روعة الحدائق الفارسية التي استفاضت كتب الرحالة والمؤرخين في وصف جمالها.

هذا وقد أدى للوضع الجغرافي لأرض فارس وظروفها الاجتماعية إلى ظهور نمط من الفلاحة خلت أبراج أسطوانية جميلة الشكل، وكانت خنادق الماء تحفر من حولها لحمايتها.

وأجمل مواضع القصر الفارسي قاعات العرش التي كانت تتسع لمئات الأعمدة ذات النيجان المنحوتة على هيئة ثورين راكضين في الوضع التماثلي، على نحو ما كان في قاعة قصر "الموس" التي وصفها أحد المؤرخين بالغابة، إذ بلغ عدد أعمدتها للمائة عموداً.

وكانت فارس على عهد الملك "دارا" دولة قوية تشمل عشرين ولاية، وكانت قاعة العرش "الأبادانا" بقصرة نموذجاً لإيوان كسرى الذي استفاضت كتب العرب في وصف عظمته.

وقد كان للبناء بالآجر أثره في اقتصار دور المثاليين على تشكيل نيجان الأعمدة، ونقش صور الحراس على مداخل الأضرحة أو إعداد

للحشوات المنفذة بالحفر البارز لتجميل مداخل القصور، أو تطريق الصحائف للمعدنية لكسوة أبواب القصور الخشبية، غير أن هذا الفن لا يشكل تراثاً خليفاً بالذكر في فن النحت.

وقد يكون للتصوير في هذه الحضارة مكان أبرز بما خلفته من حشوات القاشاني التي تظهر عليها صور الحرس والحكام، وبما ذكرته المراجع عن أعمال التصوير الجداري بألوان الإفرسك (التميرا) بقصور فارس بعد انتقال نقاليدته من آشور إليها.

قبل أن تستقر قرب منابع دجلة - في وديان "كابادوسيا" - وتؤسس عاصمتها عند بوغاز "كيوي"، وقد تركت من آثار فننها تماثيل وحشوات منحوتة في الصخر عند قلعة "مراج" بسوريا وبقصر "سندجيرلي"، كما دلت آثار أخرى لها على شغفها ببناء قصور للملك، وكانت عرومتها تنحت في المرمر على قوائم مشكلة على هيئة الأسود للرابضة والفرسان أو الأسرى.

### أما فن الخزف الإيراني:

فتعاهد على سطوح الأواني الخزفية القديمة رسوم حيوانات من قبيل الماعز الجبلي والوعل والحصان والأفعى والأسماك وغيره. و كان كل واحد منها بحد ذاته يعبر عن معنى ومفهوم خاص. وفيما يلي بعض المفاهيم التي كانت تفيدها هذه الرسوم:

**الماعز الجبلي:** معظم الأقوام كانوا يعتبرون الماعز الجبلي مظهراً للظواهر الطبيعية النافعة، مثلاً الناس في لرستان كانت تعتبر هذا الحيوان مرتبطاً بالشمس. و يعتبره البعض مظهراً لملئكة المطر، لأنهم كانوا

يعتقدون بوجود علاقة بين القمر و المطر، و بين الشمس و الجفاف، و لن القرون الملتوية للماعز الجبلي لها علاقة بنزول المطر.

**الكبش:** الكبش في المعتقدات العامة ينظر إليه بمثابة حيوان قوي جداً و أسطوري، و كان يحظى بالاحترام لأنه مظهر التكاثر و المنفعة. و نظراً لامتلاكه لقرون معكوفة، ينسب للكبش إلى الشمس أيضاً.

**الأفعى:** كانت الأفعى حتى الألف الأول قبل الميلاد مظهراً و رمز للمياه الجوفية، و لذلك كانت محل احترام و تقدير. و كان يستفاد من صورة الأفعى في تزيين أطراف و حواشي الأواني. و أحياناً كان يستفاد من رسوم الأفعى للتعبير عن الاحسان أو الامانة، أو أكثره. كما كان يستفاد من رسوم الأفعى للتعبير عن الحماية و الحراسة. و يشاهد في الرسوم القديمة ان هناك علاقة بين القمر و البقر و الأفعى، و ارتباطهم بالمطر.

**الشمس و القمر:** في الألف الرابع قبل الميلاد كان ينظر إلى الشمس على أنها أم الكون. و قد أوضحت التنقيبات التي أجريت في مضبة «حصار» بدمشق ان أناس هذه المناطق كانوا في الألف الثالث و الثاني قبل الميلاد يوسدون الموتى باتجاه المشرق، أي صوب الجهة التي تشرق منها الشمس، و لعل في هذا ما يشير إلى المكانة التي كانت تحظى بها الشمس لدى هؤلاء. كذلك كانت الشمس لدى البعض رمزاً للعمر الخالد، و عظمة السلطنة و جلالها، بنحو كان يزين بها تاج الملوك. كما كان الناس في العصور القديمة يكونون احتراماً و تقديماً لزهور «دوار الشمس».

**الشجرة:** كانت الشعوب الإيرانية القديمة تؤمن بقداسة الشجرة و المياه. هذا و كانت الشجرة بالنسبة لهم تمثل رمزاً للنمو و للحياة، و تتجلى بوضوح في

الخزف الأيراني للعلاقة بين النباتات و الماء و الأرض، العناصر الثلاثة البارزة في حياة المزارعين، و غالباً ما تكون إلى جوار بعض بمنظر بسيط و معبر.

**الطيور:** تشاهد رسوم أنواع الطيور و للثقالق و البجع و نظائرها على معظم الأواني الفخارية التي تم اكتشافها في المناطق الإيرانية المختلفة. و كثيراً ما ترسم طيور البحر فوق خطوط أفقية متوازية و ربما متموجة تعبيراً عن المياه. كذلك هناك العديد من رسوم البجع و الثقالق ذات السيفان الطويلة، التي تعيش في البرك و للمستنقعات، و هي تشير إلى أهمية الماء الذي هو ضروري لحياتها.

و عموماً يتم رسم الطيور بصورة جماعية على سطوح الأواني، و أحياناً بشكل مفرد. و يعتبر الشاهين من الطيور التي تشاهد رسومها بكثرة على سطوح الأواني الخزفية. فالشاهين بجناحيه للعريضين كان يعتبر مظهراً للحماية الإلهية. و كان القدماء ينظرون إلى الطير القسوي كرمز للتفوق و التعالي على شؤون الدنيا الدنالية.

**الإنسان:** من الموضوع الطريفة التي تمت مشاهدتها في حفريات منطقة «شوش»، رسوم عدد من النساء ولققات تمسك أحدهما بيد الأخرى. كما يشاهد أيضاً صور القمر ملازمة لهذه للرسوم، و هو تعبير عن العلاقة التي كان يعتقد بها الناس بين المرأة و القمر. هذا و غالباً ما تتسم صور الإنسان بالقامة الطويلة و المنكبين للعريضين، و الخصر للرفع، و كان الفنان يبالغ في تجسيم ناحية الخصر و يعكسه بصورة رفيعة إلى أقصى حد. في حين كان يصور الأخاذ بشكل عريض و كبير.

و كان يصور القسم العلوي لبطن الإنسان في صورة مثلث متساوي الأضلاع. الأيدي مرفوعة و الأقدام تبدو في حالة حركة، و ربما ذلك تعبير عن تصوير الإنسان و هو في حالة دعاء. لقد تم العثور على الأثناء الذي يحتوي هذا الرسم في الحفريات التي أجريت في منطقة «إسماعيل آباد» في شهريار، و يعود تاريخه إلى الألف الرابع قبل الميلاد.

و في إحدى قطع للفخار التي عثر عليها في هضبة «سيلك» و التي يعود تاريخها إلى حوالي لواخر الألف الخامس و أوائل الألف الرابع قبل الميلاد، ظهرت أربع نساء في حالة أداء طقوس دينية بصورة جماعية.. و من حالة السواعد و الأبدان و الاتجاه نحو جهة واحدة، يتضح أن هذه النسوة هنّ جانب من مجموعة كبيرة منشغلة في أداء لوحة دينية مقدسة. و نظراً لأن هذا الرسم مكرر حول الأثناء بنحو يشكل حلقة كاملة، فمن المحتمل أنه يعبر عن رقصة دائرية. و كانت هذه الطقوس تؤدي بوحى من عبارة أو تجليل موضوع محل احترامهم و قد استلهم من قبيل: النار، و الصيد، و موسم الحصاد، و الأشجار المثمرة، و نظير ذلك.

كذلك ظهر على سطح قطعة فخارية تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد، مجموعة من النساء أو الرجال أو خليط منهما في حالة أداء طقوس جماعية. و نظراً لوجود رسوم للشمس و الطيور المائية بين الذين يؤدون الطقوس، لذا يعتقد أن هذه الطقوس بمثابة عبادة الشمس و تقديسها، أي عبادة إله النور الذي يحق ظلام الليل عن عيون الناس و قلوبهم.



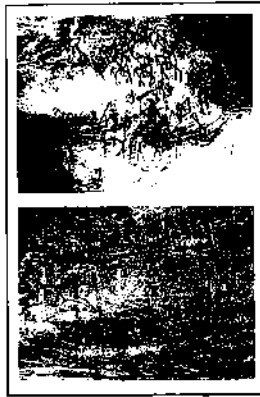
شكل (٢٢٧) أحد الرسوم الصخرية المحفورة على حدار صخري في منطقة تومسكايا  
بهايتشما بجنوب سيبيريا - بروسيا والتي تم تشويهها بواسطة المخربين الذين حفرُوا  
فوقها تاريخ بحفلة مزودة حول الرسم كما هو واضح بهذا المثال



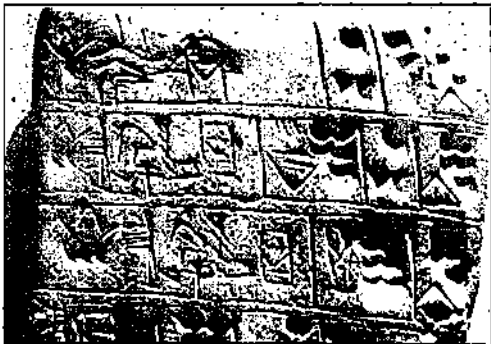
شكل (٢٢٨) رسم صخري لشكل حصان - وجد بمنطقة بيمبيتكا - مادايا  
براديش بالهند حيث يوجد أكثر من ٥٠٠ كهف صغير وماوى صخرية مزينة  
بالرسوم الزيتية يرجع تاريخها الى ٢٠٠٠ عام ق. م.







شكل (٢٣١) صورة صخرية زيتية لأشكال حيوانات وجدت بمنطقة ريزين بالقرب من مدينة بوهال - بالهند ويرجع تاريخها لما يقرب من ٩٠٠٠ عام ق.م



شكل (٢٣٢) الواح المعمارية المحفورة على الحجر والتي تمثل بدايات ظهور الكتابة



شكل (٢٣٣) تمثال الراهب - جوبيا - من حجر الديوريت والموجود بمنحرف اللوفر وهو أول من استطاع توحيد إقليمى بلاد النهرين - اجد - شمالاً وسومر - جنوباً وكان لا يقل بأساً عن الملك خوفو المصرى المعاصر له -



شكل (٢٣٤) تمثال حجرى للشاروبيم او الامند المجنح الذى يعد رمزاً شهيراً للقوة بالحصانة الآشورية حيث يجمع بين شكل الانسان والحيوان والطيور - وكان يوضع على مداخل القصور الآشورية كرمز لحمايتها وحراستها بضخامته الرهيبة.



شكل (٢٣٥) تمثال حجرى يمثل إسد نقشت عليه لسمام وكقاب وانتصار لمملك آشور  
ناصريل ونلاحظ ان له خمسة أرجل لكي يشاهد من الجانب فى حالة حركة السير على  
أربع بينما يرى من الأمام برجلين متجاورين فى وضع ثابت مثل الشاربيم وهو من الأمثلة  
النادرة فى تشكيل الجزء الأمامى تشكيلا كاملا بينما الجزء الخلفى يبدو من النحت البارز  
الملتصق بسطح اللوحة الحجرية.



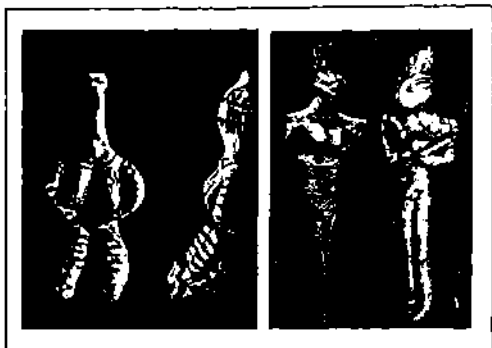
شكل (٢٣٦) تمثال حجرى من عصر آشور بانيبال



شكل (٢٣٧) تمثال من الحجر الجيري للملك آشور ناصربال في زيهِ للرسمي وهو التمثال الوحيد الكامل الاستدارة من النحت الآشوري - وقد عُثر عليه سليماً في معبد أنوترا بمدينة النمرود - أعلى نهر دجلة



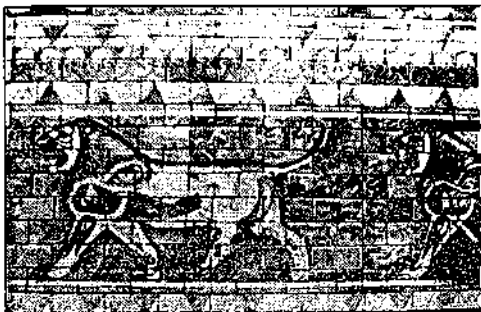
شكل (٢٣٨) تمثال من النحاس على شكل رأس إله من العهد السومري ويمثل وجه آدمي ذو قرنين وعشر عليّة في المقابر الملكية لملوك سومر بمدينة أور



شكل (٢٣٩) ثمانيتان آدمية من الطمي المحروق عثر عليها بمدينة وادي جلاف  
وكانت محفوظة بمتحف العراق قبل الغزو الأمريكي



شكل (٢٤٠) رأس من الرخام الأبيض لامرأة عثر عليه في مدينة الوركاء



شكل (٢٤١) رسم لاسمين على قطع مسطحة من الخزف الملون لتغطية الجدران - ونلاحظ مبالغة الفنان الآشوري في إظهار العضلات القوية كأنها معلوكة من جلدها بأسلوب متكرر في الشكل والحجم



شكل (٢٤٢) كان الآشوريون يصفون بتربة وتصفيف لحاهم وشعر رؤوسهم ويكفلونها بتاج من الزهور وكذلك كانوا يظهرون آلهتهم وكهنتهم بالنحت البارز الملون - وقد عثر على هذه الاعمال بالعاصمة الآشورية نينوى على نهر دجلة



شكل (٢٤٣) لوحة الحرب والعلام في أور وترجع ترجع للعصر السومري



شكل (٢٤٤) مكتبة آشور بانيبال المحفورة على الحجر والتي تعتبر اعظم امثلة  
لبداية ظهور الكتابة بالعراق القديم



شكل (٢٤٥) تحت بارز لاجد منظر الصيد وتمثل اسدا جريحا يتزف دماؤه وآخر مصاب بسهمان في صدره من العصر الآشوري ويظهر به جماليات الفن الآشوري في حركة الخطوط والمبالغة في تشريح العضلات

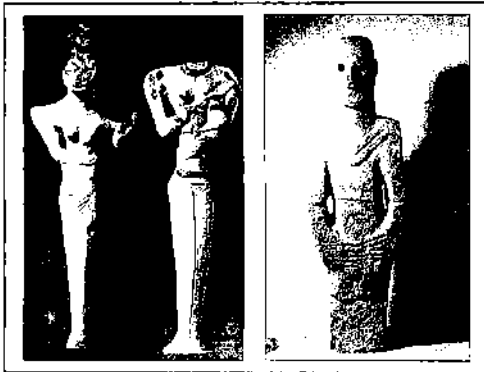


شكل (٢٤٦) تحت بارز لملك فارس بالعراق يقتل اسدا

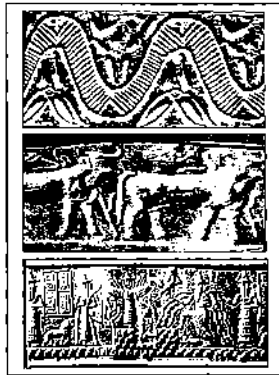




شكل (٢٤٧) نحت بارز للملك العراقي القديم سارغون يتأهب للخروج للصيد



شكل (٢٤٨) نماذج لتمثالين آدمية حجريي عثر عليه بمدينة أور ترجع للعصر السومري



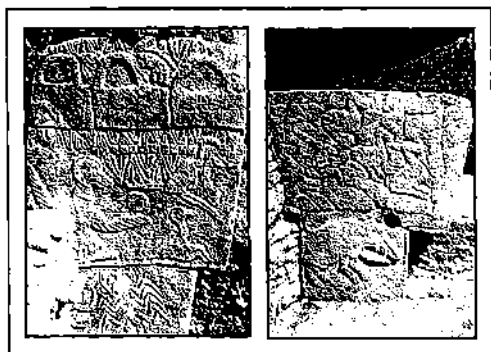
شكل (٢٤٩) نماذج للاختام من عصر جمدة نصر والمحافظة بمتحف اللوفر  
والمعهد الشرقي بشيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية



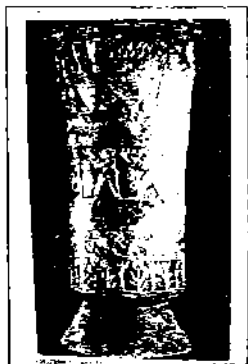
شكل (٢٥٠) نموذج اكليل الورد الذي كان يوضع على الرؤوس بالدولة الآشورية



شكل (٢٥١) نموذج للمسلات الآشورية المنحوتة من الحجر



شكل (٢٥٢) نموذجين للنحت الآشوري البارز والذي يظهر عن اشكال حيوانية



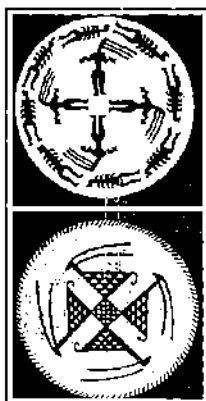
شكل (٢٥٣) اناء من الالستر عثر عليه في مدينة الوركاء



شكل (٢٥٤) نماذج للقطع من لوائى خزفية بها نقوش ملونة لوحداث آدمية وحيوانية وهندسية من عصر حضارة حسونة - مدينة تل حلاف - العراق



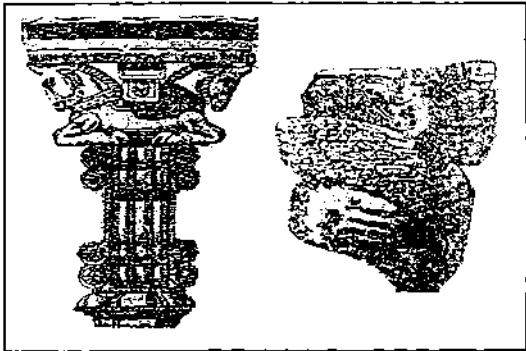
شكل (٢٥٥) لوحة وإنثائن من الحجر من عهد جمدة نصر - كانت محفوظة  
بمتحف العراق



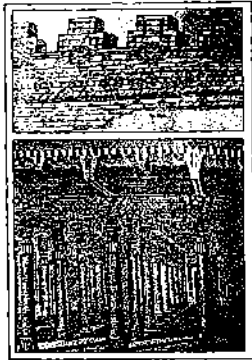
شكل (٢٥٦) قطع من اوانى فخارية بها نقوش حيوانية عثر عليها بمدينة - تل  
خلاف - العراق



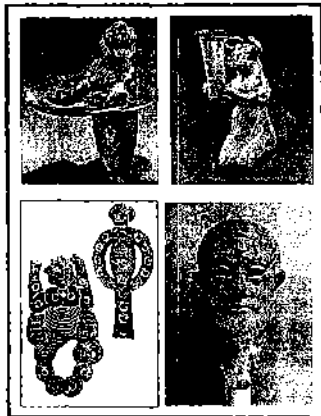
شكل (٢٥٧) صور لمنظر إيوان كسرى للعصر الفارسي



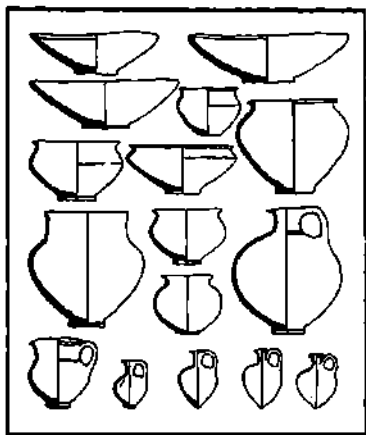
شكل (٢٥٨) عناصر معمارية من الفن الفارسي



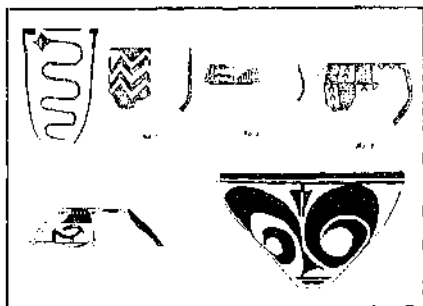
شكل (٢٥٩) عناصر معمارية من الفن الفارسي



شكل (٢٦٠) نماذج من فن النحت الإيراني القديم



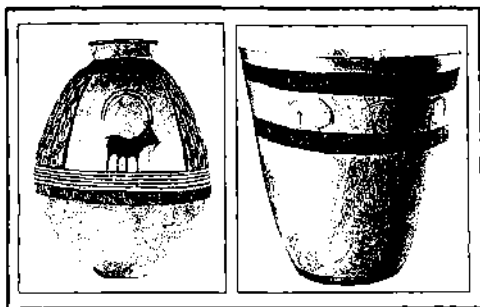
شکل (۲۶۱)



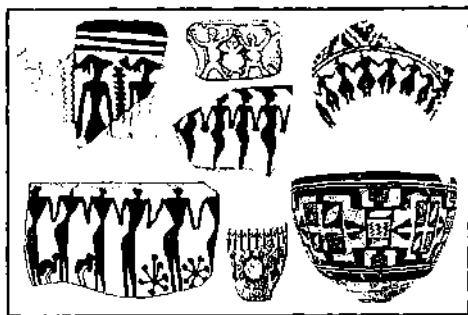
شکل (۲۶۲)





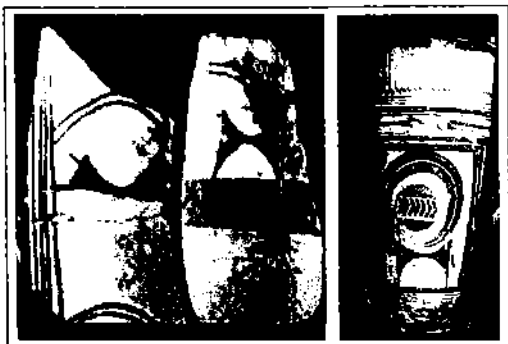


شكل (٢٦٥)



شكل (٢٦٦)

الأشكال من (٢٦٦ : ٢٦٦) نماذج من فن الخزف الإيراني القديم والذي يحتوى على زخارف لأشكال المعز الجبلى والكباش والأقعى والرسوم الأدمية



شكل (٢٦٧) اواني من اللخار المحروق وبها نقوش ملونة عثر عليها في مدينة  
موسا بايران - محفوظة بمتحف اللوفر



شكل (٢٦٨) اناء من الفخار المحروق مزخرف بصف من الحيوانات ذات قرون  
طويلة وعثر عليه في مدينة سيالك - جنوب طهران ومحفوظ بمتحف طهران

## أولاً: المراجع العربية:

أبو بكر علي، فن الهند القديم وأثره على فن الفتح المعاصر، رسالة ماجستير، كلية فنون جميلة، جامعة حلوان، ١٩٩٢.

أحمد فكري، مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية، ١٩٦٩.

أحمد كمال زكي، الأساطير، مكتبة تقنية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

أنوثة هنري، الفن والمجتمع عبر التاريخ - ترجمة نواف زكريا، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٩.

أسية حامد الأرنؤوطي، دولية تاريخية للفنون البدائية لاهوار بمبهمات، تستخدم لطباعة المنسوجات الفريرية، رسالة ماجستير، كلية فنون تطبيقية، جامعة حلوان، ١٩٨٩.

أنسوف الصولي، قيمة اجتماعية في الفن البدائي وعلاقتها بتصوير المعاصر كمنحدر تبدليس، رسالة دكتوراه كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٩٧.

أنسوف الصولي، فن حواشي الكهف وكيف مارس الإنسان، اليونسكو، العدد ١٢٦، أكتوبر، ١٩٩٨.

توماس مونرو، تطور الفنون، ترجمة محمد علي أبو ذرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١.

ثروت عكاشة، الفن المصري - الجزء الأول، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

جورج سلقيتا، الإحسان الجمالي، ترجمة مصطفى بنوي - ذكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥.

جوزيف كي، فن العصر الحجري الحديث، رسالة فيونسكو، لحد، ٢١٩، ٢٢٠، ١٩٧٩.

حسن تباشا، الفنون البدائية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٦.

حسن محمد حسن، الأسس التاريخية للفن التشكيلي للمعاصر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٤.

سليم حسن، مصر القديمة، مطبعة الكوثر، القاهرة، ١٩٤٠.

العبدل سيد أحمد محمد علي، التنقل والمصراع خلال العصور الحجرية، تالين بيبي وتكامل حضري، مطابع أدوماتو، السودان، ٢٠٠٣.

لصامس سيد أحمد، يوميات مختار محمد علي، مشروع البطانة الكبرى - شري للسودان. فن: دراسات في الأكثر، (تحرير) عبد الرحمن الطوب الأنصاري، قسم الآثار - جامعة الملك سعود، ١٩٩٢.

عبد الكريم عبد الله، فنون الإنسان القديم، مطبعة المعارف، بغداد العراق، ١٩٧٣.

عز الدين إسماعيل، الفن والإنسان، دار العلم، بيروت لبنان، ١٩٧٤.

مؤمنة محمد مدوح كامل، دراسة تطبيقية مقارنة بين القيمة التشكيلية للفن ما قبل الأسرات وفنل العباد، وسلسلة  
مكتوراء، كلية لثربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٠.

محمد أنور شكرى، الفن المصرى القديم (منذ أقدم عصوره حتى نهاية فتولة القديمة)، المؤسسة المصرية  
العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٨.

محمد عزت مصطفى، قصة الفن التشكيلى (العالم القديم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.  
نجلاء عبد المجيد محمد فرج الشاذلى، الفن البدنى كمنهل لروية تشكيلية معاصرة فى تصميم الأزياء،  
رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد المنزلى، جامعة حلوان، ٢٠٠٢.  
نعت إسماعيل معلام، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، دار للمعارف، للطباعة والتوزيع،  
القاهرة، ١٩٨٢.

هـ. ج. ويلز، معلم تاريخ الإنسانى، ترجمة عبد العزيز جابود، لجنة التأليف  
والترجمة والنشر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٩.  
\_\_\_\_\_، موجز تاريخ العالم، الجزء الأول، ترجمة عبد العزيز جابود، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، ٢٠٠٢.

هريوت ريد، فن والمجتمع، ترجمة فتح الباب عبد الحظ، دار الكتب المصرية، ١٩٦٨.  
وى مورايس، قصة الحضارة، ترجمة ذكى نجيب، محمود، الجزء الأول، المجلد الأول،  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٩.  
يوسف مختار الأمين، تراثىة ميا قبل قتلون نى، ولدى القربل (المسودى وممير)،  
ملاحظات حول المنهج والنظرية، مطبع لومكو بالسودان، ٢٠٠١.

## ثانياً:- المراجع الأجنبية:

Adams, W. Y. Nubia Corridor to Africa. Allen Lane, London 1977.

Adamson, A. D., The Integrated Nile, In: A Land between Two Niles. Williams, M. A and Adamson, D. A. (ed.), Balkema/ Rotterdam 1982.

Davis, Whitney, The Earliest art in the Nile Valley. In: Origin and Early Development of Food-Producing Cultures in North-Eastern Africa. (eds): Lech Krzyzaniak and Kobusiewicz, M. Poznan Museum 1984.

M. Dandamayev and V. Lukonin, The Culture and Social Institutions of Ancient Iran (Cambridge: Cambridge University 1989.

Paulissen, E. and Vermeersch, P., Earth, Man and Climate in the Egyptian Nile Valley during the Pleistocene. In: Close, A (ed.) Prehistory of Arid North Africa. SMU Press 1987.

Trigger, B. G., The Rise of Civilization in Egypt. In: Fage, J. D and Oliver, R. (ed.) The Cambridge History of Africa. Vol. Cambridge Univ. 1982.

Van Peer, P., The Nile Corridor and the Out-of-Africa Model, An Examination of the Archaeological Record. Current Anthro pology 1998.

Karl Ruhrbourg- "Rwentiehh Century Art" Bland fard press LTd, Germany 1986.

Leonherd Adam – "primitive Art", penguin Books London 1949.  
 Alicia Surez – "History Universelle Del ' Art Tome'" BSN -- London 1990.  
 Carl Kohler – "A history of costume" Dever publication, INC. New York 1963.  
 Pauls Wingert – "Primitive Art" New York, Oxford 1962.  
 W.L. Thomas – "Primitive Art" Gren New York 1995.

## ثالثاً : مراجع من الأنترنت:

<http://www.arkamani.org/ancient-history-key-topics/ancienthistory-americas.htm>

<http://www.google.com.eg/search?hl=ar&newwindow=1&client=firefox-a&rls=org.mozilla%3Aen-US%3Aofficial&hs=bYQ&q=%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86+%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D8%A6%D9%89+%D8%A2%D8%B3%D9%8A%D8%A7+%&btnG=%D8%A8%D8%AD%D8%AB&meta>

[http://ar.wikibooks.org/wiki/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9\\_%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9\\_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85\\_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A1\\_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AF%D8%B3](http://ar.wikibooks.org/wiki/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9_%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A1_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%AF%D8%B3)

<http://www.esltnet.net/index2.htm>

<http://www.arkamani.org/libyan-prehistory/from-classification-to-interpretation.htm>

<http://www.nabdh-alm3ani.net/nabdh/nabdh56/nabdh8456.html>

<http://www.arkamani.org/libyan-prehistory/dilemia-uan-afouda.htm>

<http://www.arkamani.org/libyan-prehistory/new-approach-to-rock-art.htm>

<http://www.thephilosophy.org/goto/showthread.php?p=1455>

<http://www.marxists.org/arabic/glossary/terms/16.htm>

<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D9%88%D8%B7%D9%85%D9%8A%D8%A9>

<http://www.annaba.org/nbanews/63/420.htm>

<http://www.hejwafurat.com/itempage.aspx?id=1bb121885-82012&search=books>

<http://www.rewayatmasreya.com/forums/8928/ShowPost.aspx>

<http://www.braminet.com/vb3/showthread.php?t=661820>

<http://www.tipsclub.net/vb/showthread.php?p=15469>

<http://www.bakhdida.net/NajatHabash/TPole.htm>

[http://www.kitabot.com/alkarki\\_98.htm](http://www.kitabot.com/alkarki_98.htm)

<http://www.syrianmets.net/forum/topic3.html>

[http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.h4ppy.com/blog/uploaded\\_images/Jebel%2520Acacus%2520Cave%2520paintings%25203-756757.JPG&imgrefurl=http://www.h4ppy.com/blog/archives/2006\\_04\\_01\\_h4ppy.html&h=427&w=640&sz=60&hl=ar&start=1&um=1&usg=\\_\\_wbsBoXZTRPPOXEDSK0s0-n3fHMM=&tbnid=S5cAjSQSqcPHyM:&tbnh=91&tbnw=137&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN](http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.h4ppy.com/blog/uploaded_images/Jebel%2520Acacus%2520Cave%2520paintings%25203-756757.JPG&imgrefurl=http://www.h4ppy.com/blog/archives/2006_04_01_h4ppy.html&h=427&w=640&sz=60&hl=ar&start=1&um=1&usg=__wbsBoXZTRPPOXEDSK0s0-n3fHMM=&tbnid=S5cAjSQSqcPHyM:&tbnh=91&tbnw=137&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN)

[http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.rupestre.it/tracce/itna2002/bhim1.jpg&imgrefurl=http://www.rupestre.net/tracce\\_php/modules.php%3Fname%3DSections%26op%3Dviewarticle%26artid%3D3&h=403&w=400&sz=60&hl=ar&start=5&um=1&usg=\\_\\_P8xLsyDQafvXHWf7KhWUCuZrzpw=&tbnid=IuRZ-kXgyQP2\\_M:&tbnh=124&tbnw=123&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN](http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.rupestre.it/tracce/itna2002/bhim1.jpg&imgrefurl=http://www.rupestre.net/tracce_php/modules.php%3Fname%3DSections%26op%3Dviewarticle%26artid%3D3&h=403&w=400&sz=60&hl=ar&start=5&um=1&usg=__P8xLsyDQafvXHWf7KhWUCuZrzpw=&tbnid=IuRZ-kXgyQP2_M:&tbnh=124&tbnw=123&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN)

[http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.mimanta.com/Images/Extra%2520Graphics/VA07/CavePaintingLascaux.jpg&imgrefurl=http://www.mimanta.com/VisualArts/Visual%2520Art07.html&h=457&w=670&sz=116&hl=ar&start=4&um=1&usg=\\_\\_zBB8VtpLvDAXDo4opEapOkosb18=&tbnid=YDQFrtUwPk8P6M:&tbnh=94&tbnw=138&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN](http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.mimanta.com/Images/Extra%2520Graphics/VA07/CavePaintingLascaux.jpg&imgrefurl=http://www.mimanta.com/VisualArts/Visual%2520Art07.html&h=457&w=670&sz=116&hl=ar&start=4&um=1&usg=__zBB8VtpLvDAXDo4opEapOkosb18=&tbnid=YDQFrtUwPk8P6M:&tbnh=94&tbnw=138&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN)

[http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.artoriginals.co.uk/cave\\_paintings/lascaux.contemporary.art/4.jpg&imgrefurl=http://www.artoriginals.co.uk/cave\\_paintings/lascaux.contemporary.art/&h=300&w=472&sz=33&hl=ar&start=7&um=1&usg=\\_\\_02xjzXCevYgqakch2A3fHZdfSxg=&tbnid=a4lk78StdH\\_-vM:&tbnh=82&tbnw=129&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN](http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.artoriginals.co.uk/cave_paintings/lascaux.contemporary.art/4.jpg&imgrefurl=http://www.artoriginals.co.uk/cave_paintings/lascaux.contemporary.art/&h=300&w=472&sz=33&hl=ar&start=7&um=1&usg=__02xjzXCevYgqakch2A3fHZdfSxg=&tbnid=a4lk78StdH_-vM:&tbnh=82&tbnw=129&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN)

[http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.alifetimeofcolor.com/study/images/cave\\_painting\\_1.jpg&imgrefurl=http://waterforsixthgrade.blogspot.com/2008\\_09\\_01\\_archive.html&h=457&w=670&sz=81&hl=ar&start=2&um=1&usg=\\_\\_rixjLwWK2wKMObIT68B6fa9Wes=&tbnid=Qis2fNEhvIAaJM:&tbnh=94&tbnw=138&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN](http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.alifetimeofcolor.com/study/images/cave_painting_1.jpg&imgrefurl=http://waterforsixthgrade.blogspot.com/2008_09_01_archive.html&h=457&w=670&sz=81&hl=ar&start=2&um=1&usg=__rixjLwWK2wKMObIT68B6fa9Wes=&tbnid=Qis2fNEhvIAaJM:&tbnh=94&tbnw=138&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN)

[http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.artchive.com/artchive/c/cave/cave\\_painting\\_bison.jpg&imgrefurl=http://www.artchive.com/artchive/c/cave/cave\\_painting\\_bison.jpg.html&h=600&w=850&sz=162&hl=ar&start=3&um=1&usg=\\_\\_cI3pB76LBAQFwiB-dI2EbSjxBws=&tbnid=Hx7yk5O8VBSKJM:&tbnh=102&tbnw=145&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN](http://images.google.com/eg/imgres?imgurl=http://www.artchive.com/artchive/c/cave/cave_painting_bison.jpg&imgrefurl=http://www.artchive.com/artchive/c/cave/cave_painting_bison.jpg.html&h=600&w=850&sz=162&hl=ar&start=3&um=1&usg=__cI3pB76LBAQFwiB-dI2EbSjxBws=&tbnid=Hx7yk5O8VBSKJM:&tbnh=102&tbnw=145&prev=/images%3Fq%3Dcave%2Bpaintings%26um%3D1%26hl%3Dar%26client%3Dfirefox-a%26rls%3Dorg.mozilla:en-US:official%26sa%3DN)

## أم القسري للطبع والنشر والتوزيع

الإدارة - ٨ ش. عهد الكويت، القوس - ج. الدخ. القبية

المخارج - ٢٢٩ ش. الرقة، الجول - ج. الدخ. القبية

ت. ٤٨٥٦٩٦٤ - ٦٨٢٣٨٨٨

يكتاتبة شسوية رقم ٥٣٦٠١ ج. الدخ. القبية

مطبعة شسوية رقم ٢٦٤ / ٢٣ / ٥٨ / ٥



